

تَكَالِيفُ الْمُؤْمِنِ

فِي

عَصْرِ الْغَيْبَةِ

الجزء الأول

الشيخ محمد أشكناني

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

السلام عليكم جميعاً

أرجو ممن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى

الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب

00965-99644250

فأراؤكم تهّمنا وترشدنا إلى الأفضل، وستنشر الآراء مع أسماء

أصحابها في الطبعة التالية من الكتاب إن شاء الله تعالى،

وأكون لكم من الشّاكرين

الشيخ محمّد أشكناني

موقع الشيخ محمد أشكناني

www.alashkanani.com

YouTube

Ashkanani Channel

Instagram

@alashkanani

البريد الإلكتروني للمؤلف

mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ
اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ صَلَواتِكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى
تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١)

من مات ولم يعرف إمام زمانه (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (١) .

من الأمور المتفق عليها بين جميع فرق المسلمين الإمام المهدي عليه السلام، وأنه من أهل البيت عليهم السلام، ولا يختلف عليه

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيَوَاتِيَّةِ الْأَسْبُوعِيَّةِ فِي دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ مِنْطَقَةَ بِيَان، الْجُمُعَةَ ٤ ذُو الْقَعْدَةِ ١٤٣٠ هـ، ٢٣/١٠/٢٠٠٩ م .

بعض أفكار الموضوع مقتبسة من كتاب "الغيبة الكبرى" للسيد محمد محمد صادق الصدر رحمه الله تعالى من ص ٣٣٦ - ٤٦٥، وكتاب آداب الغيبة للشيخ حسين الكوراني حفظه الله تعالى، مع إضافة أفكار أخرى .
(١) القصص : ٥ .

اثنان، ولكنّ الفرق بين مدارس المسلمين في نسبه وصفاته عليه السلام، مثلاً أنّه مولود موجود أو أنّه سيولد في آخر الزّمان، وأنّ اسمه محمّد بن الحسن أو محمّد بن عبد الله، وأنّه معصوم أو أنّ الله يصلحه في ليلة، فمن الممكن أن يكون إنساناً فاسقاً وينام في اللّيل ويقوم في النّهار وهو إنسان صالح، وهذا لا يمكن قبوله عقلاً، إلى غير ذلك من الفروق .

وقد يكون هناك اتّفاق بين جميع البشر، فكلمة "المسيح" تعني المُخْلِص، فيظهر المسيح وينقذ البشريّة من آلامها، ويقال بأنّه حتّى في الدّيانات الأخرى غير السّماوية يعتقدون بأنّه سيأتي شخص يخلّصهم من جميع الآلام، وسيأتي يوم ينتشر العدل في جميع أرجاء الأرض، وقد يكون عند جميع النّاس هذه الفكرة حتّى الإنسان الكافر؛ لأنّ الإنسان الذي يقع عليه الظلم يكون في ذهنه أنّه سيأتي شخص يخلّصه من هذا الظلم، ففكرة المخلّص فكرة إنسانيّة، وكلّ إنسان يرجو أن يسود العدل في العالم، ونرى الحاكم الظالم يطلق على نفسه وصف "الحاكم العادل"؛ لأنّ فكرة العدالة موجودة عنده .

عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام : "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّةً" (١) .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من مات وليس في عنقه بيعة

(١) كمال الدّين وتمام التّعمة للشّيخ الصّدوق ص ٤٠٩ ح ٩، وسائل

الشّيعة للشّيخ الحرّ العامليّ ج ١١ ص ٤٩١ ح ٢٣ .

مات ميتة جاهلية" (١) .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "من مات وليس عليه طاعة مات ميتة جاهلية" (٢) .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية" (٣) .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "من مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية" (٤) .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية" (٥) .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية" (٦) .

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢، السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٥٦، المعجم الكبير للطبراني ج ١٩ ص ٣٣٤، كنز العمال للمتقي الهندي ج ٦ ص ٥٢، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٠ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٤٤٦، كنز العمال ج ٦ ص ٦٥، التاريخ الكبير للبخاري ج ٦ ص ٤٤٥، الكامل لابن عدي ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٩٦، كنز العمال ج ٦ ص ٦٥ .

(٤) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج ٨ ص ٦٠٥ .

(٥) صحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٣٤ .

(٦) المعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٧٩، كنز العمال ج ١ ص ١٠٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١٤٤ .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من مات وليس عليه إمام مات ميتةً جاهليَّةً" (١) .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من مات بغير إمام مات ميتةً جاهليَّةً" (٢) .

وفي بعض الكتب حينما يأتون إلى مثل هذه الروايات يضعفون بعض الرواة فيها، وهذا مستغرب من أن الروايات الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السلام أو التي لها علاقة بأهل البيت عليهم السلام يقولون فيها إنَّ الراوي الفلاني لا أعرفه أو متروك أو ضعيف أو فيه تشييع .

وفي الرواية حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن يزيد هو أبو هشام الرِّفَاعِي ثنا عبد الله بن محمد الطَّهَوِي عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال : بينما أنا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وآله) وسلَّم في ظلِّ بالمدينة وهو يطلب عليًّا رضي الله عنه إذ انتهينا إلى حائط، فنظرنا فيه، فنظر إلى عليٍّ وهو نائم في الأرض وقد اغبرَّ، فقال : لا ألوم النَّاس يكتونك أبا تراب . فلقد رأيت عليًّا تغير وجهه واشتدَّ ذلك عليه . فقال : ألا أرضيك يا عليٍّ ؟ قال : بلى، يا رسول الله . قال : "أنت أخي ووزير، تقضي ديني، وتنجز موعدي، وتبرئ ذمِّي، فمن أحبَّك في حياة مَيِّ فقد قضى نَجْبَهُ، ومن أحبَّك

(١) المعجم الأوسط للطَّبْرَانِي ج ٦ ص ٧٠ .

(٢) المعجم الكبير للطَّبْرَانِي ج ١٩ ص ٣٨٨، كنز العمال ج ١ ص ١٠٣ .

بعدي ولم يَرَكَ ختم الله له بالأمن والإيمان، وآمنه يوم الفرع الأكبر،
ومن مات وهو يبغضك يا عليّ مات ميتةً جاهليّةً، يحاسبه الله بما عمل
في الإسلام" (١) .

الرّوايات السابقة تقول : "من مات بغير إمام مات ميتةً جاهليّةً"،
وبربطها مع هذه الرّواية يكون عليّ بن أبي طالب إمامًا عندهم أيضًا،
وأسماء الأئمّة عليهم السّلام موجودة في كتاب "ينابيع المودّة"
للقدوزيّ الحنفيّ، وفي مستدرك الحاكم على الصّحّاحين كثير من
الرّوايات الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السّلام، ويقولون عنه إنّه
شيعيّ، فأيّ شخص يروي فضائل أهل البيت عليهم السّلام يتّهمونه
بالشّيع !

لماذا التّأكيد على صحيح البخاريّ ومسلم فقط ؟!
مع أنّ بعضهم من أتباع أحمد بن حنبل، فالمفروض أنّ مسند أحمد
يكون صحيحًا عندهم أيضًا، ونحن حينما كنّا في أيّام الدّراسة الثّانويّة
تعلّمنا أنّ الصّحاح ستّة، والآن يقال بأنّ الصّحاح اثنان فقط، وتم
استبعاد باقي الصّحاح، فلماذا ؟!
هل لأنّه في مسند أحمد بن حنبل يوجد حديث الخليفتين : كتاب
الله وعترتي أهل بيتي ؟!
والرّواية هي :

(١) المعجم الكبير للطبرانيّ ج ١٢ ص ٣٢١، كنز العمّال ج ١١ ص ٦١٠،
وقال المتّقي الهنديّ : رواه ثقات . الحائط : البستان .

عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه (وآله) وسلّم : "إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي، وإئمه لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض" (١) .

فإذا قالوا بأنّ مسند أحمد صحيح فلا بدّ من أن يأخذوا بهذا الحديث .

عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه (وآله) وسلّم : "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما" (٢) .

ونرى بأنّ صحيح البخاريّ ومسلم توجد فيهما روايات عن فضائل أهل البيت عليهم السّلام أيضًا، منها حديث الثقلين، وهي :
عن زيد بن أرقم قال : . . . ثمّ قال : قام رسول الله صَلَّى الله عليه (وآله) وسلّم يوما فينا خطيبًا بماء يُدعى حُمّا بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثمّ قال : "أما بعد، ألا أيّها النّاس، فإنّما أنا بشر يُوشكُ أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ .

(٢) سنن الترمذيّ ج ٥ ص ٣٢٩ .

واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال : وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي . . . " (١) .

ويؤوّلونها إلى مجرد المودّة لهم لا أكثر من ذلك، وفي الصّحاح الأربعة الأخرى توجد روايات في فضائل أهل البيت عليهم السّلام، ويمكن إثبات الإمامة لأهل البيت عليهم السّلام من هذه الكتب، لذلك جعلوا الصّحاح منحصرة في اثنين فقط، ولا نجد روايةً عن الإمام الصّادق عليه السّلام ، فهل توجد مشكلة مع أهل البيت عليهم السّلام !؟

ومن يريد اتّباع الحقّ فإنّ الحقّ واضح، والقنوات الفضائيّة التي تهاجم التّشيع لأهل البيت عليهم السّلام تطرح قضايا كثيرة مفتراة .
منّ الشّيعيّة يقول في آخر صلاته "خان الأمين" !؟
هم يقولون إنّ الشّيعيّة يقولون ذلك، فنسأل في أيّ كتاب شيعيّ يوجد هذا ؟

لا يوجد عندهم أيّ مصدر، إنّه مجرد افتراء، وغير ذلك من التّهم الكاذبة .

ويمكننا إثبات الإمامة من القرآن الكريم، فيقولون نريد منكم أن تبيّنوا اسم الإمام عليّ عليه السّلام في القرآن، ونعلم أنّ اسم الإمام عليه السّلام لم يُذكر في القرآن الكريم صراحةً .

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣ .

عن الإمام الصادق عليه السلام : " لو قد قرئ القرآن كما أنزلَ
لَأَلْفَيْتَنَا فِيهِ مُسَمَّيْنَ " (١) .

والمقصود صفاتهم، وكأن أسماءهم قد ذُكرت، فالإنسان تارة يُذكر
بالاسم، وتارة أخرى يُذكر بالصفة التي تخصه، ومن هذه الصفة نعرف
أن المقصود هو هذا الشخص المعين، وكأنه قد ذُكر باسمه .

وتكفينا آية التطهير :

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا" (٢) .

وآية الولاية :

"إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" (٣) .

وآية المباهلة :

"فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" (٤) .

ومن الأحاديث :

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣ ح ٤ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) المائدة : ٥٥ .

(٤) آل عمران : ٦١ .

حديث الخليفتين، وحديث الثقلين المذكور ضمن حديث الغدير،
وذكر النبي صلى الله عليه وآله الثقلين في مناسبات متعددة .
وحديث الغدير :

عن البراء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه
(وآله) وسلم في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة
جامعاً، فأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال : أأست أولى بالمؤمنين
من أنفسهم؟ قالوا : بلى . قال : أأست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟
قالوا : بلى . قال : "فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه،
اللهم عاد من عاداه" (١) .

وحديث المنزلة :

عن سعد بن أبي وقاص : قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم
لعلي : "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟" (٢) .
عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه
(وآله) وسلم لعلي : "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي" (٣) .

وتوجد آيات وروايات كثيرة في فضائل أهل البيت عليهم السلام
ثابتة عند الفريقين .

(١) صحيح ابن ماجه للألباني ٩٤ .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٨ .

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧ .

والقنوات الفضائية المخالفة لأهل البيت عليهم السلام تحاول أن تحرّف معاني هذه الآيات والروايات، ولكن هيهات لهم ذلك، وبالعكس فإنّ هذه القنوات تساهم في نشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو بخلاف غرضهم، فكثير من الأشخاص لم يسمعوا من قبل عن السنّة والشّيعة، وهذه القنوات تجعلهم يتساءلون عن الفريقين، ونحن الآن في عصر العلم، ويمكن الوصول إلى المصادر والكتب بسهولة، فحينما يسمعون أيّ شيء من هذه القنوات فإنّه يمكنهم التّحقّق من صحّة ما يقولون من المصادر، وعمليّة البحث الآن في الإنترنت سهلة، فيتساءلون ويبحثون عن الحقيقة ويجدونها .

وفي إحدى القنوات اتّصلت إحدى الأخوات وتوجّهت بالشّكر الجزيل للمتحدّث، فصار المتحدّث مسرورًا من شكرها .

وقالت : أنا دخلت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بسببك، فكلّ رواية كان ينقلها الطّرف الشّيعي كنت تقول بأنّه كذب وافتراء، وأنا كنت أكتب المصادر، وبحثت عن هذه الروايات ووجدتها في مصادر أهل السنّة وأنها ليست كذبًا وافتراءً .

وتوجّهت إليه بالشّكر؛ لأنّه هداها إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وهم يظنّون أنّهم بقولهم "كذب وافتراء" يبعدون النّاس عن البحث والتّحقيق في هذه الروايات، وحقّ المسلمون من أهل السنّة بدأوا الآن يبحثون، ونرى أنّ من يدخل إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يكون من الجامعيين والمثقفين وأصحاب المراكز والمناصب، ويؤلفون الكتب في أسباب دخولهم مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

سؤال : في الروايات السابقة أنّ من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة، فماذا تعني معرفة الإمام عليه السلام ؟

الجواب :

موضوعنا هو تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وهنا نتكلّم بمقدّمة للوصول إلى معرفة تلك التكاليف .

إنّ معرفة الإمام عليه السلام لا تعني معرفة الاسم فقط، فأنت تعرف أنّ الأئمّة هم عليّ بن أبي طالب وأبناءؤه المعصومين عليهم السلام، وهذا المقدار لا يكفي، بل لا بدّ من أن تعرف أكثر من هذا المقدار، فالمراد هو المعرفة الكاملة لما يريده الإمام عليه السلام من المكلف ولا سيّما في عصر الغيبة الكبرى، فتعرف تكليفك في كلّ مورد مورد، فلو كان الإمام عليه السلام في مثل هذه المواقف كيف يتصرّف، وأنت لا بدّ من أن تتصرّف كما يتصرّف إمامك عليه السلام، فتأخذ الحكم الشرعيّ منه عليه السلام، وعلى أساس الحكم الشرعيّ تقوم بالعمل، والمطلوب في زماننا تكاليف أكثر من تكاليف من كان يعيش في عصر الأئمّة عليهم السلام، والمسؤوليّة على من يتبع أهل البيت عليهم السلام مسؤولية كبيرة مع كون الإمام عليه السلام غائبًا، والمؤمنون مسؤولون اليوم عن الرّسالة العالمية، ويريدون تطبيق هذه الرّسالة في العالم، فالمؤمنون مسؤولون عن تطبيق الرّسالة

العالمية في العالم، ونحن نقول بأنّ الإسلام دين عالمي، ومسؤولية الإنسان تكون بمقدار مسؤوليته رسالته، وحجم مسؤوليته المؤمن بحجم هذه الرسالة، فهذه الرسالة جاءت لتنتشر في كلّ العالم وتنشر العدل في جميع أرجاء العالم، وهذا يحتاج إلى تضافر جهود جميع المؤمنين، ولا يكفي أن يستيقظ الشخص صباحًا ويصليّ الفجر ويذهب إلى العمل ثمّ يرجع إلى بيته ويصليّ الظهر والعصر ويتغدى وينام ويستيقظ لصلاة المغرب والعشاء ثمّ يذهب إلى الديوانية ثمّ يرجع إلى بيته في وقت متأخر وينام ويستيقظ صباحًا ويعيد برنامج اليوم السابق، فهو صليّ وصام وقام ببعض الأعمال وابتعد عن بعض الأعمال، ولكنّ السؤال المهمّ هو :

ماذا قدّم لهذا الدّين ؟ وماذا فعل لنشر هذا الدّين في العالم ؟
إنّ عليك مسؤوليّة جسيمة، ولا بدّ من أن تعرفها؛ حتى تكون قائمًا فعلاً بتكليفك الشرعيّ، وإمامك عليه السّلام هو الذي يحدّد لك مسؤولياتك، فمن مسؤولياته عليه السّلام تطبيق الرّسالة في العالم، فلا بدّ من أن يتهيأ المؤمنون ويهيئوا الآخرين ويمهّدوا الأرضيّة لظهور إمام زمانهم عليه السّلام، فلا بدّ من أن تكون أنت متهيئًا لتطبيق الرّسالة في العالم، وبعد ذلك تساهم في تهيئة المؤمنين من أجل تطبيق الرّسالة في العالم .

والتّطبيق الأوّل هو التّطبيق على النّفس، وبعد ذلك تطالب المؤمنين بتطبيق الرّسالة، وتمهّد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام؛

لكي يقوم جميع المؤمنين بمساعدة الإمام عليه السّلام في تطبيق الرّسالة العالميّة على الأرض، ونشر العدل في أرجاء العالم .

ومن يريد أن ينشر العدل فلا بدّ من أن يكون عادلاً قبل أن ينشره، والله عزّ وجلّ لا ينتصر لهذا الدين بالإنسان الفاسق المنحرف، شخص قد يتظاهر أمام النّاس بالدين، ولكنّه في واقعه ضالّ منحرف، فهو في الخلوات منحرف، ومثل هذا الشّخص يستحيل أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام؛ لأنّ الله مطلع على النّيّات، والإمام عليه السّلام يعرف النّاس، ويعرف المؤهّل من غير المؤهّل، فهو عليه السّلام حينما يختار الأنصار - وخاصة القادة الثلاثمائة وثلاثة عشر - تكون فيهم مواصفات خاصّة، وبعض الأشخاص يتوهّمون أنّهم من الأنصار وأنّهم في المقامات العالية، ويتوهّم أنّه إذا رفع يده بالدعاء فإنّ الله يستجيب له مباشرة .

إنّ الإمام عليه السّلام يختار أنصاره، ودور المؤمن أن يحاول الوصول إلى درجة الأنصار، فيجسّد في نفسه المواصفات الخاصّة الموجودة عند الأنصار، والأنصار صالحون صلاحاً فوق الصّلاح، ولا يكون عندهم الصّلاح العادي الموجود عند أيّ مؤمن آخر، لا فقط أنّهم في درجة من يفعل الواجبات ويترك المحرّمات، بل لهم درجة أعلى من هذه الدّرجة، فهو إنسان عادل في واقعه قبل أن ينشر العدل في العالم؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، وإذا كان لا يملك العدالة فكيف يساهم في نشر العدل !؟

والشخص قد لا يكون في بيته عادلاً، مثلاً ابن يضرب أخاه،
والأب يقف موقف القاضي بينهما، فلا بدّ من أن يرجع الحقّ من
أحدهما إلى الآخر، وهذا المقدار من العدالة مطلوبة داخل البيت .
كيف هو مع زوجته؟

وكيف هو مع خادماتهم؟

وما هي الأفكار التي ينشرها في بيته؟

مثلاً أبٌّ لا يحرص على حجاب بناته، مثل هذا الشخص لا
تتوقع منه أن ينشر الدّين والعدل في العالم، إذا هو داخل نطاق بيته
الصّغير لم ينشر العدل فكيف يمكنه أن ينشر العدل في العالم وينشر
الحجاب بين نساء العالم؟!

هو لا يرى أنّ من الدّين أن تكون البنات محجّبات بالحجاب
الشّرعيّ، وإلاّ لحجّب بناته بالحجاب الشّرعيّ، مثل هذا الشخص
غير مؤهّل لنشر العدل في العالم، والإمام عليه السّلام لا يختاره ليكون
من الأنصار الذين ينشرون الدّين في العالم؛ لأنّ المطلوب منه أن ينشر
الحجاب الشّرعيّ في العالم ، فكيف ينشره وهو غير مقتنع به؟!

المؤمن كيف يتصرّف في بيته؟

هل يتصرّف على أساس الحكم الشّرعيّ ويكون مُطَبِّقاً للحكم
الشّرعيّ على نفسه أوّلاً ثمّ على الدّائرة الصّغيرة في بيته، ومن هذه
الدّائرة الصّغيرة ينطلق إلى الدّائرة الكبيرة وهي العالم أو لا؟

والإنسان لا بدّ من أن يعرف عن نفسه أنّه عادل أو لا، فيأخذ

الحكم الشرعي من الله تعالى بواسطة نبيه صلى الله عليه وآله وإمامه عليه السلام، ويطبقه ويسلم التسليم الكامل لله ورسوله وإمامه، والتسليم قسمان : تسليم قلبي وتسليم خارجي، ومن الممكن أنه يطبق الحكم الشرعي في الخارج، ولكن لا يوجد عنده التسليم القلبي .

مثلاً يصوم في شهر رمضان، ولكنه يعترض قلبياً فيقول : وما هي

فائدة الصيام حيث إننا نجوع من الصباح إلى الليل ؟!

يذهب إلى الحج ويقوم بالأعمال والمناسك، ولكنه يعترض قلبياً

فيقول : ما هي الفائدة من الحج ؟! وما هي فائدة السعي بين الصفا

والمروة ؟! وما هي فائدة الهرولة في هذا المكان المعين ؟ وما هي فائدة

الطواف ورمي الجمرات ؟!

هو يأتي بالأعمال الخارجية، ولكنه لا يملك التسليم القلبي بالحكم

الشرعي، والقيام بالعمل الخارجي فقط دون التسليم القلبي لا يؤهل

الشخص ليكون من الأنصار .

والإمام عليه السلام عنده اطلاع على قلوب الناس وبواطنهم،

وصحائف الأعمال لجميع الناس تُعرض على الإمام عليه السلام، فلا

بد من أن يكون المؤمن خلال النهار حريصاً على أن يكون ملقّه

نظيفاً من أي شائبة ولا حتى نقطة واحدة من السواد والشوائب،

وهذه النقطة السوداء تؤذي الإمام عليه السلام، وإذا رأى الإمام عليه

السلام بياض الصحيفة يدخل في قلبه السرور من هذا المؤمن الملتزم

بالحكم الشرعي التزاماً قلبياً وخارجياً .

والمؤمن من أول ما يستيقظ من النوم صباحًا يكون حريصًا على عدم ارتكاب أيِّ معصية متعمدًا، ولو قيل لك بأنه في آخر الليل سنأخذ ملقك ونقدمه للحاكم أو للوزير أو لأمن الدولة فإنه يكون حريصًا على عدم مخالفة أوامر السلطان، وكذلك المؤمن من أول النهار يكون حريصًا في كلِّ خطوة يخطوها؛ لأجل أن لا يدخل الحزن في قلب الإمام عليه السلام، والإمام عليه السلام يكون سعيدًا بالمؤمن الملتزم بالدين .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (١) .

وراثة الأرض لا تأتي بطريقة سهلة في طريق مفروش بالورود والرياحين، بل تحتاج إلى أكبر جهاد؛ لأنّ فيه نشر العدل في جميع أرجاء العالم، وكم من الناس سيقفون في وجهك، مثلًا الذي يملك مليارات من الأموال لا يقبل بنشر العدل في العالم؛ لأنّه سيفقد كثيرًا من هذه الأموال، وكثير منها ليست من حقه، فالأموال ودائع وأمانات من الله عزّ وجلّ، فيصرف الإنسان ما يحتاجه، وباقي الأموال هي من حقوق الفقراء والمساكين، ولا بدّ من المحافظة على الأمانة وإرجاعها إلى أهلها، والانطلاقة تكون من جهاد النفس إلى الجهاد الخارجي .

(١) القصص : ٥ .

النتيجة :

من يريد أن يكون من أنصار الإمام المهدي عليه السلام لا بدّ من أن يكون إنساناً مؤمناً صالحاً حقيقةً و متمسكاً بالدين، ويعرف تكاليفه الشرعيّة لا فقط في الواجبات والمحرمات، بل حتّى في المباحات، ويعرف كيف يتعامل مع المباحات، ولا بدّ من وجود الفرق بين الإنسان المؤمن والإنسان غير المؤمن .

عن الإمام الصادق عليه السلام : " لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته" (١) .

الصلاة التي هي عبارة عن حركات وأقوال لا تُظهِر أنّ هذا مؤمن حقيقةً أو لا، والشخص ينكشف إيمانه حينما يقع الضّرر على مصلحته الشخصيّة، فإذا دار الأمر بين مصلحته ورغبته وبين الحكم الشرعيّ أيّهما يُقدّم؟ وهل يسلم بالحكم الشرعيّ ويتنازل عن مصلحته الشخصيّة ورغبته وحالته التّفسيّة أو يقول وما الضّرر من التنازل عن الحكم الشرعيّ والله يغفر الذنوب جميعاً؟

والإمام عليه السلام لا يختار هذا الشخص ليكون من الأنصار، فلا بدّ من أن نلتفت إلى بواطننا وقلوبنا ونصلحها؛ حتّى يلتفت إلينا إيماننا عليه السلام، ويختارنا لنكون من أنصاره وأعوانه، وعلينا أن نعرف تكاليفنا ومسؤولياتنا في عصر الغيبة، وهذه المسؤوليات تكون

(١) الكافي للشيخ الكلينيّ ج ٢ ص ١٠٥ ح ١٢ .

بقدر الرّسالة العالميّة الّتي نؤمن بها، وعلينا أن نؤدّي تكاليفنا
ومسؤوليّاتنا؛ لأجل أن ينظر إلينا الإمام عليه السّلام، ويختارنا لنكون
من أنصاره في تحقيق رسالته العالميّة .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢)

التّخطيط الإلهيّ لليوم الموعود (١)

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

كان البحث عن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وقلنا بأنّه يوجد اتّفاق بين جميع فرق المسلمين على شخص الإمام المهديّ عليه السّلام، ولكنّ الاختلاف في الصّفات والتّفاصيل، بل إنّ فكرة الشّخص المخلّص فكرة إنسانيّة؛ لأنّ كلّ إنسان مظلوم يعتقد بوجود شخص سيأتي لينقذه من الظلم الواقع عليه، وهذه الفكرة موجودة في الأديان الأخرى غير الإسلاميّة، فالمسيح عليه السّلام عند النصارى هو المخلّص .

وقرأنا مجموعة من الرّوايات، منها :

عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام : "من مات ولم يعرف

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١١ ذو القعدة ١٤٣٠ هـ ، ٣٠/١٠/٢٠٠٩ م .

إمام زمانه مات ميتة جاهلية" (١) .

وذكرنا بعض المصادر السنّية التي تنقل مثل هذه الروايات، وأردنا من ذكر المصادر السنّية أن نثبت أن موضوع الإمام المهديّ موجود عند جميع المسلمين، وهذا الموضوع ليس مختصًا بأتباع أهل البيت عليهم السّلام .

وقلنا بأن معرفة الإمام المهديّ عليه السّلام ليست معرفة الاسم فقط بأن يعرف أن اسمه محمّد بن الحسن - كما يقول الشيعة - أو محمّد بن عبدالله - كما يقول السنّة - ، وإنما المعرفة أكثر من مجرد معرفة الاسم، فعلى المؤمن أن يعرف ماذا يريد الإمام عليه السّلام منه، وأن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى، وتكاليفه هي بحجم الرّسالة العالميّة التي نريد أن ننشرها في العالم؛ لأننا ندّعي أن الإسلام رسالة عالميّة ودين عالميّ، فأولاً على المؤمن أن يتهيأ هو في المقام الأوّل، وثانياً أن يساهم في تهيئة الآخرين في المقام الثاني؛ حتّى يهيئوا الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، وهذا ما قلناه سابقاً .

وندخل في محاضرة الليلة من هنا :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (٢) .

(١) كمال الدّين وتمام النّعمة للشيخ الصّدوق ص ٤٠٩ ح ٩، وسائل

الشيعة للشيخ الحرّ العامليّ ج ١١ ص ٤٩١ ح ٢٣ .

(٢) الدّاريات : ٥٦ .

من خلال النّظر إلى هذه الآية الكريمة ندرك بأنّ هدف خلق الجنّ والإنس هو العبادة، يريد الله عزّ وجلّ من الإنسان أن يكون عابداً له عزّ وجلّ، لا العبادة العاديّة السّطحيّة فقط، بل الوصول إلى العبادة الكاملة لله تعالى، فالمطلوب من الإنسان تحقيق العبوديّة الكاملة في نفسه، والحصول على أقصى درجات العبادة وأعلى درجات الكمال، فالله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً؛ لأنّه حكيم، والحكيم لا يقوم بأعمال عبثيّة .

وحيثما نرى شخصاً يسعى إلى تحقيق أهدافه، ويعرف كيفيّة الوصول إليها، ويخطّط لحياته - نقول عنه بأنّه إنسان حكيم، والإنسان الحكيم لا يضيّع أوقاته، وكلّ شأبه عنده هدف معيّن ويريد الوصول إلى تحقيقه لا يضيّع وقته؛ لأنّ من يضيّع وقته لا يعتبر إنساناً حكيمًا، ولا بدّ من أن يضع الخطط من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه .

والله عزّ وجلّ خلق النّاس وهو غنيّ عنهم، وهم محتاجون إليه، والهدف من الخلق يرجع إلى الإنسان نفسه، فالهدف من الخلق هو أنت أيّها الإنسان، والهدف من هذا الخلق هو إيصال المخلوقات إلى حالة العبادة الكاملة والخضوع التامّ لله عزّ وجلّ، أي حالة الكمال الذي هو مُقدّر لكلّ المخلوقات .

إنّ لكلّ شيء - حتّى الجمادات - حالة كمال يصل إليها، فالأرض حالة كمالها أن تُزرع بما ينفع النّاس من النباتات والثّمار

المختلفة، وأما إذا زُرِعَتْ بالمخدِّرات فإنّ هذا مخالف لحالتها الكمالية، والله تعالى خلق كلّ شيء لهدف معيّن، فإذا حقّق هذا الجماد الهدف فيكون هذا الجماد قد وصل إلى كماله، والإنسان يحرك الجمادات حتّى تصل إلى كمالها .

والإنسان حالة كماله الجسمانيّ هي أن يكون في بطن أمه ثمّ يخرج إلى الخارج، ويبدأ من الطفولة ثمّ يكبر ويصل إلى مرحلة المراهقة ثمّ الشّباب ثمّ الشّيب والكهولة، وهذا يمثّل حالة الكمال للجسد بحسب التّطوّر الطّبيعيّ له، وهذا بالنّسبة لجسد الإنسان .

وكذلك عندنا الحالة الرّوحية للإنسان، ولا بدّ من أن يسعى الإنسان للحصول على درجات الكمال لروحه، ولكن نرى أنّ الإنسان في أموره الدّنيويّة يسعى إلى كماله، مثلاً الإنسان يريد أن يشتري سيّارة فيسأل معارفه عن أفضل سيّارة يمكنه الحصول عليها، ويسأل هذا السّؤال؛ لأنّه يريد أن يصل إلى حالة الكمال بالنّسبة إلى سيّارته، وكذلك في الأشياء المادّيّة الأخرى الموجودة حوله، ويحاول الوصول إلى الكمال في جميع أموره الدّنيويّة، لذلك فإنّه يبحث دائماً عن الأفضل؛ لأنّه يظنّ أنّه يحقّق كماله في هذه الأمور الدّنيويّة .

وأما في حالاته الرّوحية فإنّ البحث عن الكمال غير موجود عند النّاس بشكل عامّ، وحتّى الإنسان المؤمن يعرف أحياناً بأنّ كماله في شيء معيّن، ولكنّه لا يفعل هذا الشّيء، نعم إذا كان واجباً فالمؤمن يأتي به، وإذا كان حراماً يبتعد عنه، ولكن كم من المستحبّات يستطيع

أن يأتي بها ولا يأتي بها؟!!

عنده علم وصور ذهنيّة عن المستحبات، ولكن هذا العلم لا يتحوّل إلى عمل، وحالة الكمال التي يحصل عليها الإنسان لا تكون في عالم التّصوّرات، قد يتصوّر أنّه يتصدّق على الفقراء، هذه صورة ذهنيّة، ومجرّد التّصوّر الذهني لا يحدث حالة كمال عند الإنسان، يحصل على حالة الكمال عندما يتصدّق قربةً إلى الله تعالى؛ لأنّه يجاهد نفسه .

وعلى المؤمن أن يبحث عن الكمال في كلّ شيء، حتّى الطالب الذي يكون في المدرسة أو في الجامعة أفضل كمال يصل إليه بأن يكون الأوّل على المدرسة بل يكون الأوّل في البلد، وهذه أقصى حالة كمال يحصل عليها حينما يكون طالبًا، ويتقرّب بذلك إلى الله تعالى، فهو يحاول أن يثبت أنّ الإنسان المؤمن إذا عمل عملاً فإنّه يتقنه، ومن خلال إتقان العمل يثبت أنّه مؤمن من أتباع أهل البيت عليهم السّلام .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إذا عمل أحدكم عملاً فلْيُتَقِنْ" (١) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "ليس منّا -ولا كرامة- من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أروع منه" (٢) .

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٢ ص ٢٦٤ ح ٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٧ ص ٣٠٠ ح ٩ .

عن الإمام الباقر عليه السّلام مخاطبًا جابر بن عبد الله الأنصاريّ :
"يا جابر، أيكثفي من يَنْتَحِلُ التَّشْيِيعَ أن يقول بجنابنا أهل البيت ؟
فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعْرِفُونَ - يا
جابر - إلّا بالتواضع والتّخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصّوم
والصّلاة والبرّ بالوالدين والتّعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة
والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن
النّاس إلّا من خير وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء" . . . (١) .

والمؤمن يتقرّب بحالات الكمال إلى الله تعالى، وحتّى في الأمور
الدنيويّة يمكنه أن يتقرّب بها إلى الله عزّ وجلّ إذا كان فيها قابليّة
التقرّب، والمطلوب من المؤمن أن يسعى للحصول على حالة الكمال
وخاصّة في القضايا الروحيّة، وكلّما حصل على درجة من الكمال
ودرجة من الإيمان فمعنى ذلك أنّه اقترب من الله سبحانه اقترابًا معنويًّا
أكثر .

وكلّ شيء يوجد حولنا له حالة كمال خاصّة به، فكمال كلّ
شيء بحسبه، وحالة الكمال على التّطاق الفرديّ هي أن يسعى الفرد
لأن يصلّي ويصوم ويأتي بالأعمال الصّالحة، وتوجد حالة كمال
للشريّة، وحالة الكمال التي ستعيشها البشريّة هي العبادة الكاملة
والطّاعة الخالصة لله عزّ وجلّ، والهدف الإلهي من خلق البشريّة هو
إيجاد الفرد الكامل والمجتمع الكامل والدّولة العادلة التي تحكم الأرض

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ . يَنْتَحِلُ : يدّعي .

بالعدل وتملاؤها قسطاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، والمجتمع الكامل يوجد بكمال أفراده، فإذا صار أفراد المجتمع كاملين فإنّ المجتمع يكون مجتمعًا كاملاً .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (٢) .

والمطلوب من الإنس كبشريّة أن يصلوا بالمجتمع إلى حالة الكمال بالإضافة إلى أنّ الفرد يصل إلى حالة الكمال، وإذا وصل المجتمع إلى الكمال فإنّ المجتمع سيعيش العدل الكامل، ويكون المجتمع العادل، والدولة التي تكون ضمن هذا المجتمع تكون دولة عادلة، تنشر العدل وتقضي على الظلم، وهذه الدولة ستحكم العالم، وتملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، فعلى المستوى الفرديّ قد يصل الفرد إلى حالة الكمال، ولكن البشريّة لا تصل إلى حالة الكمال مع وجود بعض الأفراد الكاملين .

وحتىّ المجتمع المؤمن لم يصل لحدّ الآن إلى حالة الكمال في علاقات المؤمنين بعضهم ببعض، فحينما تجد مجتمعًا مؤمنًا فيه فقراء فمعنى ذلك أنّ الأغنياء لم يقوموا بدورهم في قضاء حوائج الفقراء المؤمنين، وهذه الحالة موجودة في بلدنا وفي البلدان الأخرى، فتجد في بلدٍ أحد المسلمين يملك ملايين من الدنانير، وتجد فقراء في نفس البلد، فعلى المستوى الفرديّ نرى بعض المؤمنين يسعون ليصلوا إلى

(٢) الذّاريات : ٥٦ .

حالة الكمال، ولكن على مستوى المجتمع لحدّ الآن لم يصل إلى حالة الكمال المطلوبة .

لقد خطّط الله تعالى لهذه الغاية بتوفير الأسباب التي تؤدّي في النّهاية إلى هذا الهدف بتحقيق الدّولة العالميّة العادلة التي تعطي النّاس العدل والقسط بواسطة القائد المهيّأ لأداء هذه المهمة العظيمة مع الاستعانة بأنصاره الذين يكونون مستعدّين لنصرة قائدهم وإمامهم لأجل القضاء على الظّلم والجور ومحاربة الظّالمين وحكام الجور ونشر العدل في العالم .

والإمام عليه السّلام يحتاج في تحركه إلى الأنصار، ولا يستعين بالمعجزة، فالمعجزة يستعين بها الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام حين الحاجة وبإذن الله تعالى، وأمّا إذا كان الهدف يتحقّق بالطّريق الطّبيعيّ فلا يستعينون بالمعجزة، لذلك يحتاجون إلى أنصار وأعوان لتحقيق أهدافهم، نعم يمكن للأنبياء والأئمّة عليهم السّلام أن ينتصروا عن طريق الدّعاء؛ لأنّ دعاءهم مستجاب من الله تعالى، ولكن يأتيون بما يريدون بالطّريق الطّبيعيّ، فهم يحتاجون إلى مجموعة من الأنصار بعدد معيّن وكيفيّة معيّنة حتّى يحقّقوا الهدف، والإمام عليه السّلام يحتاج إلى الأنصار لأجل أن ينشر العدل في العالم .

والبشريّة مرت بقرون من المصاعب، وما زالت تمر بمصاعب وابتلاءات، وهناك تخطيط إلهيّ لتحقيق الدّولة العالميّة العادلة، وهذا ما يطلق عليه "التّخطيط الإلهيّ لليوم الموعود"، وكلّ ما يقع من

أحداث يصبّ في التّخطيط الإلهيّ لليوم الموعود، حتّى تخطيط أعداء الدّين وأعداء أهل البيت عليه السّلام ضدّ الأئمّة وشيعتهم كلّ له نتائج إيجابيّة في تكامل الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن .

ويوجد وعد من الله تعالى بأنّ الإمام الغائب عليه السّلام سيظهر، ولا يوجد عندنا شكّ في ظهوره، نعم لا نعرف متى يظهر، والله تعالى سيهيئ الأرضيّة للوصول إلى اليوم الذي يكون الأنصار فيه متهيّئين متوقّرين ومستعدّين للنّصرة، والإمام عليه السّلام مستعدّ دائماً وفي أيّ وقت، وإذا تهيّأت الظروف العالميّة فإنّ الإمام عليه السّلام سيظهر بإذن الله تعالى .

وتارةً نتظر أن تنهياً الظروف، وتارةً أخرى نسعى لتنهية الظروف، وتهية الظروف هي دور المؤمن، فتكليفه في عصر الغيبة الكبرى أن يتهيأ وأن يمهد الأرضيّة لظهور إمامه عليه السّلام، فأوّلًا عليه أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة، وثانيًا أن يؤدّي هذه التكاليف ويحقّق الأهداف، وبذلك يظهر الإمام عليه السّلام، وما دام أنّ الإمام عليه السّلام لم يظهر فمعنى ذلك أنّ المؤمنين لم يقوموا بجميع تكاليفهم، نعم قد يكون على المستوى الفرديّ، ولكن على مستوى المجتمع فإنّ المؤمنين لم يقوموا بأداء تكاليفهم المطلوبة، والمؤمنون بشكل عامّ لا يعرفون تكاليفهم بدقّة في عصر الغيبة، ومن خلال هذا الموضوع نريد أن نبيّن التكاليف التي لا بدّ من أن يعرفها المؤمن حتّى يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، وهذه مرتبة عالية لا أنّها مرتبة

عادية يمكن الوصول إليها بسهولة .

وأَنْصار الإمام المهديّ عليه السّلام لهم نفس مواصفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، منها الاستعداد للتّضحية بإشارة من إمامهم عليه السّلام بدون نقاش وتردّد، فالإمام عليه السّلام إذا طلب شيئاً من أنصاره فهم مباشرةً ينفذون هذا الطّلب بلا نقاش، فهم قد وصلوا إلى مرتبة عالية من الاستعداد للتّضحية، وهذا لا يصل إليه أيّ إنسان بسهولة، وذاك الشّخص الذي قدّم جواده للإمام الحسين عليه السّلام قال : أقدم لك الجواد، وهو من أفضل الجياد، ولكن لا أقدم لك نفسي .

والإمام الحسين عليه السّلام قال بأنّه لا حاجة له إلى جواده .
فالإمام عليه السّلام يريد الفارس لا الفرس، فالفرس لوحدها بدون الفارس لا تفعل شيئاً، فالإمام عليه السّلام يريد مقاتلين مستعدّين للتّضحية بأنفسهم، فمرتبة الأنصار مرتبة عالية، وللوصول إليها يتطلّب معرفة التّكاليف والإتيان بهذه التّكاليف، والإنسان قد يعيش في عالم التّصوّرات من أنّه وصل إلى هذه المرتبة العالية، ولكنّه يعيش الأوهام، فللوصول إلى هذه المرتبة يحتاج المؤمن إلى عمل ومجاهدة للنّفس .

ومن خلال مراجعة تاريخ البشريّة وعمل الأنبياء عليهم السّلام نعرف أنّ الهدف الإلهيّ واليوم الموعود الذي ينتشر فيه العدل في العالم لم يتحقّق لحدّ الآن، ولكنّه سيتحقّق في المستقبل في اليوم الذي هو في

علم الله تعالى بعد أن تتهيأ الظروف الموضوعية التي تؤدي إلى تحقيق ذلك اليوم، نعم قد يتحقق العدل على مستوى قرية أو بلد أو مدينة، وبعض الأنبياء عليهم السلام قد حققوا العدل على مستوى بسيط، فنبى الله يوسف عليه السلام حينما صار حاكمًا على مصر نشر العدل، ولكن لم تتح نفس الفرصة لجميع الأنبياء والأئمة عليهم السلام ليقوموا بمثل هذا الدور، واليوم الذي يتحقق فيه العدل العالمي لم يتحقق إلى الآن، ولكنه سيتحقق في المستقبل بعد تحقق الظروف العالمية لظهور الإمام عليه السلام ولنشر العدل في العالم .

وانطلاقًا من هذا الهدف الإلهي - وهو أن يصل الفرد والمجتمع إلى حالة الطاعة والعبودية الكاملة لله تعالى - نستطيع أن نعرف مهمتنا بشكل إجمالي، وهي أن نسعى للوصول إلى تحقيق هذا الهدف على النطاق الفردي والنطاق الاجتماعي، ويصل المجتمع إلى العبودية والطاعة الكاملة إذا كان الأفراد عابدين مطيعين لله تعالى، وأن نساهم في إسراع تنفيذ التخطيط الإلهي أي إيصال المجتمع إلى هذا الهدف .

وما دام أن الله تعالى يريد من الفرد والمجتمع والناس أن يصلوا إلى حالة العبودية الكاملة فعلى النطاق الفردي لا بد من أن يتحرك الفرد لتحقيق العبودية الكاملة في نفسه، وأن يساهم في نشر العبودية الكاملة في المجتمع وبين أفراد المجتمع، وهذه مهمة عظيمة وهي أولاً أن يكون متهيئًا وثانيًا أن ينشر هذا التهيؤ بين الناس، والشخص الذي لا يكون متهيئًا لا يمكنه أن ينشر التهيؤ بين الناس، والذي لا

يعيش العبوديّة لله لا يمكنه أن ينشر العبوديّة بين أفراد المجتمع،
فالشخص التارك للصلاة لا يمكنه أن ينشر أداء الصلاة بين الناس،
والشخص غير المتدين لا يمكنه نشر التدين بين الناس، والرجل في
حدود بيته إذا لم يُلبس بناته الحجاب الشرعيّ فهو داخل بيته لم يحقّق
حالة العبوديّة، فهل نتوقّع من هذا الشخص إذا أصبح حاكمًا أن
ينشر الحجاب الشرعيّ في العالم!؟

والشخص غير العادل لا يمكنه نشر العدالة، فهو على مستوى
بيته لم ينشر العدل، مثلًا إذا اعتدى أحد أولاده على ولده الآخر هل
يعرف كيف يحكم بينهما بحيث يعطي الحق لمن يستحقّ ويأخذ الحقّ
من الآخر!؟

إذا استطاع أن يعيش العبوديّة لله تعالى وينشر العدل في بيته وينقل
هذه العبوديّة إلى زوجته وأولاده - فيكون نظر الإمام عليه السلام إلى
هذا الشخص، ومن الممكن أن يختاره ليكون من أنصاره في المستقبل،
بل قد يكون من قادته الثلاثمائة وثلاثة عشر، فهو قد أثبت أنه إنسان
عادل ويعيش حالة العبوديّة وينشر العبوديّة والعدل بين الناس .

ويظهر من الروايات أنّ أكثر الأنصار يكونون من العلماء؛ لأنّهم
يعيشون هذه الحالة أي حالة العبوديّة، والأشخاص الذين ليسوا من
العلماء من الممكن أن يصلوا إلى درجة الأنصار، ولكنّ العالم عنده
نظرة أشمل باعتبار اطلاعه الأكثر على الدين، فعنده العلم الكافي في
كيفية التّحرّك، فيعرف كيف يتحرّك وكيف يمهد الأرضيّة وكيف يكون

عابدًا لله تعالى .

والعالم لا يعني من يلبس العمامة، فقد يكون مُعَمَّمًا، ولكنه ليس عالمًا، فالعمامة رمز لدراسة الشخص عدّة سنوات لعدّة علوم في الحوزة العلميّة، ولكن كميّة الاستفادة من هذه المعلومات تحتاج إلى إنسان عالم، فقد يكون عند الشخص كثير من المعلومات الذهنيّة، ولكنه لا يعرف كيف يستفيد من المعلومات الذهنيّة في تطبيقها على الواقع الخارجيّ، فهو قد يعرف الأحكام الشرعيّة، ولكن كميّة التعامل مع هذه الأحكام الشرعيّة تحتاج إلى عالم بهذه الكميّة، فيعرف كيف يتعامل مع الواجبات والمستحبّات والمحرمّات والمكروهات، بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من أن يعرف كيف يتعامل مع المباحات .

إذن :

تكليف الإنسان الفرد أن يكون عابدًا لله تعالى، وأن ينشر هذه العبادة بين الأفراد الآخرين؛ حتّى يتهيأ المجتمع تدريجيًّا لظهور الإمام عليه السّلام .

فعندنا عنوان إجماليّ وهو "معرفة الفرد بتكليفه من حيث العبادة"؛ حتّى يكون عابدًا لله تعالى، وأن يساهم في نشر العبوديّة بين النّاس؛ حتّى نصل إلى المجتمع العابد لله تعالى، وهذا هو العنوان العامّ، ويحتاج إلى تفصيل في الأمور التي تجعل الإنسان والمجتمع عابدًا لله تعالى، وعلى الفرد أن يساهم في الإسراع في تنفيذ التّخطيط الإلهيّ لليوم

الموعود، فتكليف الفرد هو أن يصل إلى ذلك اليوم وهو عابد لله تعالى، وأن يساهم في إيصال المجتمع إلى ذلك اليوم الموعود بأن يكون مجتمعا عابداً لله عزّ وجلّ .

إنّ التخطيط الإلهيّ لليوم الموعود موجود منذ أن خلق الله أبانا آدم عليه السّلام، وحركة البشريّة منذ أبيننا آدم عليه السّلام وإلى ظهور الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشّريف هي باتجاه هذا الهدف، والهدف هو تحقيق المجتمع العادل على الأرض، وتنفيذ التخطيط سائر من نبيّ إلى نبي ومن وصيّ إلى وصيّ، والهدف من إرسال مائة وأربعة وعشرين ألف نبيّ هو تحقيق اليوم الموعود، فهناك تهيئة للبشريّة من خلال الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام، فمهمّة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام عبر الأجيال مروراً بالقرون الطويلة هي تحقيق يوم العدل العالمي، ولا بدّ من أن يتحقّق الوعد الإلهيّ في يومٍ ما كما وعد الله تعالى .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" (١) .

وهذه هي مهمّة الأنبياء عليهم السّلام، فأرسل الله الأنبياء بالهدى ودين الحقّ؛ لأجل أن يظهر هذا الدّين الحقّ على جميع الأديان، فينتشر الدّين الحقّ في العالم، والعدل جزء مهمّ من الدّين الحقّ، لذلك

(١) التّوبة : ٣٣ .

جعل العلماء العدل من أصول الدين، وكذلك من ناحية اجتماعية المطلوب من الإنسان أن يكون عادلاً وأن ينشر العدل في العالم .
ويقول تعالى :

"وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (١) .

نرى في الآية الكريمة أنّ عبودية الإنسان لله تعالى هي المطلوبة من
استخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالله خلق الخلق لأجل أن
يصلوا في النهاية إلى الأمان والعدل والعبادة والقضاء على الشرك،
ويوم انتشار الأمن والأمان والعدل لم يتحقق لحد الآن .

عن الإمام الباقر عليه السلام قال : "يقاتلون والله حتى يوحد الله،
ولا يشرك به شيئاً، وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد
المغرب ولا ينهاها أحد، ويخرج الله من الأرض بذرها، وينزل من
السماء قطرها . . ." (٢) .

فالمرأة العجوز تخرج من المشرق إلى المغرب حتى لو مشياً على
الأقدام لا يتعرض لها أحد بسوء، وهذه هي الحالة القصوى التي نصل
إليها وهي انتشار الأمن والأمان حتى للإنسان الضعيف .

(١) التّور : ٥٥ .

(٢) تفسير العيّاشي ج ٢ ص ٦١ .

هذا التخطيط الإلهي بإرسال الله الأنبياء عليهم السلام بهذا العدد الكبير إنما كان لأجل التمهيد لليوم الموعود عن طريق تربية البشرية على المدى الطويل للوصول إلى تطبيق العدل الكامل على الأرض وإنشاء المجتمع العادل، وكلّ نبي يأتي ويعطي شيئاً خلال السنوات التي يكون فيها مع قومه ضمن التخطيط الإلهي، وبمراجعة الرسائل السماوية السابقة يمكن الوصول إلى التدرج الذي سلكه كلّ نبي مع أمته؛ لكي يهيئ البشرية لليوم الموعود، فندرس حياة كلّ نبي من الأنبياء عليهم السلام مع قومه حتى نعرف أنّه كيف ساهم في تمهيد الأرضية لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وهذا يحتاج إلى بحث عن "دور الأنبياء عليهم السلام في تحقيق اليوم الموعود".

وفي الأسبوع القادم سيتم طرح النقاط العامة للبحث، وتتناول هذه النقاط تبعاً خلال المحاضرات القادمة، ونبيّن ما هي التكاليف المطلوبة من المؤمن في عصر الغيبة الكبرى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٣)

المهديّ عليه السّلام إمام مفترض الطّاعة (١)

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وقلنا سابقاً بأنّه من الأمور المتفق عليها بين المسلمين قضية الإمام المهديّ عليه السّلام، وأنّ الاختلاف يقع في صفات الإمام المهديّ عليه السّلام، وبيّنا أنّه ماذا تعني معرفة الإمام عليه السّلام، وأنّها لا تعني معرفة الاسم فقط، وإمّا تعني معرفة التّكاليف، وأنّ الإمام المهديّ عليه السّلام ماذا يريد منّا في عصرنا الحاليّ، فلا بدّ من أن تعرف التّكاليف المطلوبة منك في عصر الغيبة لا أنّك تعرف فقط أنّ اسمه محمّد بن الحسن عليهما السّلام، وهذه التّكاليف نعرفها بدقّة من خلال توجيهات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السّلام .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٠ هـ، ١٣/١١/٢٠٠٩ م .

والمؤمنون في زماننا مسؤولون عن الرسالة العالمية، وجاء الإسلام للتطبيق على الأرض، والإمام المهدي عليه السلام يأتي ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وعلى المؤمنين أن يعرفوا مسؤوليتهم العالمية، ومسؤوليتهم عظيمة كعظمة هذه الرسالة العالمية، فهل المؤمنون يعرفون أنهم مسؤولون عن رسالة عالمية وعن تطبيقها في جميع أرجاء الأرض؟!

ونجد بعض المؤمنين لا يطبقون الإسلام حتى في بيوتهم، مثلاً المؤمن الذي لا يهتم بحجاب بناته كيف يمكنه تطبيق الرسالة في أرجاء العالم؟!

ولا أقصد الحجاب كقطعة قماش بل تربية الأولاد بحيث يعرفون كيف يكونون مؤمنين، نعم قد لا يصل الأولاد إلى المستوى المطلوب، ولكن الأب يكون قد أدى تكليفه في تربية أولاده، وبين لهم أنهم مسؤولون عن الرسالة العالمية، فإذا كان مقصراً في تربية أولاده فهو غير مؤهل لتطبيق الرسالة العالمية في العالم، ومهمة المؤمن أن ينشر هذا الدين وهذه التربية في العالم كله، فإذا كان لا يعرف كيف يطبق هذا الدين داخل الدائرة الضيقة في بيته فبطريق أولى لا يمكنه أن يطبق هذا الدين في الدائرة الأوسع في العالم، وتطبيق الدين في العالم ليست مهمة سهلة .

والإمام عليه السلام لا يختار أي شخص لتحقيق هذه المهمة العظيمة، وعدد قادة الإمام عليه السلام ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً،

وعدد سكّان الأرض يصل الآن إلى ستّة مليارات تقريبًا، وهذا العدد القليل من القادة يختارهم الإمام عليه السّلام من جميع سكّان الأرض، ثمّ تتدرّج درجات الأنصار من درجة إلى أخرى، مثلًا قد يكون العدد في الدّرجة الثّانية سبعمائة من الأنصار، وفي الدّرجة الثّالثة يكون عدد الأنصار سبعة آلاف، ثمّ تتدرّج هذه الدّرجات ويزداد العدد في كل درجة، وعلى المؤمن أن يحاول الوصول إلى القمّة والدّرجة العالية، وهذه الدّرجة العالية لا يمكن الوصول إليها بسهولة .

ولا بدّ من أن تنظر إلى أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، وتكون بهذا المستوى العالي حتّى تكون من أنصار المهديّ عليه السّلام، فالمواصفات العالية والاستعداد لأقصى مراتب التّضحية التي كانت موجودة عند أنصار الإمام الحسين عليه السّلام هي نفس المواصفات الموجودة عند أنصار المهديّ عليه السّلام، فادرس حياة أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام الذين كانوا بهذه الصّفات العالية وجسّدوا هذه الصّفات في نفسك فتكون قد وصلت إلى درجة الأنصار، والإنسان يعرف نفسه، انظر إلى نفسك وأنت تعرف مواصفاتها ودرجتها الإيمانيّة، وأنت تعرف نفسك جيّدًا .

هل تقف أمام نفسك رادعًا لها عن ارتكاب المحرّمات حينما ترغب النفس بارتكاب المحرّم ؟

هل هناك شيء في نفسك يدفعك إلى الإتيان بالواجبات ويمنعك عن ارتكاب المحرّمات ؟

يقول القرآن الكريم :

"بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ" (١) .

ليس المهمّ هو حكم النَّاس عليك، فأمام النَّاس يتظاهر الإنسان بكثير من الأمور، ولكنَّ المهمّ حينما تكون أمام الله عزَّ وجلّ، فالإنسان بينه وبين الله ما هي الصّفات الموجودة فيه، والإنسان أمام النَّاس يستطيع بكلّ سهولة أن يتظاهر بأنّه مؤمن زاهد عابد، ولكن هل حقيقته وواقعه هكذا؟!!

والإنسان لا بدّ من أن يحرص على حقيقته وواقعه لا على ظاهره أمام النَّاس فقط .

وعلى الإنسان أن يعرف أنّ الهدف من خلق البشريّة هو الوصول إلى الإنسان الكامل والمجتمع الكامل، فالإنسان كفرد يصل إلى هذه الدّرجة العالية من الكمال، ويحاول أن يساهم في تكامل المجتمع إلى الدّرجة العالية من الكمال، فيوجد فرد كامل ومجتمع كامل، والفرد الكامل والمجتمع الكامل هو الذي سيحكم الأرض وينشر العدل في العالم .

وقلنا بأنّه يوجد تخطيط إلهيّ لليوم الموعود، والأحداث التي تجري من بداية خلق أبينا آدم عليه السّلام وإلى ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام جميع هذه الأحداث تكون ضمن التّخطيط الإلهي لليوم الموعود، حتّى الأحداث التي تجري على الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام

(١) القيامة : ١٤-١٥ .

وعلى المؤمنين، فهذا النَّبِيُّ يُقْتَلُ وذاك الإمام يُسَجَّنُ وأتباعهم يُعَذَّبُونَ وَيُظَلَّمُونَ وَيُسَجَّنُونَ وَيُقْتَلُونَ، هذا كله ضمن التخطيط الإلهي لظهور الإمام عليه السَّلام، فالتَّعْذِيبُ وَالظُّلْمُ وَالسَّجْنُ وَالْقَتْلُ الْوَاقِعُ عَلَى أَتْبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُوَهِّلُهُمْ لِلصَّعُودِ تَدْرِيجِيًّا فِي مَرَاتِبِ الْكَمَالِ .

وأعداء الإسلام وأعداء أهل البيت عليهم السَّلام يساهمون في ظهور الإمام عليه السَّلام، ولكنهم لا يشعرون بذلك ولا يدركون ذلك، مثلاً الفضائيات التي تطعن بأتباع أهل البيت عليهم السَّلام تساهم في تمسك أتباع أهل البيت عليهم السَّلام بدينهم أكثر، وكثير من البحوث الدِّينِيَّةِ وَالْعَقَائِدِيَّةِ يُؤَلِّفُهَا الْعُلَمَاءُ بِسَبَبِ هَذَا الْمَهِجُومِ عَلَى مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْكُتُبِ فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ طُبِعَتْ مِنْذُ أَنْ بَدَأَتْ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ بِمَهِجُمَا عَلَى مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَالْكُتُبِ الَّتِي تَثَبَّتْ إِمَامَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْكُتُبِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْ مَظْلُومِيَّةِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَأَعْدَاءُ الدِّينِ يَسَاهِمُونَ فِي الْبَلُورَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِأَتْبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَبْلَ تَهْجَمِهِمْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْبَحُوثُ مَوْجُودَةً، فَعَمَلُهُمْ أَصْبَحَ عَلَى خِلَافِ مَا يَرِيدُونَ حَيْثُ جَعَلُوا أَتْبَاعَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَتَمَسَّكُونَ بِمَدْرَسَتِهِمْ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَبَحُوثُ كَثِيرَةٌ فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ طُبِعَتْ وَنُشِرَتْ، وَالْأَدَلَّةُ عَلَى أَحَقِّيَّةِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ كُتُبِ الْمَدَارِسِ وَالْمَذَاهِبِ الْآخَرَى

بدأت بالانتشار، فهم يساهمون في تقوية أتباع أهل البيت عليهم السلام، فلا تخافوا من الفضائيات المعادية لأهل البيت عليهم السلام، ومن يشكّ في دينه يكون عنده ضعف في عقيدته، والدين لا يضعف بخروج فرد منه وانتقاله إلى دين آخر، ولا أنّ الدين يستفيد من دخول فرد إليه، وإمّا هذا الفرد هو خاسر إذا ترك الدين، وهو مستفيد إذا دخل الدين .

إذن :

هناك تخطيط إلهي، وجميع الأحداث التي تقع على الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمؤمنين لها آثار إيجابية على الدين، فالمؤمنون مثل الشجرة الموجودة في الصحراء يقوى عودها، فكثرة الطعن في المؤمنين سيقتويهم، ولن يضعف أتباع أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ تمسكهم بأهل البيت عليهم السلام مبني على الاقتناع لا على أساس العاطفة، فهم مقتنعون بخطّ الإمامة وبالأئمة عليهم السلام .

وهذا التخطيط الإلهي موجود منذ زمان أبينا آدم عليه السلام، وهناك تربية للبشرية؛ لكي تصل إلى اليوم الموعود، فجاء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وكلّ نبي له وصي أو أوصياء لتربية البشرية على المدى الطويل؛ لأجل أن يصلوا إلى اليوم الموعود، وخلاصة البشرية هم ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً وباقي الأنصار الذين سينشرون العدل في العالم بقيادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ومن خلال المقدمات السابقة مع النظر إلى التخطيط الإلهي يمكن

- أن نُجْمِلَ تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى ضمن النقاط التالية :
- ١- الاعتراف بالإمام المهديّ عليه السّلام كإمام مفترض الطّاعة، ويجب أن يكون عند أتباعه الطّاعة الكاملة له عليه السّلام .
 - ٢- الانتظار، ولا بدّ من معرفة معنى الانتظار .
 - ٣- الالتزام بالإسلام وبأحكامه .
 - ٤- تصعيد درجة الإخلاص وتعميق الشّعور بالمسؤوليّة .
 - ٥- الجهاد أو السّليبيّة والاعتزال .
 - ٦- كفيّة الاستفادة من الظلم الواقع على المؤمنين .
 - ٧- الارتباط بخطّ المرجعيّة الرّشيدة .

وأمر أخرى مرتبطة بعصر الغيبة الكبرى تأتي تبعاً في طيات البحث، وخلال البحث في الأسابيع القادمة نطرح بعض النقاط الأخرى .

ونأتي الآن إلى ذكر هذه التكاليف :

التكليف الأول : الاعتراف بالإمام المهديّ عليه السّلام كإمام مفترض الطّاعة :

إنّ أوّل مهمّة لنا وأوّل تكليف علينا هو الاعتراف بالمهديّ عليه السّلام كإمام مفترض الطّاعة، وأنّ طاعته فرض من الله تعالى، وأنّه القائد الفعليّ للأمة الإسلاميّة، ولا يوجد قائد غيره لهذه الأمة، وهو مُعيّن من الله تعالى، ومنصوص عليه من الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، وهذا يُعْتَبَرُ من ضروريّات مدرسة أهل البيت عليهم السّلام

الذين يمثلون مذهب الحق والدين الإسلامي الصحيح، وهو من ضروريات الدين الإسلامي بمعنى أنه لا نحتاج إلى ذكر دليل لإثباته، فعندنا روايات تنصّ على جميع الأئمة عليهم السلام، وجميع مذاهب المسلمين تعتقد بالمهديّ عليه السلام، وأنه سيظهر في آخر الزّمان، بل هو من ضروريات كلّ دين، بل من ضروريات الفكر البشريّ، فكلّ البشريّة تنتظر اليوم الموعود على يد القائد الذي سيحرّر النّاس من العبوديّة والظلم، فجميع النّاس يتطلّعون إلى ظهور شخص ينقذهم من الظلم العالمي المنتشر في العالم، وكلّ إنسان يقع عليه ظلم يكون نظره إلى اليوم الذي يأخذ فيه حقه من الظلم، وهذا موجود ضمن الفكر البشريّ، فانتظار اليوم الموعود وأنّ هناك شخصاً يكون المنقذ من الظلم والظالمين هو من تطلّعات البشريّة لا أنّ ديناً من الأديان يدعو إلى هذا الأمر فقط، والمسيحيّون يعتقدون بمجيء المسيح المخلّص في المستقبل، فجميع الأديان السّماويّة وحتىّ الوضعيّة عندهم الأمل بمجيء منقذ البشريّة من الظلم العالميّ وخاصّةً في زماننا المعاصر؛ لأنّ الظلم منتشر في كلّ بقعة من العالم .

وأشدّ ظلم واقع الآن هو الظلم الفكريّ، فالفضائيات الآن تحرف الفكر والسلوك كالقنوات الأخباريّة والمواقع الإباحيّة، فالظلم اليوم يدخل إلى كلّ بيت في العالم، فالظلم منتشر في كلّ العالم، وكلّ بيت يوجد فيه القنوات الفضائيّة والمواقع الإلكترونيّة، والظلم الإعلاميّ الفكريّ دخل كلّ بيت، والظلم الإعلاميّ يكون عن طريق تحريف

الأخبار وتشويه أحداث العالم، ومن حقّ الإنسان أن يعرف حقائق الأخبار، وعندما يُقَدِّمُونَ له الخبر المحرّف والمزيّف فمعناه أنّهم يظلمونه، وهذا ظلم إعلامي، بالإضافة إلى الظلم الفكري عن طريق حرف فكر البشريّة عن الطّريق الصّحيح .

والاعتراف بالإمام المهديّ عليه السّلام لا يعني مجرد الاعتراف التاريخيّ بوجوده عليه السّلام ومعرفة نسبه وكنيته، بل لا بدّ من أن يكون الاعتراف على مستوى السلوك والتّطبيق العمليّ، فمن الممكن أنّ الإنسان يعتقد بنظريّة، ولكنّه إذا لم يحوّل هذه النظريّة إلى عمل فإنّه لا يستفد منها، والأفكار الدّينيّة ليست أفكاراً جامدة، بل هي أفكار عمليّة متحرّكة .

مثلاً الإنسان يعتقد بالله تعالى، هذا الاعتقاد ليس مجرد اعتقاد نظريّ، بل إنّ هذا الاعتقاد له جانبان : جانب نظريّ بأنّ تعرف أنّه يوجد خالق لهذا الكون، وجانب عمليّ وهو أنّ هذا الخالق ماذا يريد منك، ومن المهمّ أنّه كما تعرف الجانب النظريّ عليك أن تعرف الجانب العمليّ، فالاعتقاد بالله تعالى يتحوّل من نظريّة إلى عمل، لذلك ينقسم التّوحيد إلى قسمين : توحيد نظريّ وتوحيد عمليّ، فهناك عمل يترتّب على النظريّة والاعتقاد القلبيّ .

ولا توجد نظريّة إسلاميّة تظلّ في حيّز الفكر ولا تتحوّل إلى عمل، فالنظريّات أمور فكريّة، ولكن هذه النظريّات لا بدّ من أن نحوّلها إلى سلوك وعمل .

لذلك فإنّ الاعتقاد بالمهديّ عليه السّلام ليس عبارة عن نظريّة فكريّة فقط، بل لا بدّ من تحويلها إلى عمل وسلوك وتطبيق، فيجب أن يكون سلوك المعترف بوجوده عليه السّلام مختلفاً عن سلوك من لا يعتقد به عليه السّلام؛ لأنّك تأخذ عملك وسلوكك من هذا الإمام الذي تعتقد به، ومن لا يعتقد به لا يأخذ السلوك والعمل منه، ولا بدّ من وجود الفرق بين هذين الشّخصين، ولا بدّ من أن تظهر آثار الاعتقاد على الإنسان المعتقد، وهذا الفرق لا بدّ من أن يكون واضحاً على سلوك المعتقد، فسلوك أتباع أهل البيت عليهم السّلام لا بدّ من أن يختلف عن سلوك من لا يعتقد بهم، ولكننا الآن لا نرى الفرق بين سلوك من يعتقد بهم ومن لا يعتقد، نعم قد يظهر الفرق في بعض السلوكيات والأعمال، ولكنّ المطلوب ظهور الفرق في كل سلوك حتّى يظهر الفرق بين الشّخصين، والآن لو نظرنا إلى أعراف المؤمنين وأعراف غير المؤمنين نجد أنّها متشابهة تقريباً، وأعراف المؤمنين مختلطة، ولا بدّ من وجود أعراف خاصّة بالمؤمنين لا تكون موجودة عند غير المؤمنين .

مثلاً مهر السنّة مهر سيّدة نساء العالمين عليها السّلام، فالمفروض أنّ المؤمنين يتمسّكون بمهر سيّدة نساء العالمين عليها السّلام؛ لأنّ بركة المرأة في قلّة مهرها كما في الرواية، وفي الرواية أنّ الله تعالى يقول للنبيّ صلّى الله عليه وآله بأن يزوّج فاطمة عليها السّلام بخمسائة درهم من الفضة حتّى تكون سنّة لأمتّه، أي للمسلمين .

رُويَ أنّ "من بركة المرأة قلة مهرها، ومن شؤمها كثرة مهرها" (١) .
الإمام الباقر عليه السلام : " . . . فزوّجها أنت يا محمد بخمسائة
درهم تكون سنّة لأمتك" (٢) .

المفروض أن تنتشر ثقافة مهر السنّة بين المؤمنين كعرف، واليوم هذا العرف غير موجود بين المؤمنين، وهذا معناه أنّه لم يحوّلوا هذه النظريّة إلى عمل، وهذا معناه أنّهم لا يساهمون في ظهور الإمام عليه السلام، والمؤمن الذي لا يلتزم بسنن النبي صلى الله عليه وآله يؤخّر ظهور الإمام عليه السلام، وحينما لا نعرف النواحي الفكرية النظريّة في الدين فنحن -المؤمنين- نكون السبب في تأخير ظهور الإمام عليه السلام، وإذا عرفنا هذه النظريات فإننا لا نحولها إلى عمل، مثلاً مسألة مهر السنّة بديهيّة من بديهيّات الدين، والمؤمنون لا يعملون بهذه البديهيّة، وهذا أمر بسيط من أمور الدين، فعلى مستوى السلوك والعمل نحن نساهم في تأخير ظهور الإمام عليه السلام من حيث لا ندرك، وهذه مسؤوليتنا وتكليفنا نحن -المؤمنين- في عصر الغيبة، فإذا كنت تريد ظهور الإمام عليه السلام فالتزم بأحكام الدين، فنحن مسؤولون عن تأخير ظهور الإمام عليه السلام، وذلك لأنّ المؤمنين بشكل عام لا يعرفون الأفكار الإسلاميّة والنظريات الدينيّة، وهي الفكر والعلم الذي يريده أهل البيت عليهم السلام، وإذا عرفوا بعض

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٣ ص ٣٨٧ ح ٤٣٦٠ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٣ .

هذه النظريات فإنهم لا يطبقونها ولا يحولونها إلى عمل، وكذلك المؤمنون الذين كانوا قبلنا أخرجوا ظهور الإمام عليه السلام؛ لأنهم لم يعرفوا أحكام ونظريات الدين، وإذا عرفوها فإنهم لم يطبقوها جميعها .

والمفروض أن النظريات الدينية تنتقل من جيل إلى جيل، والجيل التالي لا بد من أن يأخذ ما هو موجود عند الجيل السابق ويزيد عليه، والجيل الثالث يأخذ ما هو موجود عند الجيل الثاني ويضيف عليه، وهكذا تتكامل الأجيال إلى أن يصلوا إلى يوم الظهور، ويكون كل جيل قد ساهم في تعجيل ظهور الإمام عليه السلام .

والمؤمنون في السابق لم يقوموا بدورهم الكامل، والآن المؤمنون لا يقومون بدورهم، والمؤمنون من الجيل القادم لا يقومون بدورهم، فالنتيجة هي أن الإمام عليه السلام لا يظهر، والمؤمنون على مرّ السنين يصيحون بأعلى أصواتهم : اللهم عجل فرج وليك .

إنّ هذا الدعاء مجرد كلمات وألفاظ، وإذا أراد المؤمنون تعجيل ظهور إمامهم عليه السلام فنسألهم : إلى أيّ حدّ أنتم متمسكون بالدين وملتزمون بأحكامه ؟

والبديهيات البسيطة الموجودة من سنن النبي صلى الله عليه وآله لم نلتزم بها لحدّ الآن فكيف بالأفكار الأخرى العالية غير البسيطة ؟

هذه الأفكار والنظريات لا نعرفها، ولا نعرف فكر أهل البيت عليهم السلام، فيوجد نقص وعيب فينا، وهذا النقص لا بد من إتمامه وإكماله، وهذا العيب لا بد من القضاء عليه؛ حتّى يمكننا أن نعتجل

في ظهور الإمام عليه السّلام، فنحن -المؤمنين- في زماننا مسؤولون
عن تأخير ظهور الإمام عليه السّلام كما كان المؤمنون السّابقون .

وتكليفنا أن نعيّج بظهور الإمام عليه السّلام بمعرفة فكر أهل
البيت عليهم السّلام أوّلاً، وتطبيقها وتحويلها إلى عمل ثانياً، والسلوك
لا بدّ من أن يكون متناسباً مع الاعتقاد، فنسأل :

أيها المؤمن، هل عملك الآن على نفس مستوى اعتقادك بأهل
البيت عليهم السّلام ؟

إنّ هذا الاعتقاد له درجة عالية، فقد جاء عن طريق الوحي الإلهيّ
إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله .

وحيماً نتعامل مع هذه النظريّات والأفكار هل نتعامل معها على
أنّها وحي إلهيّ أو أنّ رجلاً من العرب جاء ببعض الأحكام، ومنها
الاعتقاد بأهل بيته عليهم السّلام، ونحن بمزاجنا نقبل أو لا نقبل هذه
الأحكام أو نقبل بعضها ونترك بعضها ؟

عندما تعتقد بشخص أنّه نبيّ أو إمام فلا بدّ من أن تلتزم بجميع
الأحكام التي يُبيّنُها، وإذا لم يلتزم الشخص بهذه الأحكام فمعنى ذلك
أنه غير معتقد بهذا النّبّي أو الإمام اعتقاداً حقيقياً كاملاً، وغير معتقد
اعتقاداً جازماً بأنّه نبيّ أو إمام مفترض الطّاعة، ومعصوم يتلقّى هذه
الأحكام من الله تعالى .

وتكليفنا أن نعرف هذه الأحكام ونطبّقها ونحوّلها إلى عمل
وسلوك، وقد يعتقد شخص بشيء، ولكنّه لا يلتزم بلوازم هذه

العقيدة، فما قيمة الاعتقاد إذا لم يُنتج تطبيقاً عملياً للأمر المعتقد به ؟
وما قيمة العلم إذا لم يعمل به الإنسان إذ أنّ العلم لا قيمة له إذا لم
يؤدّ إلى الالتزام والعمل به ؟

وتكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يصعد في درجات
الكمال؛ حتى يمكنه أن يساهم في تعجيل ظهور الإمام عليه السّلام،
والاعتقاد ليس له قيمة إذا لم يلتزم الإنسان بتبعاته وآثاره وما ينتج
عنه، والإيمان ليس له قيمة إذا لم يلتزم بلوازمه وأحكامه، وهناك سنن
للنبيّ صلى الله عليه وآله فهل التزم المؤمنون بهذه السنن ؟!

وهناك نظريّات للأئمة عليهم السّلام كانوا يطرحونها ويبيّنونها فإذا
لم يعمل المؤمنون بها فمن يعمل بها إذن ؟!

وهل نتوقّع أنّ من لا يعتقد بها يلتزم ويعمل بها ؟!
وإذا لم يعمل المؤمنون بمهر سيّدة نساء العالمين عليها السّلام فمن
يعمل به ؟!

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤)

المهديّ عليه السّلام وسلسلة الأنبياء والأوصياء^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

من يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى حتّى يؤدّي هذه التكاليف . والتكليف الأوّل الذي تكلمنا عنه هو الاعتراف بالمهديّ عليه السّلام كإمام مفترض الطّاعة، والإمام مُعَيَّنٌ من الله تعالى، وهذا من بديهيات وضروريّات مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

والاعتراف بالإمام المهديّ عليه السّلام لا يعني الاعتراف التاريخيّ بوجوده فقط، وأنّ اسمه محمّد بن الحسن، بل المطلوب أكثر من هذا، فالمؤمن انطلاقاً من اعتقاده بالإمام عليه السّلام كيف يكون سلوكه ؟ وهل هذه العقيدة تجعل عنده سلوكاً معيَّناً بحيث يتحرّك على أساس

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢ ذو الحجة ١٤٣٠ هـ ، ٢٠/١١/٢٠٠٩ م .

هذه العقيدة ؟

لا يكفي أن يكون عنده الناحية النظرية الفكرية الثقافية فقط،
ولكن هل هو يطبق هذه النظريات ويعمل بها ؟
وهذا هو المهم، قد يعتقد بالأئمة عليهم السلام، ومع ذلك يعصي
الله ويرتكب المحرمات .

وهذا الذي يرتكب المحرمات لو تسأله : هل تعتقد بالله تعالى ؟
يجيبك : نعم أنا أعتقد بالله تعالى .

وهل تعتقد بالنبي صلى الله عليه وآله ؟

يجيبك : نعم أنا أعتقد بالنبي صلى الله عليه وآله .

وهل تعتقد بالأئمة عليهم السلام ؟

يجيبك : نعم أنا أعتقد بالأئمة عليهم السلام .

اسأله : إذن لماذا تعصي الله وترتكب المحرمات ؟

هو في عالم التصورات الذهنية يعتقد، ولكن هذه التصورات الذهنية
لم تتحوّل إلى عقائد راسخة عنده، والعقائد إذا ظلت في حيز النظرية
ولم تتحوّل إلى عمل فإنّ هذه النظرية لا قيمة لها، بل على العكس
تعتبر حجة عليه، والمفروض أنّ النظريات التي نعتقد بها لا تظلّ في
عالم التصورات وعلى اللسان فقط، فيقول إنّ أصول الدين خمسة،
ويكتفي بذلك، بل لا بدّ من أن تتحوّل هذه العقيدة إلى عمل، وكلّ
إنسان يعمل على أساس النظريات التي يعتقد بها، وبقدر ما تكون
هذه العقيدة راسخةً في قلبه يكون العمل متناسبًا مع درجة رسوخ

العقيدة، مثلاً المسلم الذي لا يصلّي أو يؤخّر الصلّاة بغير عذر معناه أنّ العقائد غير راسخة في قلبه، فلو كانت العقيدة مترسخةً في قلبه لصلّى ولما أّخر الصلّاة .

عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام أنّه صلّى، فسقط الرّداء عن منكبيه، فتركه حتّى فرغ من صلّاته، فقال له بعض أصحابه : يا ابن رسول الله، سقط رداؤك عن منكبيك، فتركته ومضيت في صلّاتك ؟ فقال عليه السّلام : "ويحك، تدري بين يديّ من كُنْتُ ؟، شغلني والله ذلك عن هذا، أتعلم أنّه لا يُقبَلُ من صلاة العبد إلّا ما أقبَل عليه" . فقال : يا ابن رسول الله، هلكنّا إذن . قال عليه السّلام : "كلا، إنّ الله يتمّ ذلك بالتّوافل" .

وعنه عليه السّلام أنّه كان إذا توضّأ للصلّاة وأخذ في الدّخول فيها اصفر وجهه وتغيّر . فقيل له مرّةً في ذلك . فقال عليه السّلام : "إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم" ^(١) .

وحيثما يقول الإمام عليه السّلام : أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم - فهذه هي القمّة بالنّسبة للإنسان، والنّاس يتفاوتون في درجات الإيمان، فمؤمن عقيدته ضعيفة غير راسخة، والآخر اعتقاده متوسط، والثالث اعتقاده راسخ قويّ، والأعمال تعبّر عن عقائد الإنسان، فمن عنده حرص على هذا الدّين فعقيدته راسخة، والشّخص الذي يصلّي لا يعني ذلك أنّ عقيدته راسخة؛ لأنّ جميع

(١) الرّوايتان في بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٦٥ .

المسلمين يصلّون، وفيهم المطيع والعاصي .

إنّ المقاييس التي نطرحها نريدها أن تكون مقياسًا لك، وعلى الشّخص أن لا يراقب الآخرين، بل يراقب نفسه وأعماله؛ ليرى أنّ عقائده في أيّ درجة .

ومن يعتقد بالإمامة نسأله :

هل أعمالك تتناسب مع هذه العقيدة أو لا تتناسب ؟

لا بدّ من أن يراجع نفسه؛ ليرى أنّ أعماله منطلقة من اعتقاده بالإمامة أو تارةً منطلقة من هذه العقيدة وتارةً من عقيدة أخرى لا تتناسب مع الإمامة، ولا بدّ من أن ينتبه إلى أنّ النّاحية العمليّة للإنسان لا بدّ من أن تتناسب مع النّظريّات التي يعتقد بها، والنّبّي صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام حينما يدعو إلى أمر فلا بدّ من أن نقول جميعاً : سمعًا وطاعةً .

مثلاً مهر سيّدة نساء العالمين عليها السّلام ^(١) ، والذي هو مهر السنّة، كم من المؤمنين يلتزمون بمهر الزّهراء عليها السّلام مع أنّها بديهيّة من بديهيّات الدّين ؟ وكم من المؤمنين لا يجعلون في الأعراس الموسيقى والأغاني والنّساء يرقصن مع أنّ حرمة الأغاني من البديهيّات

(١) مهر السنّة يساوي ٥٠٠ درهم من الفضة، والدّرهّم يساوي ٢,٥ جرام تقريباً، فيكون مهر السنّة ١٢٥٠ جرام تقريباً، ونرى سعر جرام الفضة في السّوق، مثلاً لو كان سعر الجرام ٢٥٠ فلساً فيكون مهر السنّة ٣١٣ ديناراً كويتيّاً تقريباً .

وهم يعتقدون بالأئمة عليهم السلام ؟ لماذا يأتي المؤمن بأعمال تنافي
اعتقاده ؟

لنصعد درجة ونسأل :

لماذا يقوم المؤمن بالأعمال التي لا تنبغي لا فقط أن يكون نظره
إلى الجواز وعدم الجواز ؟

المؤمن لا ينبغي له أن يقوم بالأعمال التي لا تتناسب مع شخصيته
الإيمانية، مثلاً امرأة محجبة بحجاب شرعيّ كامل وتقوم بالدعوة إلى
الدين وتجدها في أحد الأعراس وهي ترقص، هل هذا يتناسب مع
موقعها كداعية حتى لو كانت الفتوى بالجواز؟! هل يتناسب مع
شخصية هذه المؤمنة أن ترقص وإن كان يجوز الرقص بين النساء؟!!

لا بدّ من أن نصعد إلى درجة أعلى من الجواز وعدم الجواز، نصعد
إلى درجة ينبغي ولا ينبغي للإنسان المؤمن، وكلّما صعد الإنسان في
الدرجات الإيمانية عليه أن يتخلّى من بعض المباحات؛ لأنّ هذه
المباحات لا تتناسب مع شخصية المؤمن الذي يكون في الدرجات
العالية، نعم المباحات جائزة، ولكن هل جميع المباحات تتناسب مع
الشخصية الإيمانية التي تعتقد بالإمامة ؟

وهذه نقطة مهمّة، وهي أنّ من يكون تابعاً لأهل البيت عليهم
السلام لا بدّ من أن يلتفت إلى أن ليس كلّ مباح يأتي به، فيختار
من المباحات ما تتناسب مع شخصية المؤمن، ويترك ما لا تتناسب
مع شخصية المؤمن .

إنّ من يعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام يعتقد أنّ الإمام عليه السّلام مُطَّلِعٌ على أعمال النّاس وأقوالهم، ويعتقد أنّ الأعمال تُعْرَضُ على الإمام عليه السّلام، فأعمال كلّ إنسان تُعْرَضُ على الإمام عليه السّلام، فملقك موجود أمامه عليه السّلام، وإذا كان الإنسان يعتقد أنّ الإمام عليه السّلام يطلّع على أعماله في آخر اللّيل فالفروض أنّه خلال اليوم يكون حريصًا على الأعمال التي يقوم بها، فهو يعلم يقينًا بأنّ هذا الملفّ سيُعْرَضُ على الإمام عليه السّلام، فيكون حريصًا على ما يوجد في الملفّ، هل يحتوي على بعض المحرّمات أو لا يحتوي، وهذا كما يقال لك بأنّ ملقك سيُعْرَضُ على الحاكم أو أحد الوزراء، وهذا الحاكم أو الوزير له سلطة عليك بحيث إنّه إذا رأى في ملقك بعض الأعمال التي لا يرضاها فإنّه يعاقبك، فإذا شخص كالحاكم أو الوزير يطلّع على أعماله فإنّه يكون حريصًا فما بالك حينما يكون الإمام عليه السّلام هو المطلّع على الأعمال؟!!

لا بدّ من أن نفكّر بأعمالنا قبل الإقدام عليها؛ لأنّ الإمام عليه السّلام سيطلّع في آخر اللّيل على أعمالنا، وهذا مهمّ للإنسان المؤمن؛ لأنّه يعطيه دافعًا لعدم ارتكاب المحرّمات، والإمام عليه السّلام حينما يطلّع على أعمال النّاس فإنّه يفرح للسلوك الصّالح الصّادر من المؤمنين، ويحزن للتصرّفات غير الصّالحة منهم، والمؤمن يريد أن يدخل الفرحة على قلب إمامه عليه السّلام، ولا يريد أن يحزنه بشيء، فإذا اعتقد المؤمن بهذا الاعتقاد فإنّه يكون حذرًا بتصرّفات وسلوكه، ولن

يرتكب أيّ فعل يضايق إمامه عليه السّلام أو لا يرضاه .

يقول الإمام المهديّ عليه السّلام : "ولو أنّ أشياعنا وفقّهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم" (١) .

فإذا أراد المؤمنون أن يظهر الإمام عليه السّلام بسرعة فلا بدّ من أن تكون قلوبهم متوحّدة مجتمعة، ويفعلون الواجبات ويتركون المحرّمات ويؤدّون تكاليفهم، وقد يقومون ببعض الأعمال التي يكرهها الإمام عليه السّلام، فإذا أرادوا أن يروا الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن تكون قلوبهم متّحدة حتّى يظهر الإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام من جهته لا توجد أيّ مشكلة، وإتّما المشكلة من جهتنا، والعيب موجود فينا، وما دام أنّ الإمام عليه السّلام لم يظهر لحدّ الآن فمعناه أنّه توجد نواقص وعيوب في المؤمنين بشكل عامّ، نعم هناك بعض المؤمنين ملتزمون بالدّين التزامًا كاملاً، ولكنّ المشكلة بالمؤمنين الآخرين الذين يكون التزامهم بالدّين ضعيفاً، فيرتكبون المحرّمات حتّى بعض الكبائر .

مثلاً صلة الأرحام من الواجبات، ومقاطعة الأرحام من الكبائر، فترى الأخ يقاطع أباه أو أمّه أو أخاه أو أخته أو عمّه أو خاله،

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٧ .

وحتى العرف لا يقبل بمقاطعة الأرحام، وطبعًا مقياسنا هو المقياس
الديني، ولو قاطعك أخوك فلا تقاطعه ولا تعامله بالمثل، وإذا كان لا
يستقبلك في بيته ولا يريد أن يكلمك في إمكانك أن ترسل له رسائل
في المناسبات، فصلة الأرحام لها وسائل متعددة .

وأحد الإخوة الأعزّاء قلت له : سلّم على أخيك .

فقال : أخي لم أراه منذ أسبوع .

قلت له : ألا تعيشان في نفس البيت ؟

قال : بلى، نعيش في نفس البيت، وغرفتي تقع مقابل غرفته .

وهذا أمر غريب مع أنّ الأخوين يعيشان في نفس البيت، وباب

غرفته مقابل باب غرفة أخيه، ولا يراه لمدة أسبوع .

قلت له : ألا تأكلان مع باقي الأسرة أثناء الغداء أو العشاء ؟

قال : لا، كلّ من يصل إلى البيت يأكل لوحده ثم يدخل إلى غرفته .

الوضع غريب، وقطع الرّحم هنا من أوضح الواضحات، وتقرأون

في الجرائد بعض الأخبار أنّ شخصًا مات بجرعة زائدة من المخدّرات

في غرفته وأهله لا يعرفون عنه منذ أسبوع أو أسبوعين، ومتى ما

خرجت رائحة جثته عرفوا عنه، مدّة أسبوع أو أسبوعين ولا يفتقدونه،

ومعنى ذلك أنّه لا توجد بينهم أيّ لقاءات، والعادة الاجتماعيّة

بالتقاء على الغداء والعشاء عادة جيّدة، وبعض العوائل عندها

لقاءات أسبوعيّة لجميع أفراد العائلة، وبعض الأزواج يعيشان في نفس

البيت مفصولين كالمطلّقين، وكلّ منهما في غرفة منفصلة، وعلاقتهما

مقطوعة، وتتفاقم المشاكل بينهما، ويقولان بأننا نعيش معًا من أجل الأولاد، وهذا غريب، ومع بعد التشبيه لو وضعنا حيوانين معًا في مكان واحد فإنهما يتآلفان، وبعض الأفلام تعرض كلبًا وقطًا يعيشان في نفس المكان ويلعبان معًا، وترى في بعض الأفلام قطًا مع دجاجة، أو كلبًا مع أسد، فكيف يعيش إنسان مع إنسان في بيت واحد ولا يتآلفان؟!

إنّ الإنسان المؤمن يكون مصدرًا للخير دائمًا، ولا يصدر منه الشرّ أبدًا، حتى لو آذاه أحد فهو لا يؤذيه، فالمؤمن الخير منه مأمول والشرّ منه مأمون كما في خطبة المتّقين المرويّة عن الإمام عليّ عليه السّلام .

إنّ الإمام المهديّ عليه السّلام يريد منّا أن نكون ملتزمين بالدين، وإذا كنّا نقول : اللهم عجل فرج وليّنا - فهذا الدّعاء ليس فقط عبارة عن كلمات ينطق بها الإنسان، فإذا كنت تريد تعجيل فرج إمامك عليه السّلام فالتزم بأحكام الدين، قم بالواجبات واترك المحرّمات، ولو أنّ المؤمنين يلتزمون بتكاليفهم ويتركون المحرّمات لظهر الإمام عليه السّلام؛ لأنّه من جهة الإمام عليه السّلام لا توجد مشكلة، والمشكلة موجودة في أنفسنا نحن، فهو عليه السّلام مستعدّ للظهور في أيّ وقت، ولكنّا نحن لسنا متهيّئين للظهور .

إذا ظهر الإمام عليه السّلام هل نستقبله ونريد منه أن يطبّق علينا أحكام الدين؟

إحدى النساء قيل لها : بيتكم كبير، وعددكم قليل، فإذا ظهر الإمام عليه السلام فسوف يأخذ طابقيًا من بيتكم، ويعطيه لعائلة محتاجة إلى السكن .

فقلت : إذن هذا ليس إمامًا؛ لأنّ الإمام عليه السلام إذا ظهر فإنّه يعطيني بيتًا ثانيًا .

التّصور الموجود هو أنّ الإمام عليه السلام إذا ظهر فإنّه يوزّع الخيرات على المؤمنين؛ لأنّ المؤمنين عاشوا مظلومين طوال التّاريخ، فيقولون بأنّه إذا ظهر الإمام عليه السلام فإنّه يعطينا ما نريد، فإذا كان عندك بيت فإنّ الإمام عليه السلام يعطيك بيتًا ثانيًا، ويعطيك الكثير من الخيرات، مع أنّ الروايات تقول بأنّه في عصر الظّهور سيكون عندنا عمل كثير، والنّاس سيعملون بكلّ جدّ وتعب .

عن المفضّل قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بالطّواف، فنظر إليّ، وقال لي : "يا مفضّل، ما لي أراك مهمومًا متغيّر اللون؟" . فقلت له : جُعِلْتُ فِدَاكَ، نظري إلى بني العباس، وما في أيديهم من هذا الملك والسّلطان والجبروت، فلو كان ذلك لكم لكنّا فيه معكم . فقال عليه السلام : "يا مفضّل، أما لو كان ذلك لم يكن إلّا سياسة اللّيل وسياحة النّهار وأكل الجشب ولبس الحشن، شبه أمير المؤمنين عليه السلام وإلّا فالنار، فَرُويَ ذلك عَنّا فصرنا نأكل ونشرب، وهل رأيت ظلامَةً جعلها الله نعمةً مثل هذا؟" (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٩ ح ١٢٧ .

بيان من العلامة المجلسي رضوان الله عليه : "إلا سياسة الليل" أي سياسة الناس وحراستهم عن الشرّ بالليل، ورياضة النفس فيها بالاهتمام لأُمور الناس، وتدبير معاشهم ومعادهم، مضافاً إلى العبادات البدنيّة، وفي التّهاية : السّياسة : القيام على الشّيء بما يصلحه، "وسياحة النّهار" بالدّعوة إلى الحقّ والجهاد والسّعي في حوائج المؤمنين، والسّير في الأرض لجميع ذلك، والسّياحة بمعنى الصّوم كما قيل غير مناسب هنا، "فَرُوي" أي صُرفَ وأُبعِدَ، "وهل رأيت" تعجّب منه عليه السّلام في صيرورة الظّلم عليهم نعمَةً لهم، وكأنّ المراد بالظّلامة هنا الظّلم، وفي القاموس : المظلمة بكسر اللّام كثمّامة، ما تظلمه الرّجل . انتهى

إنّ عمارة الأرض تكون على أيدي المؤمنين في عصر الظّهور، فالأرض تحتاج إلى زراعة، والمصانع تحتاج إلى عمّال، ولا يوجد خروج من العمل بدون عذر، بل عمل من أوّل الوقت إلى نهايته، فهل سيقبل النّاس الإمام عليه السّلام أو لا يقبلونه ؟

والعمل سيكون عملاً شاقّاً لعمارة الأرض، لا أنّ النّاس يجلسون في بيوتهم والإمام عليه السّلام يوزّع عليهم الرّواتب بلا عمل، فالنّاس سيعملون بجدّ، لذلك تخرج الخيرات من الأرض بشكل طبيعيّ لا عن طريق المعجزة، فالمنتوجات الزراعيّة ستكون بكثرة بحيث تكفي لجميع سكّان الأرض، ولن توجد مجاعات كما هو الحال اليوم، واليوم هناك دول ترمي القمح في المحيطات أو تقتل الحيوانات؛ لأجل أن تحافظ

على الأسعار مع أنّ المجاعة موجودة في عدّة دول كأفريقيا والهند وغيرها .

إن الاعتراف بالمهديّ عليه السّلام كإمام مفترض الطّاعة هو اعتراف بالنّبّي صلّى الله عليه وآله؛ لأنّ الإمام عليه السّلام هو امتداد له صلّى الله عليه وآله، وقد دعا النّبّي صلّى الله عليه وآله النّاس للتّمسك بالكتاب الكريم والعترة الطّاهرة كما في حديث الثّقلين .

عن الإمام عليّ عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إني امرؤ مقبوض، وأوشك أن أذعى فأجيب، وقد تركت فيكم الثّقلين، أحدهما أفضل من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يرثي عليّ الحوض" (١) .

إنّ الإمام المهديّ عليه السّلام يمثّل الحلقة الأخيرة من سلسلة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام، فعدد الأنبياء عليهم السّلام مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ، ولكلّ نبيّ وصي أو أوصياء، والإمام المهديّ عليه السّلام هو الذي سيحقّق حلم الأنبياء والأوصياء بالدّولة العالميّة العادلة التي لا يُظلم فيها إنسان واحد، وفيها ينتشر العدل والحقّ، وينتهي الظلم والباطل، والأنبياء والأوصياء السّابقون لم يستطيعوا أن يحقّقوا دولة العدل العالميّة، لأنّهم غير قادرين، بل لأنّ المواجهة من قبل أعدائهم كانت العقبة في تحقيق الدّولة العالميّة، لذلك لم يمكنهم أن ينشروا العدل في العالم، والإمام المهديّ عليه السّلام سيحقّق حلم

(١) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٣٢ ح ٦٨ .

الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام، والاعتراف به عليه السّلام هو اعتراف بتلك السّلسلة الممتدّة من أبينا آدم عليه السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السّلام، فالاعتراف به اعتراف بهم جميعاً، وإنكاره إنكار لهم جميعاً .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشماله شمالي، وسنّته سنّتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ، من أطاعه أطاعني، ومن عصاه عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذّبه فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدّقني، إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلّين لأمتي عن طريقتي، "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" (١) .

إنّ من ينكر الإمام المهديّ عليه السّلام فهو منكر لرسول الله صلّى الله عليه وآله .

وسأبيّن لكم هنا بعض المصطلحات التي تنفعكم، وعادةً في المحاضرات أحاول قدر الإمكان عدم استعمال المصطلحات الحوزويّة التّخصّصية؛ حتّى يتناسب الموضوع مع جميع المؤمنين، ولكن أبيّن هنا مصطلحين، وهما : العموم الجموعيّ، والعموم الأفراديّ أو الاستغراقيّ، أريد أن أبيّن الفرق بين هذين المصطلحين، الاعتقاد بالنبّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام مطلوب،

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣ ح ١٩ ، والآية الكريمة : الشعراء : ٢٢٧ .

فإذا أنكر واحدًا منهم فكأنه أنكر الجميع، فالاعتقاد بهم يكون على نحو العموم المجموعي، فيجب أن يعتقد بهم جميعًا، لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله : "ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني"؛ لأن الاعتقاد بالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يكون على نحو العموم المجموعي، فتوجد ملازمة بين الاعتقاد بالنبي صلى الله عليه وآله والاعتقاد بالإمام الأول والاعتقاد بالإمام الثاني إلى الاعتقاد بالإمام الثاني عشر .

وبعض العبادات تكون على نحو العموم الفردي الاستغراقي، مثلًا التصدق على الفقراء مستحب، فإذا تصدقت على فقير فإنك تحصل على الثواب، وإذا لم تتصدق على الفقير الثاني فلا تحصل على ثواب، فليس بالضرورة أن تتصدق على جميع الفقراء، ولا توجد علاقة ملازمة بين التصدق على الفقير الأول والتصدق على الفقير الثاني .

إن إنكار ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو إنكار لرسالة النبي صلى الله عليه وآله؛ لأن غرض النبي صلى الله عليه وآله هو تحقيق الهدف من الخلق، والهدف من الخلق هو العبادة الخالصة لله تعالى .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (١) .

غرض النبي صلى الله عليه وآله هو أن يعبد جميع الناس الله تعالى، وظهور المهدي عليه السلام سيكون لتحقيق غرض النبي صلى الله عليه وآله

(١) الذاريات : ٥٦ .

عليه وآله، وهو نشر عبودية الله تعالى بين الناس، فالاعتقاد بظهور الإمام المهديّ عليه السّلام هو اعتقاد بغرض التّبيّ صلى الله عليه وآله، فمن ينكر الظّهور فإنّه يكون منكرًا لهذا الغرض، وبالتالي يكون منكرًا للرّسالة التي جاءت لتحقيق هذا الغرض .

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو :

كيف يمكن للأمة أن تحقّق هذا الغرض - وهو نشر العبوديّة بين الناس - بدون القائد المعصوم المعيّن من الله عزّ وجلّ ؟
هل يمكن للناس أن يحقّقوا غرض الرّسالة بدون قائد معصوم معيّن من الله تعالى ؟

الجواب :

لنفرض أنّ المؤمنين يريدون نشر العدل في العالم، ولكن لا يمكنهم تحقيق ذلك بدون قائد، والعقل يقول بضرورة وجود القائد، والعرف يقول بذلك أيضًا، فلا يمكن تحقيق غرض عالميّ بدون قائد، ولا يمكن أن توجد دعوة ناجحة بلا قائد، فالقائد هو الذي يحرك الأفراد، إنّ الأمة بدون القائد لا يمثّلون إلاّ أفرادًا مبعثرين متفرّقين ليس لهم كيان واحد، ولا يجمعهم جامع واحد، وهم لا يستطيعون حفظ أيّ مصلحة تتعلّق بالمجموع، بل كلّ شخص يجرّ القرص والخبز إلى قصعته وصحنه، وبذلك تختلف مصالح الأفراد، وكلّ شخص يسعى إلى مصلحته الخاصّة ولا يفكر بالآخرين، لذلك تقع المشاكل بين الأفراد، وتقع الحروب بين أفراد الأمة؛ لأنّهم يسرون بدون القائد المعصوم،

فشخص واحد ظالم هو الذي يحرك الجيوش ويسبب الحروب في العالم، ولولا هذا الظالم لما تحركت الشعوب في طريق الباطل، وهذا هو القائد الذي ينشر الظلم، ويؤثر في الناس تأثيراً سلبياً، ونرى شخصين بينهما نزاع فينتقل هذا النزاع إلى جيوش ويتسبب بحروب دامية، وكم من الناس يموتون في هذه الحروب الباطلة، ويظل القائد سالماً باقياً على كرسيه، ويصدر الأوامر بانتقال الجيش من مكان لآخر، ولو راجعنا التاريخ لرأينا أن قتلة الأنبياء عليهم السلام هم من الأفراد الذين لا يحصلون على شيء، وإذا حصلوا فإنهم يحصلون على الفتات، وقادة الجيش هم الذين يحصلون على نصيب الأسد، مثلاً المحيطون بخيام الإمام الحسين عليهم السلام كان عددهم يتراوح بين عشرة آلاف وثلثين ألفاً أو أكثر من ذلك، ولكنهم لم يحصلوا على شيء في هذه الدنيا، وعمر بن سعد كان يريد ملك الرّي، ولكنه لم يحصل عليه، والجندي الموجود في الجيوش لا يحصل على شيء، ومع ذلك يذهب لقتال الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأتباعهم .

والقائد المعصوم يحرك الناس، ولكن يحركهم في الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق الحق ونشر العدل، فيؤثر في الناس تأثيراً إيجابياً، وحفظ المصلحة العامة التي ترجع إلى المجموع لا يعرفها إلا القائد المعصوم، ولا يمكن تحقيق الأفراد للأهداف بدون قائد، فالأمة لا تسير في طريقها الصحيح إلى هدفها المرسوم لها إلا بالقيادة المعصومة والتوجيه المعصوم، وذلك من أجل تحقيق الدولة العالمية العادلة ونشر الأمن

والعدل في أرجاء الأرض، والقائد يأخذ على يد الظالم ويرجع الحقّ إلى المظلوم، ولن يتحقّق ذلك إلّا على يد صاحب الزّمان عليه السّلام، جعلنا الله من أنصاره وأعوانه، فدولة العدل العالميّة لا يمكن أن تتحقّق بدون قائد معصوم، ويحتاج إلى أنصار يساعدونه في تحقيق هدفه السّامي .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥)

انتظار الفرج (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وأخذنا التكاليف الأول وهو الاعتراف بالإمام المهدي عليه السلام كإمام مفترض الطاعة، ونأتي الآن إلى التكاليف الأخرى .

التكاليف الثاني : الانتظار :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج" (٢) .

يوجد للفرج معنيان : معنى عام ومعنى خاص، والمعنى العام هو أن الإنسان إذا وقع في مشكلة فإنه ينتظر الفرج والحل من الله عز وجل؛

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٦ ذو الحجة ١٤٣٠ هـ ، ٤/١٢/٢٠٠٩ م .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٣ ح ٧ .

لأنّ أمور العالم كلّها بيد الله تعالى، والله سبحانه يبتليك والحلّ عنده تعالى، وعليك أن تتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء حتّى يحلّ لك هذه المشكلة، والبلاء يأتي من الله لاختبار الإنسان، وبعض الناس بلاءاتهم يومية، وبعضهم أسبوعية، وبعضهم شهرية، وبعضهم سنوية، والإنسان يُبتلى سواء كان مسلماً أم كافراً، والله عزّ وجلّ يريد أن ينبّه الإنسان الذي لا يعتقد به إلى وجود خالق لهذا الكون، فيبتليه لعله في لحظة ما يتوجّه إلى قوّة خارجة عن حدود الطّبيعة المادّية، فالتفت إلى عالم الغيب، ويرتبط بهذه القوّة الخارجيّة، ويعترف بوجود إله خالق لهذا الكون بعد أن كان غافلاً عنه، والإنسان المؤمن يُبتلى أيضاً، فهو يقول عن نفسه بأنّه مؤمن ويريد أن يكون من الأنصار ومستعدّ لظهور الإمام عليه السّلام، فيبتليه الله تعالى ليرى من نفسه أنّه فعلاً مؤمن ومستعدّ للظهور أو لا، وينتظر الفرج بالمعنى العامّ، وهو أن يحلّ الله مشكلته ويرفع بلاءه .

والمعنى الخاصّ لانتظار الفرج هو انتظار ظهور الإمام عليه السّلام، ففي أيّ لحظة من الممكن أن يظهر الإمام عليه السّلام، ومفهوم انتظار الفرج - بالمعنى الخاصّ - معناه التوقّع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهيّ بنشر العدل في العالم وحصول اليوم الموعود بظهور الإمام عليه السّلام في أيّ وقت .

سئل النّبّي صلّى الله عليه وآله : يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذرّيّتك ؟ فقال صلّى الله عليه وآله : " مثله مثل الساعة لا يجلبها

لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتكم إلا بغتة" (١) .
إنّ ظهور الإمام عليه السّلام يكون فجأةً، فلا يمكن لأيّ أحد أن
يُوقّتَ ظهوره عليه السّلام، والبعض يُوقّتُ الظّهور في بعض
السّنوات، فيقول في ٢٠١٢ م، والبعض يقول بأنّه إذا حدثت بعض
الأمر الفلكيّة فإنّ الإمام عليه السّلام سيظهر؛ لأنّها علامة من
علامات الظّهور، والبعض يقول إنّ الظّهور قريب، ولا يمكن أن
نعطي تاريخًا معيّنًا لظهوره عليه السّلام، والعلم عند الله تعالى، فالله
عزّ وجلّ يحدّد الوقت المناسب لظهوره عليه السّلام .

عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام : "أقرب ما يكون العباد
من الله وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة الله جلّ وعزّ، ولم
يظهر لهم، ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجّة
الله جلّ ذكره، ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحًا ومساءً، فإنّ
أشدّ ما يكون غضب الله عزّ وجلّ على أعدائه إذا افتقدوا حجّة الله
فلم يظهر لهم، وقد علم الله أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم
يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلا على رأس
شوار الناس" (٢) .

في أيّ لحظة من الصّباح أو المساء يمكن أن يظهر الإمام عليه
السّلام، ويوجد على المؤمن تكليف معيّن ما دام أنّ الإمام عليه

(١) بحار الأنوار ح ٤٩ ص ٢٣٨ .

(٢) الغيبة للشيخ محمّد بن إبراهيم النعمانيّ ج ١ ص ١٦٣-١٦٤ ح ٢ .

السَّلام سيظهر فجأةً، فيتوقَّع المؤمن حصول اليوم الموعود في أيِّ وقت يشاؤه الله عزَّ وجلَّ، فتكليف المؤمن بالإضافة إلى انتظار الفرج أن يكون مستعدًّا في كلِّ لحظة لظهور إمامه عليه السَّلام، فيجب على المؤمن أن يهيئ نفسه ليكون مستعدًّا في كلِّ الأوقات، فيصعد من إخلاصه ويُقوِّي إرادته حتَّى لا يأتيه الأمر على حين غرة، فيندم يوم لا ينفع النَّدم، فعليه أن يصعد إخلاصه لدينه وإمامه عليه السَّلام، ويقوِّي إرادته؛ لأنَّ الإمام عليه السَّلام لا يستعين بأناس ضعفاء، بل يستعين بالمؤمن القويِّ .

وإذا أدَّى المؤمنون تكليفهم بتهيئة أنفسهم وكانوا مستعدِّين في كلِّ وقت للظهور فإنهم سيوفرون الشرط الناقص للظهور وهو وجود الأنصار؛ لأنَّ الشرطين الآخرين للظهور متوفَّران، فالشرط الأوَّل هو وجود الرِّسالة العالميَّة وهي الإسلام وأحكامه الواقعيَّة، وقد تكون فتاوى الفقهاء مخالفةً للحكم الواقعيِّ ، لذلك في الرواية أنَّ الإمام عليه السَّلام يأتي بأمر جديد .

عن الإمام الباقر عليه السَّلام : "يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد . . ." (١) .

وليس المقصود من الأمر الجديد دين غير الدِّين الإسلامي، ولا يُقصدُ من الكتاب الجديد قرآن آخر غير القرآن الَّذي بأيدينا، بل المقصود هو أنَّه عليه السَّلام سيأتي بالأحكام الواقعيَّة لهذا الدِّين،

(١) الغيبة للنعمان ج ١ ص ٢٣٦ ح ١٩ .

وهي الأحكام الواقعية الموجودة في اللوح المحفوظ، والتي يريدنا الله تعالى، ويظهر للناس أنّها أحكام جديدة غير التي كانوا يعرفونها، فالناس كانوا يعملون بفتاوى الفقهاء، وأغلب الفتاوى هي أحكام ظاهرية، والإمام عليه السلام سيُظهر الأحكام الواقعية، ويزيل البدع، ويُطبّق الإسلام بعد أن كان مُغَيَّبًا من أنظمة الحكم في العالم .

إنّ الشرط الأوّل هو وجود الرّسالة العالميّة، والشرط الثّاني هو وجود القائد العالميّ الذي يُطبّق الرّسالة العالميّة وهو الإمام المهديّ عليه السلام، والإمام عليه السلام مستعدّ في كلّ لحظة للظهور بمجرد ما يأتيه الأمر الإلهيّ، فهو معصوم وعنده الاستعداد الكامل لتطبيق الرّسالة العالميّة، والمشكلة ليست من جهة الإمام عليه السلام، وإنّما المشكلة من جهتنا، وإذا لم يظهر الإمام عليه السلام فالعيب فينا، فهناك نواقص موجودة عند المؤمنين وهم غير ملتفتين إليها حتّى يمكن لهم أن يوقّروا شروط ظهور الإمام عليه السلام، فإذا توقّر الأنصار بالكمّ والكيف المطلوبين فإنّ الإمام عليه السلام سيظهر لا محالة؛ لأنّ العيب في المؤمنين حينما غاب الإمام عليه السلام حيث لم يكونوا متهيّئين لظهوره ولم يوقّروا أنصاره، فالعيب الموجود فينا يجب أن نتغلّب عليه حتّى تكون التّربة الصّالحة جاهزة للنبت الصّالح والأشجار الباسقة المثمرة .

إنّ الشرط الثّالث لظهور الإمام عليه السلام هو وجود الأنصار بالعدد الكافي والصفات المعينة، نعم يوجد ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدًا،

ولكن توجد أيضاً حاجة للجنود، والأنصار يتدرّجون مثل الهرم، يكون الإمام عليه السّلام على قمّة الهرم، ثمّ الثلاثمائة وثلاثة عشر يتلون الإمام عليه السّلام، ثمّ مثلاً سبعة آلاف، ثمّ سبعون ألفاً، وهكذا يتدرّج الأنصار بحسب إيمانهم وإخلاصهم واستعدادهم للتّضحية، ونظر المؤمن لا بدّ من أن يكون إلى القادة، وهذا المنصب بحاجة إلى صفات عالية، والإمام عليه السّلام سيرسل هؤلاء القادة كحكام في مختلف جوانب الأرض، ويستعين بهم لنشر العدل في العالم، لذلك لا بدّ من أن يوجد استعداد عند المؤمنين حتّى يكونوا متهيّئين لظهور الإمام عليه السّلام .

والإمام عليه السّلام لم يظهر لحدّ الآن، ومعنى ذلك أنّ النقص موجود في المؤمنين الذين يعتقدون بأنّه إمامهم، والمطلوب من كلّ مؤمن أن يلتفت إلى نفسه ليعرف ما هو النقص الموجود عنده، وبعد تشخيص نقصه يسعى للقضاء على هذا النقص وللحصول على الكمال، وهكذا يتكامل المؤمنون تدريجياً إلى أن يصلوا إلى النّقطة التي يحين فيها ظهور الإمام عليه السّلام، وما دام أنّ الإمام عليه السّلام لم يظهر فمعنى ذلك أنّ الأنصار لحدّ الآن لم يتوفّروا بالكمّ والكيف المطلوبين .

ومن أجل تغلّب الفرد على هذا النقص والحصول على الكمال وليكون على مستوى الانتظار لا بدّ من أن تتوفّر فيه ثلاثة جوانب حتّى يكون متهيّئاً لظهور الإمام عليه السّلام : الجانب العقائديّ،

والجانب النَّفْسِيّ، والجانب السَّلوكِيّ، وتأتي هنا العلوم الواجبة على المؤمن، وهي الفقه بأنواعه الثلاثة : الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، وبهذه العلوم الثلاثة يقوِّي المؤمن هذه الجوانب، ويتكامل ويصعد تدريجيًّا درجةً بعد درجة .

وهذه الجوانب الثلاثة هي :

أولاً : الجانب العَقَدِيّ (العقائديّ) :

هذا الجانب يتكوّن من ثلاثة أمور :

الأمر الأوّل : الاعتقاد بتعلّق الغرض الإلهيّ بإصلاح البشريّة وتنفيذ العدل المطلق :

إنّ الله عزّ وجلّ حينما خلق البشر أراد منهم أن يكونوا صالحين، وجعل فيهم قوى الخير وقوى الشرّ، وطلب منهم أن يستعملوا قوى الخير ويتركوا قوى الشرّ، والمطلوب من الإنسان أن يكون عادلاً على مستوى الفرد، وكذلك أراد الله تعالى من المجتمع أن يكون مجتمعاً عادلاً بحيث إنّ الفرد لا يُظلم ولا يُظلم في المجتمع، فيوجد عدل على مستوى الفرد، وعدل على مستوى المجتمع، والمطلوب من الفرد أن يكون عادلاً حتّى لو لم يعيش في مجتمع عادل، فأنت كفرد عليك أن تؤدّي تكاليفك حتّى لو كان جميع أفراد المجتمع لا يؤدّون تكاليفهم، وكلّما تدرّج الإنسان من الفرد العاديّ إلى المستوى العالي من الإيمان والعلم فالمطلوب منه العدالة من الدّرجة العليا، فالفرد العاديّ يفعل الواجبات ويترك المحرّمات، ولكن بالنسبة للعالم فإنّ المطلوب منه

بالإضافة إلى فعل الواجبات وترك المحرمات أن يأتي بالمستحبات ويترك المكروهات، وإذا صعد إلى درجة أعلى من الإيمان والعلم فإنه يأتي بالمباحات التي تتناسب مع شخصية المؤمن، ويترك المباحات الأخرى التي لا تتناسب مع شخصية المؤمن .

مثلاً إذا رأيت عالماً يأكل "سندويشة" وهو يمشي في الشارع فإنّ هذا العمل لا يتناسب مع شخصيته كعالم، وقد لا يصلّي البعض خلفه إذا رأوا منه هذا التصرف، نعم هذا التصرف لا يتعارض مع أفعال الشاب الذي يكون في مقتبل العمر، ولا يعاتبه أحد، والقاعدة هي أنّه كلما صعد الإنسان في المناصب الدنيوية فعليه أن يفعل بعض المباحات ويترك بعض المباحات قريبةً إلى الله تعالى، وليس كلامنا في المناصب الدنيوية .

ولا يشترط في الأنصار أن يكونوا من الذين يلبسون العمام، فالفرد من الأنصار فيه صفات معينة يهيئها في نفسه، فمن ناحية العقائد لا بدّ من أن يرسخها في نفسه، ومن ناحية الصفات القلبية المطلوب منه الأخلاق العالية، ومنها معرفة كيفية التعامل مع الأعمال الخارجية ومع الأحكام الشرعية، فيعرف كيف يتعامل مع المباحات .

والمؤمن إذا أراد أن يكون في المستوى العالي من الإيمان فلا بدّ من أن يعرف كيف يتعامل مع المباحات، فهناك بعض المباحات يأتي بها قريبةً إلى الله تعالى، وهناك بعض المباحات يتركها قريبةً إلى الله تعالى؛ لأنّ هذه المباحات لا تتناسب مع كونه قائداً من قادة الإمام عليه

السّلام، كما هو الحال في مرجع التّقليد الذي لا تتناسب بعض المباحات مع شخصيّته ومكانته العلميّة، وكذلك الحال في النّساء، لنفرض مؤمنة صالحة داعية تعطي دروسًا للنّساء وتقلّد مرجعًا يقول بجواز رقص النّساء أمام النّساء، فإنّه لا يتناسب مع شخصيّتها الاجتماعيّة ودورها كداعية أن ترقص أمام النّساء حتّى لو كان جائزًا من ناحية الفقه العمليّ، وقد توجد امرأة عاديّة ترقص أمام النّساء فإنّ هذا لا يؤثّر على النّاس؛ لأنّها لا تشغل منصبًا دينيًّا واجتماعيًّا، والنّاس سيتكلمون فيقولون إنّ هذه التي تعتبر نفسها داعيةً وتعلّم الناس وتدرّسهم ترقص أمام النّساء، فهي تؤثّر حتّى على الدّين .

والمؤمن الذي يريد أن يتصدّى للقضايا الاجتماعيّة والدينيّة في المجتمع لا بدّ من أن يعرف كيفيّة التعامل مع المباحات، فهناك بعض الأمور لا بدّ من أن يتركها حتّى لو كانت جائزةً من ناحية شرعيّة، فمن يكون متصدّيًّا لا بدّ من أن يتخلّى عن بعض المباحات، وإذا أراد أن يفعل هذه المباحات فيقال له لا تتصدّى حتّى لا تساهم في تشويه الدّين .

ومن يريد أن يتصدّى لا بدّ من أن يعرف شروط التّصدّي، فالمتصدّي يريد أن يتكامل حتّى يكون عاملاً في سبيل الله تعالى، ويريد أن يصل إلى درجة الأنصار، وإذا أراد أن يصبح من الأنصار فلا بدّ من أن يتخفّف من بعض الأمور المباحة، ويقوم ببعض المستحبّات التي تساهم في تكامله، ويترك المكروهات التي لا تساهم

في تكامله .

مثلاً بعض الأعمال كانت واجبةً على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وإن كانت مستحبةً لغيره، كصلاة الليل، والمتصدّي عليه أن يتعامل
مع بعض المستحبات ويلتزم بها كأنها واجبة، ويترك بعض المكروهات
كأنها محرمة .

ومن المستحبات السعي في قضاء حوائج المؤمنين، وعلى المتصدّي
أن يسعى في ذلك، ولا يقول بأنه لا دخل له بذلك، فمن يريد أن
يكون من الأنصار فلا بدّ من أن يسعى في قضاء حاجة إخوانه،
وهذه من صفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

عن معمر بن خلّاد قال : سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول :
"إنّ لله عبادةً في الأرض يسعون في حوائج النّاس، هم الآمنون يوم
القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة" (١) .

إنّ الله عزّ وجلّ ينسب هؤلاء العباد إليه، فمواصفات الأنصار
تختلف عن مواصفات الإنسان العاديّ، فالإنسان العاديّ قد لا يهتمّ
بحوائج النّاس أو يرى حاجاتهم ثقيلة عليه حتّى لو قضى حاجةً لأحد
أو أنّه يريد مصلحةً دنيويّةً من وراء قضاء الحاجة، وأمّا من يريد أن
يكون من الأنصار فهو يبحث عن المحتاجين، ويحاول أن يقضي
حاجاتهم، ولا ينتظر أن يأتي إليه المحتاج، وقضاء حوائج النّاس قرينةً إلى
الله تعالى يساهم في تكامله، فهو يجسّد صفات الأنصار في نفسه

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٣٢ ح ١٠٦ .

حتى يتكامل ويصل إلى مرتبة الأنصار؛ لأجل أن يختاره الإمام عليه السلام بسبب وجود هذه الصفات فيه .

ويجب الاعتقاد بأن الله سبحانه حينما خلق الكون كان له غرض من وراء هذا الخلق، وهذا الغرض لا يعود نفعه على الله تعالى؛ لأنّ الله غنيّ عن كلّ مخلوق ولا يحتاج إلى شيء، فيكون الغرض راجعاً إلى المخلوقين حتماً، وخلق الله عزّ وجلّ البشر ضمن الكون لغرض راجع إليهم، فالله عزّ وجلّ يريد منهم أن يصلوا إلى العبوديّة الكاملة له تعالى، وأن يصيروا معصومين من ناحية عمليّة .

يقول الله تعالى :

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (١) .

وإذا وصل الأفراد إلى درجة العبوديّة الكاملة ووصلت البشريّة إلى هذا المستوى من العبادة فإنّها بذلك تكون قد وصلت إلى درجة الصّلاح الذي أَرادَه اللهُ تعالى منهم، وإذا صلحت البشريّة انتشر العدل في أرجاء المعمورة، ولا توجد حاجة إلى القضاء والمحاكم؛ لأنّ الشّخص بنفسه يُرجِعُ الحقوق إلى الآخرين بدون الحاجة إلى حكم القاضي، فالنّاس يصبحون عدولاً، وَيُرجِعُونَ الحقوق بأنفسهم إلى من له الحقّ بدون أي قوّة خارجيّة، ففي عصر الإمام عليه السلام لا توجد حاجة إلى المحاكم، فإذا كان عليه واجب فإنّه سيؤدّي هذا الواجب، وإذا كان عليه حقّ للنّاس فإنّه سيرجع الحقوق إلى أصحابها،

(١) الدّاريات : ٥٦ .

ولن تحدث المشاكل المعاصرة الموجودة بين الناس اليوم في عصر ما بعد الظهور .

وفي وقتنا الحاليّ تجد بين بعض المؤمنين قضايا ماليّة، فترى اثنين من المؤمنين يصلّيان في نفس المسجد وبينهما مشاكل ماليّة، والمفروض على المؤمن أنّه إذا علم بأنّ فلاناً يطالبه مالاً أن يرجع إليه حقّه، فيسلّم بالحكم الشرعيّ ويرجع حقوق الآخرين، ولا توجد حاجة للمحكمة، ولنفرض أنّه في المحكمة حكم القاضي للظالم على المظلوم لعدم وجود حجّة عند المظلوم فهذا لا يكون داعياً لحليّة المال للظالم، وهذا المال يظلّ في ذمّته إلى أن يرجعه إلى المظلوم في الدّنيا أو في الآخرة، ولا يصحّ أن يقول بأنّ القاضي حكم لصالحه فهو حلال لي؛ لأنّ الظالم يعلم بأنّ هذا المال من حقّ المظلوم وليس من حقّه .

النتيجة :

الأمر الأوّل من الجانب العقائديّ هو الاعتقاد بتعلّق الغرض الإلهيّ بإصلاح البشريّة وتنفيذ العدل المطلق، والمطلوب من الفرد أن يصل إلى درجة العبوديّة الكاملة لله تعالى، وإذا وصل الأفراد إلى هذه الدّرجة فمعنى ذلك أنّ المجتمع يصبح مجتمعاً عادلاً، وإلى يومنا لا يوجد على الأرض مجتمع عادل بحيث لا نحتاج إلى المحاكم، وحتىّ الدّول التي تحاول أن تطبّق الإسلام لم تصل إلى هذه المرتبة العالية من العدالة، نعم قد تحقّق نسبةً من العدالة، ولكن لم يصل أيّ مجتمع لحدّ الآن إلى العدالة الكاملة، وحتىّ في القضاء لم نصل لحدّ الآن إلى

العدالة بسبب انتشار الرشاوى وتدخّل الواسطات وتقديم القويّ على الضعيف، فلم يتحقّق العدل في العالم لحدّ الآن، والنّاس اليوم في كلّ العالم بانتظار تحقيق العدل العالميّ، والإنسان المظلوم ينتظر العدل، ويعيش حالة الأمل بأنّه سيسترجع حقّه في يوم ما أثناء حياته أو بعد مماته، وهذا يؤدّي إلى الاعتقاد بوجود يوم في عالم آخر يسترجع فيه المظلوم حقّه من الظالم، فالأمر الأوّل من الجانب العقائديّ هو أنّ الغرض الإلهيّ يتعلّق بإصلاح البشريّة وتنفيذ العدل المطلق .

الأمر الثّاني : الاعتقاد بأنّ القائد المظفّر هو المهديّ عليه السّلام :

بعد أن كان غرض الله تعالى هو الصّلاح والعدل للبشريّة فلا بدّ من أن يُقيّضَ الله رجلاً لتحقيق هذا الغرض، وهذا الشّخص سيطبّق الرّسالة الإسلاميّة في العالم كلّه حتّى ينتشر العدل، فهو الذي سينشر العدل ويقضي على الظّلم، حتّى لو بقي يوم واحد على يوم القيامة فإنّ الله سيظهر هذا الشّخص الذي ينشر العدل .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "لو لم يبق من الدّهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما مُلئت جوراً" (١) .

ولا بدّ من أن يكون هذا الرّجل الذي ينشر العدل في العالم ممثلاً لقمة العدل والصّلاح حتّى يكون أهلاً لنشرهما؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه، ويجعل الله تعالى له من الصّفات الخلقية والخلقية التي تتناسب مع هذا الدّور العظيم، ومن ناحية الخلق أي من ناحية الجسم، وفي

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٠٢ .

الرّوايات أنّ جسمه جسم إسرائيليّ أي قويّ عظيم البنية كما كان موسى عليه السّلام .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "المهديّ رجل من ولدي، لونه لون عربيّ، وجسمه جسم إسرائيليّ، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دريّ، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، يرضى من خلافته أهل الأرض وأهل السّماء والطّير في الجوّ" (١) .

إنّ من يُقدّم على الحروب لا بدّ من أن يكون قويّ الجسم، والقائد العسكريّ له هيئة معيّنة، والله تعالى سيعطيه جسداً ضخماً قوياً حتّى تكون له هيبة، وهيئة الإنسان تؤثر على نفسيّة النّاس؛ لأنّهم يتوقّعون أن يكون القائد العسكريّ بهيئة معيّنة، ومن ناحية الخلق سيكون الإمام عليه السّلام بصفات أخلاقيّة عالية كصفات رسول الله صلّى الله عليه وآله .

ولا يمكن لشخص فاسق أن ينشر العدل، مثلاً لو كان يوجد قاضٍ فاسق منحرف فلا نتوّع منه أن يحكم بالعدل، فالشّخص الذي ينشر العدل في العالم لا بدّ من أن يكون عادلاً، ولا يمكن أن يكون فاسداً ويصلحه الله في ليلة فجأة، فينام فاسقاً ويقوم عادلاً، وهذا لا يمكن؛ لأنّ من يطبّق العدل لا بدّ من أن يكون عادلاً، بل أكثر من ذلك لا بدّ من أن يكون معصوماً لا يخطئ في تطبيق الرّسالة الإسلاميّة، ولا يكون إنساناً عادياً، وعنده عدالة كعدالتنا، وإمّا هو معصوم أوّلاً،

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٨٠ .

وثانيًا لا بدّ من أن يكون عالماً بجميع جوانب الرّسالة الإسلاميّة؛ لأنّه يريد أن يطبّق الأحكام الإلهيّة الواقعيّة، فعنده العلم والعصمة، ولا يمكن أن يكون فاسقًا جاهلاً، فهو عنده العدل المطلق ويطبّق العدل المطلق .

ولقد وردت الروايات المتواترة من طريق أهل البيت عليهم السّلام ومن غيرهم أنّ هذا الرّجل الذي يقضي على الظلم وينشر العدل في العالم هو الإمام المهديّ عليه السّلام، وأنّه الإمام الثّاني عشر من سلسلة خلفاء النّبّي صلّى الله عليه وآله، والاختلاف بين المدارس في اسم المهديّ عليه السّلام أنّه محمّد بن الحسن أو محمّد بن عبد الله .

من مصادر الشيعة :

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "الأئمّة من بعدي اثنا عشر، أوّهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح الله -تعالى ذكره- على يديه مشارق الأرض ومغاربها" (١) .

من مصادر أهل السنّة :

عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : "يخرج في آخر أمّتي المهديّ، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأئمّة . . ." (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٦ ح ١ .

(٢) المستدرک علی الصّحیحین للحاکم النّيسابوريّ ج ٤ ص ٦٠١ ح ٨٦٧٣، والحديث صحيح .

إذن :

الأمر الثاني من الجانب العقائديّ هو الاعتقاد بأنّ القائد المظفّر
هو الإمام المهديّ عليه السّلام .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٦)

التَّقبُّل النَّفسيّ والالتزام العمليّ بالإسلام^(١)

أعوذ بالله من الشَّيْطان الرَّجيم بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين .

إذا أراد المؤمن أن يكون مُؤَهَّلاً لأن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السَّلام فلا بدّ من أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى .

وقلنا بأنّ التَّكليف الأوّل هو الاعتراف بالمهديّ عليه السَّلام كإمام مفترض الطَّاعة، والتَّكليف الثَّاني هو الانتظار، وفي انتظار الإمام المهديّ عليه السَّلام هناك عدّة جوانب لا بدّ من أن تتوفّر في الفرد حتّى يكون مُؤَهَّلاً لأن يصل إلى درجة الأنصار، والجانب الأوّل هو الجانب العقائديّ، والجانب الثَّاني هو الجانب النَّفسيّ، والجانب الثَّالث هو الجانب العمليّ السَّلوكيّ، وبدأنا بالجانب العقائديّ، وهذا

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة بيان، الجمعة ٢٣ ذو الحجّة ١٤٣٠ هـ ، ١١/١٢/٢٠٠٩ م .

الجانب يتكوّن من ثلاثة أمور : الأمر الأوّل هو الاعتقاد بتعلّق الغرض الإلهيّ بإصلاح البشريّة وتنفيذ العدل المطلق، والأمر الثاني هو الاعتقاد بأنّ القائد المظفّر هو الإمام المهديّ عليه السّلام .

ونأتي إلى الأمر التّالي في الجانب العقائديّ، وهو :

الأمر الثالث : الاعتقاد بأنّ الإمام المهديّ عليه السّلام هو محمّد ابن الحسن العسكريّ عليه السّلام :

هذا الاعتقاد من ضروريّات مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، فكلّ من يكون من أتباع أهل البيت عليهم السّلام يعتقد بهذا الاعتقاد، ويؤيّد به بعض علماء أهل السنّة ، وقد ذكرهم الشّيخ حسين الطّبرسيّ النّوري في كتابه "النّجم الثّاقب" حيث ذكر ثلاثين مصدرًا من مصادر أهل السنّة ورد فيها أنّ الإمام المهديّ عليه السّلام هو محمّد بن الحسن عليهما السّلام (١) .

إذن :

الجانب الأوّل هو الجانب العقائديّ .

ويتكوّن من ثلاثة أمور : الأمر الأوّل هو الاعتقاد بتعلّق الغرض الإلهيّ بإصلاح البشريّة وتنفيذ العدل المطلق، والأمر الثاني هو الاعتقاد بأنّ القائد المظفّر هو الإمام المهديّ عليه السّلام، والأمر الثالث هو الاعتقاد بأنّ الإمام المهديّ هو محمّد بن الحسن العسكريّ عليهما السّلام .

(١) النّجم الثّاقب ج ١ ص ٤٦٠-٤٨٤ .

ثانيًا : الجانب النفسي :

وهذا الجانب يقوم على أمرين :

الأمر الأول : تقبّل تطبيق الأطروحة عليه كواحد من البشر :

إنّ الفرد لا بدّ من أن يتقبّل نفسيًّا تطبيق الأطروحة الإسلاميّة الكاملة عليه باعتباره واحدًا من البشر، فحينما يأتي الإمام المهديّ عليه السّلام وينشر العدل بتطبيق الإسلام بحذافيره سيكون هذا الفرد أحدهم، فهل سيرضى بهذا التّطبيق أم أنّه سيرفضه نفسيًّا؛ لأنّه يتعارض مع رغباته؟!

إنّ المطلوب من الفرد أن يسلم تسليمًا تامًّا كاملًا للأحكام الإسلاميّة ولحكم وقيادة الإمام المهديّ عليه السّلام وإن لم يكن هو من الدّاعين إليها والمضخّين في سبيلها، فهو قد لا يسعى إلى نشر وتطبيق الأطروحة على الأرض، ولا يكون من الدّعاة إلى هذا الدّين والناشرين لأحكامه، ولكنّه سيكون من المتقبّلين لهذه الأحكام عند تطبيقها، وهذا هو الحدّ الأدنى من الإيمان بأن يتقبّل الإنسان الحكم الشرعيّ إذا تمّ تطبيقه عليه .

وبعض النّاس قد لا يقبلون بعض الأحكام الشرعيّة؛ لأنّ رغباتهم تتعارض مع هذه الأحكام، وبعض المؤمنين إذا وقع في مشكلة ماليّة مع أخيه المؤمن وقلت له إنّ هذا هو الحكم الشرعيّ - يقول لك بأنه لا يقبل هذا الحكم وعليك الدّهاب إلى المحكمة، مع أنّ الحكم الشرعيّ يكون واضحًا، ويمكن حلّ المشكلة خلال دقيقة واحدة

بدون الذّهاب إلى المحكمة، ولكن بعض النفوس لا تقبل تطبيق الحكم الشرعيّ، فيضطرّ أحدهما للذّهاب إلى المحكمة ليأخذ حقّه، وتطول القضايا في المحاكم من أشهر إلى سنوات، والمؤمن يجب أن يتقبّل تطبيق الأطروحة الإسلاميّة عليه، ويجب أن يكون عنده التّسليم الكامل للأحكام الشرعيّة، والإمام المهديّ عليه السّلام سينشر العدل وأنت ستأخذ حقّك، ولكن في نفس الوقت يجب أن ترجع حقوق الآخرين .

فهل تقبل ذلك وتسلّم بالحكم الشرعيّ تسليمًا كاملًا ؟
وحثّي في عصر الغيبة الكبرى يجب أن يسلم المؤمن بجميع الأحكام الشرعيّة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (١) .

يجب أن توجد عند المؤمن حالة التّسليم الكامل للأحكام الشرعيّة، والتّسليم الكامل للقائد العالميّ الذي يطبّق هذه الأحكام .

الأمر الثّاني : بدء تطبيق الأطروحة العادلة في أيّ وقت :

على الفرد أن يتوقّع ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام في أيّ وقت، فهو كالسّاعة لا يأتي إلّا بغتةً كما في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام .

(١) النّساء : ٦٥ .

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ؟ فَقَالَ : "مِثْلُهُ
مِثْلُ السَّاعَةِ، لَا يَجْلِيهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ، تُقْلَتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَةً" (١) .

إنّ توقّع الفرد لظهور الإمام عليه السّلام يعني توقّع تطبيق
الأطروحة الإسلاميّة في أيّ وقت من الأوقات، فهو يتوقّعه غدًا وبعد
غدٍ كما يتوقّعه الآن، فالتوقّع عنده مستمرّ في كلّ آنٍ، فالآنات
واللحظات عنده متكافئة من حيث التوقّع .

وهذا التوقّع لا يعني مجرّد التوقّع النظريّ في عالم التّصوّر، بل يعني
أيضًا تقبّل التطبيق عليه، وهو توقّع نظريّ يتبعه عمل، فهو توقّع
عمليّ أيضًا؛ لأنّه يتطلّب منه أن يقوم بأداء أعمال معيّنة عن طريق
تطبيق الأطروحة على نفسه أولًا ثمّ تطبيقها على الآخرين .

إنّ ظهور الإمام عليه السّلام لا يعني الرّاحة والحياة المترفة كما
يتصوّر الكثيرون، بل هو عمل؛ لأنّ الأراضي لا بدّ من أن تُزرع،
والمصانع لا بدّ من أن تُبنى؛ حتّى تنتشر الخيرات بين النّاس، ويحصل
كلّ إنسان على حقه من الرّزق، وهو جهاد لنشر العدل وتطبيق
الأطروحة على البشر، ولا تأتي الخيرات عن طريق المعجزة بحيث إنّ
الإمام عليه السّلام يدير خاتمه والأرض تصبح مزروعةً بأنواع الثّمار
والفواكه المختلفة، فالأرض تحتاج إلى جهود المزارعين، والمصانع تحتاج

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٤ ح ٤ .

إلى جهود الفئتين، وبذلك تصبح الحياة الاجتماعية والاقتصادية على
خَيْرٍ وَجْهِ .

إذن :

المؤمن لا بدّ من أن يتوقّع ظهور الإمام عليه السّلام في أيّ وقت،
وهذا لازمه الاستعداد للعمل، فلا يوجد كسل وراحة، فبعد الظهور
يوجد عمل كثير، فإذا كنت تتوقّع ظهوره عليه السّلام في أيّ وقت
فعليك أن تكون مستعدّاً للعمل والبناء، ولا بدّ من أن يكون التّهيؤ
قبل ظهوره عليه السّلام، والمؤمن لا بدّ من أن يتقبّل تطبيق الأطروحة
الإسلامية عليه، ويكون عنده توقّع بأنّ الإمام عليه السّلام سيظهر في
أيّ وقت من الأوقات .

ثالثاً : الجانب العملي :

وهذا الجانب يتمثّل في ثلاثة أمور، وهي :

الأمر الأوّل : الالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية في كلّ عصر :
المؤمن يكون ملتزماً بالدين في زماننا الحاليّ، لا في الجانب العباديّ
فقط، فالجانب العباديّ سهل، فخلال خمس دقائق تنتهي من أداء
الصّلاة، ولكن السؤال هو :

هل هذه الصّلاة تؤثر فيك أو لا تؤثر ؟

هل هذه الصّلاة تنهاك عن الفحشاء والمنكر أو لا ؟

وبالإضافة للجانب العباديّ يوجد فقه للعلاقات الاجتماعية
داخل البيت وخارجه، وفي المجتمع هناك أحكام تحكم الإنسان، ولكن

نظر المسلمين يكون إلى الجانب العبادي فقط، والفرد يؤمن بأنه عندنا رسالة عالمية، ويؤمن بوجود إمام سيظهر ويطبّق هذه الرسالة العالمية على جميع البشر في جميع أرجاء الأرض، ولكن يشترط أن يكون المؤمن ملتزمًا ومطبّقًا لهذه الأحكام الشرعية على نفسه في كل عصر ووقت حتى يصير من أنصار الإمام عليه السلام، فيطبّقها على أقواله وأفعاله وعلاقاته؛ لأنّه يعلم أنّ هذه الأطروحة هي الحقّ، فيلتزم بها لا أنّه يلتزم مرّةً بالحكم الشرعيّ ومرّةً بالحكم الشخصيّ الذي يخترعه ويتناسب مع رغباته، والمؤمن يطبّق الأحكام على نفسه في كلّ وقت لا في وقت دون وقت، ففي كلّ حركاته وسكناته يحتاج إلى الحكم الشرعيّ .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : ". . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلاّ وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . ." (١) .

أيّ حركة يريد أن يقوم بها الإنسان هناك حكم شرعي ديني يحتاج إلى معرفته حتى يتحرك على أساسه، فالمؤمن يكون مطبّقًا للأحكام الشرعية الدينية على حياته في كلّ زمان ومكان، ولا يؤجّل التطبيق إلى ما بعد ظهور الإمام عليه السلام، بل يطبّق الأحكام أثناء حياته، لأنّه يعتقد أنّ هذه الأطروحة هي الحقّ، والحقّ ليس دائماً لصالحك، فأحياناً يكون الحقّ ضدّك، فهل تتقبّل أن يكون الحقّ ضدّك ويجب عليك أن تُرجع حقوق الآخرين!؟

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

على كل إنسان أن يؤمن بالله تعالى ويكون متبعا للحق في كل حركاته وسكناته وسائرا على هدي الحق وطريقه، والإيمان لا يقتصر على الناحية النظرية في عالم التصورات، نعم هناك جوانب نظرية في الدين، كالاتقاد بوجود خالق لهذا الكون، وهذا الاتقاد ينتقل إلى القلب ويتسّخ فيه، والاتقاد بالله تعالى له جانب نظري من جهة، ومن جهة أخرى له جانب آخر عملي، كالصلاة، فالإنسان يصلي؛ لأنه يعتقد بالله تعالى، وهناك أمور عملية تكون أثرا لهذا الجانب النظري .

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : "الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان" (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالجوارح" (٢) .

إنّ الإيمان اعتقاد وعلم وعمل، فيعتقد قلبيا، واللسان ينطق بالشهادتين، والجوارح تعمل بالأركان والواجبات وتترك المحرمات، ويتكامل المؤمن بواسطة اعتقاداته وأقواله وأفعاله، ولا بدّ من أن يعرف المؤمن كيفية التعامل مع المباحات؛ حتّى يصعد تدريجيا على سلم التكامل، ويكون نظره إلى قمة الكمال .

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٦٨ ح ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ح ٢٢ .

والمؤمن لا يؤجّل العمل إلى ما بعد ظهور الحجّة عليه السّلام، فالعمل مطلوب قبل الظهور أيضاً؛ لأنّ العمل هو الذي يمهد أرضيّة الظهور حيث إنّ العمل يؤهّل المؤمن ليكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وتكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يمهد الأرضيّة لظهور إمامه عليه السّلام، فإذا كان يعمل بهذا الدّين فإنّه يكون قد أدّى تكليفه، والنّاس سيرون أنّ هذا الإنسان متمسّك بالدّين، فيكون من الدّعاة الصّامتين، وبعض النّاس سيهتدون تأثراً بعمله، والمؤمن بالتزامه بالدّين يؤثّر على الآخرين، وحينما يلتزم بدينه يؤهّل نفسه ليكون من الأنصار، وتدرّجياً من خلال العمل والحركة يكتسب الإرادة القويّة والإخلاص الحقيقيّ حتّى لو كانت الأحكام الدّينيّة ضدّ مصلحته ورغباته، وهذا الإخلاص يؤهّله لتحمل المسؤوليّة قبل الظهور وأثناء الظهور وبعد الظهور .

إذن :

الأمر الأوّل في الجانب العمليّ السلوكيّ هو الالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهيّة في كلّ وقت .

الأمر الثّاني : مراقبة النّفس لكي لا يكون عاصياً لقائده :

القائد حاضر موجود فتحتاج إلى مراقبة نفسك، والنّفس بحاجة إلى مراقبة دائمة، وعلى المؤمن أن لا يغفل لحظة عن نفسه، وبمجرّد ما يغفل عن نفسه فإنّه يغفل عن الله تعالى، وإذا غفل عن الله تعالى فمن الممكن أن يعصي الله ويرتكب المحرّمات .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من عرف نفسه فقد عرف ربه، . . ." (١) .

إنَّ المطلوب من الإنسان أن يكون مَطَّلَعًا على شؤون نفسه، وتكون نفسه تحت رقابة مستمرة حتى لا تصل إلى مرحلة العصيان، فيراقب نفسه حتى لا يكون عاصيًا لله تعالى ومخالفًا لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِمَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

والمؤمن يعتقد بأنَّ الإمام المهديَّ عليه السَّلَامُ هو الذي سيَطْبِقُ الرِّسَالَةَ الْعَالَمِيَّةَ، ويعتقد بأنَّ إمامه حيٌّ ومعاصر ومراقب له ومطلع على أعماله، وأنَّ صحيفة أعماله تُعْرَضُ عليه كما في روايات عرض الأعمال على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلَامُ : "تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَعْمَالُ الْعِبَادِ، كَلَّ صَبَاحٍ، أَبْرَارِهَا وَفَجَّارِهَا، فَاحْذَرُوهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : "اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ" (٢) " (٣) .

عن يعقوب بن شعيب قال : سألت أبا عبد الله عليه السَّلَامُ عن قول الله : "اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٤) .

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢ ح ٢٢ .

(٢) التَّوْبَةُ : ١٠٥ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٢١٩ ح ١ . فاحذروها : احذروا الأعمال .

(٤) التَّوْبَةُ : ١٠٥ .

قال عليه السّلام : "هم الأئمة" (١) .

عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : سمعته يقول : "ما لكم تسوؤون رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟" . فقال رجل : كيف نسوؤه ؟ فقال عليه السّلام : "أما تعلمون أنّ أعمالكم تُعَرِّضُ عليه، فإذا رأى فيها معصيةً ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله وسرّوه" (٢) .

عن عبد الله بن أبان الزّيّات قال : قلت للرّضا عليه السّلام : ادعُ الله لي ولأهل بيتي . فقال : "أولستُ أفعل ؟، والله إنّ أعمالكم تُعَرِّضُ عليّ في كلِّ يومٍ وليلة" . قال : فاستعظمت ذلك . فقال عليه السّلام لي : "أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ : "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٣) ؟" . قال عليه السّلام : "هو والله عليّ بن أبي طالب" (٤) .

ملقك يُعَرِّضُ عليّ إمامك عليه السّلام، وأنت تريد أن تدخل السرور في قلب إمامك عليه السّلام، وحينما يرى الإمام عليه السّلام أنّ أتباعه متمسّكين بالدين فيدخل السرور في قلبه، ولكن إذا رأى أنّ أتباعه لا يلتزمون بالدين فسيكون حزيناً، فيكون إمامك مسروراً إذا كانت أعمال المؤمنين صالحةً، وحزيناً إذا كانت أعمالهم طالحةً .

(١) الكافي ج ١ ص ٢١٩ ح ٢ .

(٢) المصدر السابق ح ٣ .

(٣) التوبة : ١٠٥ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠ ح ٤ .

يقول الإمام المهديّ عليه السّلام : "ولو أنّ أشياعنا وقّحهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يجبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم" (١) .

فإذا كان المؤمنون مجتمعين في الوفاء بالعهد للإمام عليه السّلام فإنّه يظهر ولا يتأخّر عليهم، وما يؤخّر ظهوره هو الأعمال الطّالحة لأتباعه، فالإمام عليه السّلام يرى أعمال أتباعه المعتقدين به، فإذا رأى صحيفة المؤمن صحيفةً بيضاء فالسّرور يدخل في قلبه، والإمام عليه السّلام يعرف إذا كان هذا المؤمن مؤهّلاً لأن يكون من الأنصار فيختاره ليكون من أنصاره، أو لا يكون من الأنصار فلا يختاره، وقد يتّصل بهذا المؤهّل بطريقة ما حينما يرى فيه الإيمان والإخلاص، والمؤمن يرجو أن يكون مؤهّلاً لاختيار الإمام عليه السّلام .

وفي بحار الأنوار للعلامة المجلسيّ قدّس سره يمكنكم قراءة القصص التي تروي لقاءات الإمام المهديّ عليه السّلام ببعض النّاس، فتجد أنّ الإمام عليه السّلام يلتقي بحارس مدرسة مثلاً، فحارس المدرسة يمكن أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، وقد يكون المؤمن أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، ومن لا يقرأ يفقد بعض المعلومات الحسوليّة، ولكن هناك علم آخر يكتسبه المؤمن بسبب تقواه .

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٧ .

يقول القرآن الكريم :

" . . . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ . . . " (١) .

فإنَّ الله تعالى يعطي الإنسان علماً وبصيرةً إذا كان متمسكاً بدينه، وهذا العلم غير مرتبط بالقراءة والكتابة .

وتجد أنّ الإمام عليه السّلام يلتقي بصاحب دكان، فصاحب الدّكان يمكنه أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ونصرة الإمام عليه السّلام غير مرتبطة بلبس العمامة وعدم لبسها، فقد يكون المؤمن المعتم من الأنصار، وقد لا يكون معتمًا ويكون من الأنصار، وقد يكون الإنسان معتمًا وهو يعمل ضدّ الدّين، فالعمامة ليست مقياسًا، وإيمان الإنسان وتقواه غير مرتبطين بكونه عالم دين، فتجد إنسانًا بسيطًا من الأنصار؛ لأنّه متمسك بجميع أحكام الدّين .

والمؤمن لا بدّ من أن يراقب نفسه؛ لأنّه يعلم أنّ الإمام عليه السّلام مطّلع على أعماله، لذلك يسعى ليكون على مستوى المسؤولية في جميع أوقاته؛ حتّى لا يكون عاصيًا لقائده، وليدخل السرور في قلبه، وهذا الإحساس بمراقبة قائده له يُسرّع بالفرد إلى النتيجة المطلوبة، وهي الوصول إلى الدّرجة التي تؤهّله ليكون من الأنصار حينما يرضى الإمام عليه السّلام عنه، فرضا الإمام عليه السّلام هو رضا الله تعالى، ورضا الإمام عليه السّلام ليس مفصّلاً عن رضا الله تعالى؛ لأنّ الله عزّ وجلّ عينه إمامًا للمسلمين بل لجميع النّاس في العالم، فرضا الإمام

(١) البقرة : ٢٨٢ .

عليه السّلام هو عين رضا الله سبحانه، ونصرة الإمام عليه السّلام هو في الواقع نصرة الله عزّ وجلّ لا أنّها منفصلة عنه بل هي هي، وإذا صار المؤمن ناصرًا لله ولنبيّه ولإمامه انطبقت عليه الآية الكريمة وصار من مصاديقها :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" (١) .
إذا نصر المؤمن هذا الدّين فالله عزّ وجلّ يعطيه الإمداد الغيبيّ، ومن يعمل لله تعالى فالله يدافع عنه .
يقول القرآن الكريم :

"إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . ." (٢) .

فتعرف أنّه يوجد إمداد غيبيّ للمؤمن، وقد يكيّد له شخص بعض المؤامرات، ولكنّ الله له المرصاد، فتفشّل مؤامراته وخططه، والمؤمن ما دام مرتبطًا بالله ومتمّصلاً به فلا يخاف من مكائد أعدائه، وسيكون النّصر حليفه بالتأكيد، وسيكتب الله النّصر للحجّة عليه السّلام ولأنصاره؛ لأنّهم نصروا الله تعالى، فنصرهم الله على أعدائه .

وإذا كان الفرد في عصر الغيبة على مستوى المسؤوليّة فإنّه يحقّق الخير لنفسه في دنياه وآخرته، ويكون في راحة نفسيّة في هذه الدّنيا، والإنسان الذي يعاني من العقد النفسيّة تكون علاقته بالله ضعيفة، والمرض النفسيّ الذي يصيب الإنسان يكون نتيجة عدم ارتباطه بالله

(١) محمّد : ٧ .

(٢) الحجّ : ٣٨ .

تعالى، ولا يمكن الحصول على الاطمئنان القلبي إلا عن طريق الارتباط بالله تعالى، ولا يوجد طريق آخر للحصول على الاطمئنان القلبي .

يقول القرآن الكريم :

"الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (١) .

وقد يكون في الدنيا فقيراً، ولكنه يعيش القناعة، والإنسان المؤمن في أي وضع يقدره الله له يكون مرتاح البال مطمئن القلب ومهما كانت المشاكل المحيطة به؛ لأنه يعلم بأن الله مدبر الأمور، وحينما يتولي الله الإنسان بمشكلة فإنه يرسل الحل له، فالله يريد أن يختبر إيمانه، ويستفيد من البلاء ليصعد في الدرجات الإيمانية، ودوام الحال من المحال، والدنيا تنقلب بأهلها من حال إلى حال، وتتغير حالات الإنسان من سنة إلى أخرى بل من يوم إلى آخر، والله عز وجل هو المتكفل بتدبير أمور جميع الناس، والمؤمن لا يخاف مهما كان حجم المشاكل؛ لأنه يعلم بتدبير الله لجميع أمور، فلا يعيش القلق النفسي، وسيكون له الثواب الجزيل في آخرته، وسيحقق الخير لأُمَّته وللبنية؛ لأنه إذا صلح الأفراد فإن المجتمع يكون بخير، ويعيش جميع أفراد المجتمع في أمن وطمأنينة، فالمجتمع عبارة عن الأفراد .

ومثل هذا الفرد الملتزم بالدين والذي عنده مراقبة لنفسه ولا يعصي قائده ومثل هذا المجتمع سينالان رضا الإمام المهدي عليه السلام؛ لأن

(١) الرعد : ٢٨ .

هذا الفرد سيصل إلى درجة الأنصار سواء ظهر الإمام أم لم يظهر،
فإذا ظهر الإمام عليه السلام في حال حياة هذا الفرد فإنه سيكون من
الأنصار، ولو مات فإنه يُكْتَبُ في صحيفته أنه من الأنصار،
وَسَيُحْشَرُ مع أنصار الإمام المهدي عليه السلام حتى لو لم يدرك
ظهوره عليه السلام .

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٧)

النجاح في التمحيص الإلهي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ذكر فيه غيبة القائم عليه السلام، قال زرارة : فقلت : جُعِلْتُ فداك، فإن أدركت ذلك الزمان فأبى شيء أعمل ؟ قال : "يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء : اللهم عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فإنك إن لم تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لم أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللهم عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فإنك إن لم تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لم أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللهم عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فإنك إن لم تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عن ديني" ^(٢) .

كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وتناولنا

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٦ ذو القعدة ١٤٣١ هـ ، ١٥/١٠/٢٠١٠ م .

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٢٦ ح ٢ .

مجموعةً من التكاليف، والتكليف الأول هو اتخاذ المهدي عليه السلام إمامًا مفترض الطاعة، والتكليف الثاني هو الانتظار الإيجابي لظهور الإمام عليه السلام .

وكان الكلام في الجانب الاعتقادي والجانب النفسي والجانب العملي السلوكي ، وفي الجانب السلوكي تناولنا أمرين .
الأمر الأول هو الالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية في كل عصر، فالمؤمن في عصر الأئمة عليهم السلام كان يصلي، وفي زماننا الحالي يصلي أيضًا .

وتوجد تكاليف أخرى على المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، فالمطلوب من المؤمن أن يكون إنسانًا عالمًا عاملاً لا أنه يكتسب العلم فقط، بل لا بد من أن يعمل بعلمه، وعادةً ما تكون عند الإنسان معلومات ذهنية أكثر من عمله، مثلًا نعرف كثيرًا من المستحبات، ولكن نعمل بالقليل منها، فبشكل عامّ معلومات الإنسان في ذهنه أكثر من عمله، حتى العلماء لا يمكنهم العمل بجميع المستحبات؛ لأنها كثيرة لا يتسع الوقت للإتيان بجميعها، فيعمل ببعض المستحبات ويترك بعضها، وإذا أراد أن يطبق جميع الأعمال الموجودة في كتاب "مفاتيح الجنان" فإنه يشغل طوال اليوم بقراءة الأدعية وكأنه لا يوجد عنده عمل آخر، ولكن يمكن أن تنقلب كل حياة الإنسان إلى عبادة، فتصوّر الناس عن العبادة أنّ الإنسان إذا صلى أو قرأ القرآن أو تصدّق على الفقراء يكون عابدًا، ولا ينظرون إلى أنه في التعامل

مع الزوجة والأولاد والناس توجد عبادة أيضًا، وحتى حينما يذهب الإنسان إلى عمله يوميًا يمكنه أن يجعله عبادةً إذا تقربَ بذلك إلى الله تعالى، فحياة الإنسان كلها تنقلب إلى عبادة، فالعبادة ليست مختصةً بالعبادات المخصوصة من صلاة وصيام وحجّ وغيرها، فتوجد عبادة عامة، وحياة الإنسان عبارة عن عبادة عامة، والحكم الشرعي غير مختصّ بالعبادات المخصوصة، فالعبادات العامة تحتاج إلى معرفة أحكامها الشرعية، ففي البيت كيف يتعامل مع زوجته وأولاده يحتاج إلى أحكام شرعية، والدّين ليس ناقصًا، فالأحكام الشرعية في مختلف مجالات الحياة موجودة في الدّين، نعم قد لا تُطرح في أحاديثنا، وعادةً ما إذا أردنا أن نبدأ دراسة الرسالة العملية نبدأ من التقليد ونستمرّ إلى آخر الرسالة العملية، والنكاح يعتبر من المعاملات، ويوجد نوعان من العبادات : عبادات مقرونة بالنية، وهي كتاب العبادات من الرسالة العملية، وعبادات غير مقرونة بالنية، وهي كتاب المعاملات من الرسالة العملية، فلا تشترط في عقد البيع نية التقرب إلى الله تعالى، والمعاملة عبادة أيضًا، ومن كلمة "المعاملة" نتوهم أنّها ليست عبادةً، بل هي عبادة غير مشروطة بنية التقرب، والصلاة عبادة مشروطة بنية التقرب، فالتقسيم إلى عبادات ومعاملات يوهم بأنّ المعاملات ليست عبادة، والأفضل تقسيم الرسالة العملية إلى : عبادات مقرونة بالنية، وعبادات غير مقرونة بالنية، والتقسيم قد يوهم أحياناً بشيء خلاف الواقع، مثلاً حينما نقسم العلوم الدينية الواجبة على المؤمن إلى عقائد

وأخلاق وفقه فإنّ هذا التّقسيم يوهم المؤمنين بأنّه حينما نقول فقه فإنّ المطلوب هو الفقه العمليّ فقط حيث ينصرف الدّهن إلى الرّسالة العملية، مع أنّ العقائد والأخلاق مطلوبان أيضًا، فالعقائد هي أساس العمل، فيحصل إهمال للجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ، ويكون التّركيز على الفقه العمليّ فقط، وكأنّ الدّين يتكوّن من الفقه العمليّ فقط، مع أنّ الفقه العمليّ هو أدنى مراتب العلم الدّينيّ، فالعقائد والأخلاق هما أساس العمل، لذلك فالأفضل أن نقول الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ؛ لأجل أن نرفع التّوهّم بأنّ الفقه هو الرّسالة العمليّة فقط .

إنّ المطلوب من المؤمن من ناحية سلوكيّة أن يعمل بالأطروحة الإسلاميّة الكاملة في جميع جوانب الحياة، وهذا لا بدّ من أن يعرفه المؤمنون، ولا بدّ على المؤمن من أن يدرس جميع جوانب الدّين؛ لكي يكون على اطلاع بجميعها كلّها .

والأمر الثّاني في الجانب العمليّ السلوكيّ هو أن يراقب المؤمن نفسه؛ لكي لا يقع في مخالفة قائده المهديّ عليه السّلام، فنحن نعتقد أنّ الإمام عليه السّلام مطّلع على أعمالنا، وأنّ صحيفة الأعمال تُعرّضُ عليه في كلّ يوم وفي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، فالإمام عليه السّلام عنده اطلاع على أعمال جميع النّاس، فعرض الأعمال على النّبّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام جزء من عقيدتنا، فصحائف أعمال النّاس تُعرّضُ على الإمام عليه السّلام،

لذلك على المؤمن أن يكون حريصًا في سلوكه؛ حتى لا يكون عاصيًا لله عزّ وجلّ، وأن لا توجد نقطة سوداء في صحيفته، فحينما تعلم بأنك تحت نظر الله تعالى وتحت نظر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَحْتَ نَظَرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ فلا بدّ من أن تعمل بحذر وحرص، ولو قيل لك بأنّ ملقّك سيعرض آخر الليل على شخص مثلك فإنّك ستكون حريصًا بأن لا تجعل في ملقّك شيئًا يسوء هذا الشخص، فإذا كان هذا الشخص هو الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن يكون المؤمن حريصًا جدًّا حتى لا يرتكب معصيةً من المعاصي، ولا سيّما في خلواته، والإنسان أمام الناس قد يتصنّع كثيرًا من الأشياء، ولكنّ المهمّ ماذا يفعل في الخلوات، فالإنسان حينما يصليّ أمام الناس في المسجد يحاول أن يتقن صلاته، ولكن حينما يصليّ في الغرفة لوحده كيف يصليّ؟ وهل يسرع لكي ينتهي بسرعة؟ وهل يلتفت إلى ما يفعل وما يقول؟ وهل يتحرّك كثيرًا بلا داعٍ؟

فأمام الناس قد يتصرّف الإنسان خلاف تصرّفه حينما يكون لوحده، والإنسان لا بدّ من أن يكون ذا وجه واحد، والمفروض أنّه لا يوجد فرق بين أن يكون لوحده أو أمام الناس؛ لأنّ الله موجود معه دائمًا سواء كان لوحده أم أمام الناس، وهذا الحسن التقوائيّ عند الإنسان لا بدّ من أن ينمّيه، فحتى لو لم يوجد أحد معه فالله معه، لذلك من المستحيل أن تذهب إلى مكان لا يوجد فيه الله سبحانه، ولو كان يوجد مكان يخلو من الله تعالى فنقول ارتكب المعاصي فيه

كما تريد، قد يقفل الغرفة على نفسه ولا يوجد معه أحد من الناس، ولكن لينتبه أنّ الله معه في الغرفة، وأنّ صحيفة أعماله تُعرضُ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهناك ملائكة وأشخاص يرون أعماله، فعليه أن يكون حريصًا؛ حتّى لا يرتكب أيّ معصية، ويكون عنده اتّجاه واحد إلى الله سبحانه .

وفي الدّعاء الَّذِي علّمه أمير المؤمنين عليه السّلام كميل بن زياد :
". . . يا ربّ أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمايك أن تجعل أوقاتي من الليل والنّهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك موصولةً، وأعمالِي عندك مقبولةً؛ حتّى تكون أعمالِي وأورادي كلّها وردًا واحدًا، وحالي في خدمتك سرمدًا . . .".

إنّ أعمال المؤمن كلّها في طريق واحد واتّجاه واحد، ولا توجد للمؤمن أعمال في اتّجاه، وأعمال أخرى في اتّجاه آخر معاكس، فجميع أعماله تكون مُوجّهةً إلى الله تعالى فقط و فقط، وهذه هي القمّة، وعلى المؤمن أن يسعى لأن تكون جميع أعماله بنية التّقرب إلى الله تعالى حتّى الأعمال العاديّة كالأكل والشّرب والنّوم، فيكون في الأعمال العاديّة ملتفتًا إلى الله تعالى، ويمكن أن يجعلها في طريق الله ويحصل على الثّواب والكمال، وتكون جميع أعماله في اتّجاه واحد وهو اتّجاه الله تعالى، وهذا مطلوب من المؤمن الَّذِي يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، فالإمام عليه السّلام لا يختار أنصاره بشكل عشوائيّ، فهو يرى الأشخاص المتديّنين الَّذين تتفاوت

درجاتهم الإيمانية، فيختار منهم من يكون في أعلى الدرجات، لذلك على المؤمن أن يحرص على أن يكون في الدرجات العليا من الإيمان حتى يختاره الإمام عليه السلام ليكون من أنصاره، وقد يتصل به الإمام عليه السلام، وطبعاً هو لا يقول بأنّ لديه اتّصلاً بالإمام عليه السلام، فقد يتلقّى بعض التوجيهات بحلّ بعض المشاكل، وقد يكون إنساناً بسيطاً والناس لا يعطونه أيّ قيمة واعتبار، ومع ذلك يكون من أنصار الإمام عليه السلام، كما هو حال صاحب الأقفال حيث قيل لشخص إنّّه يوجد صاحب أقفال من أنصار الإمام عليه السلام، فذهب وبدأ بمراقبة صاحب الأقفال ليرى ماذا يوجد عنده حتى يكون من أنصار الإمام عليه السلام، فلم يرَ عنده أعمالاً زائدةً على ما يقوم به الناس، وفي يوم رأى أنّه جاءت إليه امرأة وكان يوجد عندها قفل، وطلبت منه قيمة القفل بدينار مثلاً، فقال إنّ هذا القفل بدون مفتاح يستحقّ ديناراً، ومع المفتاح يستحقّ دينارين، وأنا عندي مفتاحه، فأعطاها دينارين، ومن ناحية الفقه العمليّ يجوز أن يعطيها ديناراً ولا إشكال عليه، ولكنه لا يتعامل على ظاهر الفقه العمليّ فقط، وإمّا يريد أن يتعامل على أساس واقع الأشياء، وصاحب الأقفال قد لا يملك علماً كثيراً وثقافةً دينيةً كثيرةً، ولكن نيّته صافية وقلبه طاهر، والإمام عليه السلام اختاره بسبب صفاء نيّته وطهارة قلبه حتى وإن كان من ناحية علمه الظاهريّ لا يوازي العلماء، فيختاره الإمام عليه السلام لصفات أخرى فيه غير صفة العلم

الظَّاهِرِيّ، فليست من شروط أنصار الإمام عليه السَّلام أن يملكو
علمًا كثيرًا .

فلا تقل لنفسك : إنني لا أملك علمًا كثيرًا، فلا يمكن أن أكون من
أنصاره عليه السَّلام .

المهم أن تحافظ على صفاء نيتك وطهارة قلبك، فالنَّية الصَّالحة
والقلب الطَّاهر هو المطلوب من الإنسان، ويكون مطبَّقًا للأحكام
الشَّرعيَّة على نفسه، ويتعامل مع النَّاس على أساس شرعيّ، ففي أيّ
حركة يقوم بها يكون انعكاسًا للدين، ولا توجد عنده تصرُّفات
شخصيَّة خارجة عن إطار الدين، فكلّ حركة يقوم بها الإنسان
وتكون على أساس الحكم الشَّرعيّ فهذا الإنسان يصير إنسانًا إلهيًّا،
ويمكن أن يصل إلى درجة العصمة من ناحية عمليَّة، وهذه هي التي
تسمّى بـ "العصمة الصَّغرى"، لذلك فسيدتنا زينب الحوراء عليها
السَّلام كان عندها العصمة الصَّغرى، بمعنى أنَّها من ناحية عمليَّة لا
تعصي الله عزَّ وجلّ، وتكون ملتفتةً دائمًا إلى الله تعالى، وكلّ إنسان
يمكنه الوصول إلى العصمة الصَّغرى، ولكن يحتاج إلى جهاد نفسيّ
دائم، وأمَّا العصمة الخاصَّة الموجودة عند النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وسيدتنا الزَّهراء عليها السَّلام والأئمَّة عليهم السَّلام فلا يمكننا
الوصول إليها، وهذه العصمة ليست مقتصرهً على الجانب العمليّ،
بل تشمل الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ النَّفسيّ بالإضافة إلى
الجانب العمليّ، ولا يمكن أن نصل إلى الجانبين العقائديّ والقلبيّ

للمعصوم عليه السّلام، نعم يمكن أن تحصل على مقدار منه، ويمكننا الوصول إلى العصمة السلوكيّة العمليّة عن طريق فعل الواجبات والمستحبّات وترك المحرّمات والمكروهات والتّعامل مع المباحات على أساس ما ينبغي وما لا ينبغي، فتصير معصومًا من ناحية عمليّة، وكلّ خطوة تقوم بها تكون على أساس أحكام الفقه العمليّ، فيمكنك الوصول إلى مرتبة العصمة من ناحية سلوكيّة عمليّة، وتحاول الحصول على رضا إمام زمانك عليه السّلام .

ونأتي إلى الأمر الثالث من الجانب العمليّ السلوكيّ للمؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وهو :

الأمر الثالث : النّجاح في التّمحيص الإلهيّ :

إنّ الحياة الدّنيا هي دار الابتلاءات المختلفة، وكلّ إنسان مُعرّضٌ للابتلاءات، ونوعيّة الابتلاءات مختلفة .

وأحياناً يقول الإنسان : لو لم أفعل هذا الشّيء لما وقعت في هذا البلاء .

ويظنّ أنه بذلك لا يتعرّض إلى ابتلاءات، نعم قد لا يقع في هذا البلاء، ولكنّه يقع في بلاء آخر .

مثلاً لو شخص استحمّ وخرج إلى خارج البيت في الجوّ البارد وأصيب بمرض - يقول : يا ليتني لم أخرج حينما استحممت حتّى لا أصاب بهذا المرض .

نعم قد لا يقع في هذا المرض المعين، ولكنّ الله تعالى يصيبه ببلاء

آخر، فالإنسان لا يخلو من البلاءات المختلفة، فقد يصاب في كلِّ يوم أو في كلِّ أسبوع أو في كلِّ شهر أو في كلِّ سنة ببلاء أو يقع في مشكلة، ولا بدّ من أن يصاب الإنسان ببلاء حتى لو كان بمقدار ثقب إطار سيّارته، وأحياناً تكون في البيت وتضرب يدك في الباب من دون قصد، هذا نوع من البلاء، والبلاءات مختلفة، وعلى الإنسان أن ينجح في جميع البلاءات وأن يصعد تدريجياً إلى الدّرجات العليا من الإيمان، وهذا مطلوب من الإنسان المؤمن، وهو أن ينجح في التّمحيص وفي الابتلاءات المختلفة التي يتلى بها، وإذا أراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن ينجح في طريق المشاكل والبلاءات، وهذه هي سنّة الحياة، ولا توجد حياة دنيويّة بلا بلاءات، وكلّ إنسان لديه مشكلة من المشاكل، مشاكل صحيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو غيرها، في البيت أو في العمل، فلا يخلو أيّ إنسان من مشكلة، ولا يمكن لأحد أن يدّعي بأنّه لا توجد عنده مشكلة، وتكليفه أن يحلّ المشكلة مع الالتزام بالحكم الشرعيّ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد

وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٨)

البلاءات والتّمحيص الإلهي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

في المناسبات الإسلاميّة يحاول المؤمن أن يقوّي علاقته بأهل البيت عليهم السّلام وخاصة مع إمام زمانه عليه السّلام، ولا بدّ من أن تكون العلاقة معه عليه السّلام علاقةً قويّةً، والإمام عليه السّلام عينه على المؤمنين، ولا بدّ من أن يشعر المؤمن بوجود إمام زمانه عليه السّلام، والمؤمن لا بدّ من أن يكون عنده الشّعور الدائم بوجود إمامه معه، ولا يغفل عن إمامه عليه السّلام، وهذا الشّعور لا بدّ من أن يكون ملازمًا للمؤمن، فيشعر بأنّه في كلّ لحظة يكون تحت نظر إمامه عليه السّلام، فإذا صارت هذه الحالة عند المؤمن فمن المستحيل أن يعصي الله عزّ وجلّ؛ لأنّه يعلم أنّ هناك رقابة عليه، وبالطّبع رقابة الله

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقتة

بيان، الجمعة ١٣ ذو القعدة ١٤٣١ هـ، ٢٢/١٠/٢٠١٠ م .

تعالى موجودة، وأيضًا رقابة إمامه عليه السّلام، وهذا الشّعور لا بدّ من أن يزداد عند المؤمن حتى يمكنه إصلاح حياته تدريجيًا، وهذه العلاقة مطلوبة من الإنسان المؤمن، ولا بدّ على المؤمن في زماننا من أن يعرف تكاليفه .

ولو سألنا المؤمنين : ما هي تكاليفكم في عصر الغيبة الكبرى ؟
نسأل : كم مؤمن يمكنه أن يجيب على هذا السؤال جوابًا تفصيليًا
لا بطرح فكرة أو فكرتين ؟

قد يجيب البعض بأنّه يصليّ، فنقول له بأنّ الصّلاة مطلوبة في كلّ زمان، وإذا أجب بأن نكون صالحين فنقول له بأنّ المطلوب منك أن تكون صالحًا في كلّ زمان، ولكن مع وجود الإنسان في عصر الغيبة الكبرى هل هناك تكاليف أخرى إضافيّة عليه ؟ وهل هناك صفات معيّنة لا بدّ من أن يلتزم بها حتى يكون من الممهّدين لظهور إمامه عليه السّلام ؟

المؤمن في زماننا ليس المطلوب منه أن يصليّ ويصوم ويحج فقط، فهذه أعمال فرديّة مطلوبة في كلّ زمان، ولكن هل المطلوب منك أن تنشر الدّين أو لا ؟ وهل المطلوب منك أن تمهّد الأرضيّة لظهور إمامك عليه السّلام أو لا ؟

وفي تمهيد الأرضيّة لظهوره عليه السّلام أوّل شيء مطلوب منك هو أن تعرف تكاليفك في عصر الغيبة، ومن يقول بأنّه يريد أن يكون من أنصار الإمام نسأله : كيف يمكنك أن تكون من الأنصار ؟

لا بدّ من أن يجيب على هذا السّؤال، والجواب لا بدّ من أن يكون جواباً تفصيلياً، نعم تصلّي وتصوم وتذهب إلى المسجد وتقرأ الأدعية وتذهب إلى الزّيارة، والحسينيّات طريق من طرق التّمهيد لأن تكون من الأنصار، والأنصار يكونون بصفات عالية، والإمام عليه السّلام حينما يختار أنصاره لا يكون اختياره جزافاً وبشكل عشوائيّ، بل ينتقي من النّاس القادة الثّلاثمائة وثلاثة عشر، بالإضافة إلى الجنود، وحينما يختار القادة لا بدّ من أن يكونوا من قمم الإيمان على هذه الأرض، قمة في الإيمان، وقمة في الصّفات .

فما هي الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها من يريد أن يصبح من الأنصار؟

وإذا حققت هذه الصّفات في نفسك فإنّ الإمام عليه السّلام يجتارك لتكون من هؤلاء القادة .

وقد يقول الشّخص : يكفي أن أكون من الذين يصنعون الشّاي في جيش الإمام عليه السّلام .

فنقول : إن هذا لا يكفي، والمؤمن ينظر إلى القمة دائماً .

ونرى أنّه في الأمور الدنيويّة الإنسان لا يكتفي، فإذا كان معاشه ألفاً يقول أريد ألفين، وذاك الذي يملك المليارات يطلب المزيد مع أنّ ما لديه يكفيه ويكفي أحفاد أحفاد أحفاده، ومع ذلك لا يجلس في البيت، بل يتابع تجارته مع أمراضه وكبر سنّه، وترون في بورصة الأوراق الماليّة كباراً في السنّ جالسين وأيديهم على خدودهم وهم يتابعون

أسعار الأسهم، فهل المطلوب من الإنسان وعمره سبعون سنة أن يتابع أسعار الأسهم أو أن المطلوب منه في هذا العمر أن يتوجه إلى الله تعالى؟

المفروض أن نتاج عمر الإنسان يكون حينما يصل إلى ستين أو سبعين سنة، فما كان يعمل سابقاً في ماضيه فالآن يحصد النتيجة، فإذا كان قد مشى في طريق الدين في شبابه ففي شبيهه يكون متديناً متجهاً إلى الله تعالى، فيأتي بالواجبات ويتعد عن المعاصي، وترون بعض الممثلين حسب ما تنشره الجرائد أنهم في أواخر حياتهم ينتحرون، فيصل إلى سبعين سنة وهو يعاقر الخمر أو يدمن المخدرات إلى أن يموت، وهذا أمر مستغرب في كبير السن، ولكنه يشعر بالضيق، ولا يعلم ماذا يريد أن يحققه في حياته، والإنسان الذي لا يوجد عنده ارتباط بالله يضل عن الطريق الصحيح، وحياته لن تكون حياةً مضبوطةً .

وقد يكون من المسلمين ويبلغ الستين أو السبعين ولكنه يضيع الطريق الصحيح، وقد يحضر المساجد، ولكن ما يسمعه من خطب عبارة عن كلمات تدخل إلى أذنيه، فهو يؤدّي الصلاة والصيام كعمل خارجي فقط، وإذا لم يستفد من الصلاة في التكامل فتظل الصلاة عبارة عن حركات وأقوال لا تؤثر بقلبه شيئاً، ولا يستفيد منها، ولا يحصل على نتيجة إيجابية، ويحصل على نتيجة إيجابية إذا عرف كيف يتأثر بالأعمال الخارجية، فيعرف كيف يستفيد من الصلاة في

الانطلاق إلى الله تعالى والعروج في ملكوت السماء، وهذا يحتاج إلى علم ومعرفة عن كيفية الاستفادة من العبادات المخصوصة وغيرها من الأعمال، والصلاة معراج المؤمن، فكيف تتخذ الصلاة معراجًا لك كما عُرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ لا بد من أن يعرف كيف يستفيد من الصلاة في العروج إلى الله تعالى .

كم مؤمن يعرف كيف يستفيد من الصلاة؟
وكم مؤمن يعرف كيف يستفيد من الصيام؟
يحتاج المؤمن في عصر الغيبة الكبرى إلى معرفة كيفية الاستفادة من العبادات المخصوصة المعروفة .

والمفروض أن يكون عندنا تراكم في المعلومات من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق، ولكن نرى بأننا نبدأ دائمًا من الصفر، والمؤمن لا بد من أن تكون عنده المعلومات العامة، والكثير من المؤمنين يجهلون الأحكام الفقهيّة العمليّة مع أنّه توجد برامج كثيرة في الفضائيات والمواقع لتعليم الأحكام، وفي شهر رمضان نرى بأنّ بعض الناس يتابعون سبع مسلسلات تلفزيونيّة في اليوم، ولا يتحمّلون سماع بعض الأحكام الشرعيّة، والكثيرون لا يعرفون المسائل الخلافية بين مذاهب المسلمين مع كثرة ذكرها في الفضائيات .

مثلاً يتهمون الشيعة بأنهم يقولون بتحريف القرآن الكريم، ويأتون بعدة روايات تدلّ بظاهاها على ذلك .

كم من المسلمين الشيعة يمكنهم أن يثبتوا أنّ الشيعة لا يقولون
بتحريف القرآن الكريم؟

وكم مؤمن يمكنه الرّدّ على الروايات التي يأتون بها؟
وكم من المؤمنين يمكنهم الرّدّ على الشبهات التي تطرح على مدرسة
أهل البيت عليهم السلام؟

وفي زماننا أصبحت المعلومات أكثر من السابق بكثير، وعالم الدين
سابقاً كانت عنده مكتبة مكوّنة من كتب مستنسخة باليد، والآن أيّ
كتاب تريده تبحث عنه وتجدّه في الإنترنت، ولكن كم شخص يقرأ
الكتب؟

ونحن الآن في عصر المعلومات، فكم مؤمن يستفيد من المعلومات
الموجودة في الفضائيات أو الإنترنت حتى يكون عندنا مؤمنون
متديّنون علماء؟

والمفروض أنّ المؤمن المثقّف في زماننا يفوق العالم في الماضي من
حيث العلم، والمعلومات التي كانت موجودةً عند العلماء السابقين
المفروض أن تكون الآن عند المؤمن المثقّف، والإنسان العالم في زماننا
عنده من المعلومات ما يفوق بها العلماء السابقين بكثير، فسابقاً
حينما كان العالم يبحث عن رواية كانت الرواية في كتاب غير
مفهرس، فيبحث في عدّة كتب إلى أن يجد الرواية التي يريدّها، وأمّا
اليوم فتكتب في الإنترنت بعض كلمات الرواية وخلال جزء من الثانية
تكون الرواية موجودةً أمامك، ولكن الناس لا يستفيدون من

المعلومات مع سهولة البحث عن المعلومة، ولا يستفيدون من القرآن الكريم مع سهولة البحث عن تفاسير الآيات، ولا يستفيدون من المعلومات الكثيرة المتوفرة في زماننا .

نعم هناك بعض المؤمنين عندهم هذا الاهتمام، ولكن عددهم قليل، وترى بعض المؤمنين في يوم الجمعة يصلّون صلاة الظهر ويصلّون العصر ويذهبون إلى بيوتهم قبل الاستماع إلى الخطبة بين الصلّاتين، وهذه الخطبة تكون حجّة عليهم يوم القيامة، فإذا سئل يوم القيامة عن مسألة فيقول بأنه جاهل بهذه المسألة، فيقال له بأنّه في الجمعة الفلانيّة كنت في المسجد وصلّيت صلاة الظهر ولم تستمع إلى الخطبة وخرجت بدون عذر، وإمام المسجد ذكر هذه المسألة، فيكون ذلك حجّة عليه، والجهل ليس عذرًا، نعم الجاهل القاصر معذور، ولكنّ الجاهل المقصّر غير معذور، وخاصّة في زماننا؛ لأنّ العلم وصل إلى جميع أنحاء العالم بفضل الفضائيات والإنترنت، وقد ترى ذاك الإنسان العاري في أفريقيا وهو يشاهد الفضائيات، فنحن الآن في عصر المعلومات .

ومن يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن تكون المعلومات عنده، والمطلوب منه المعلومات الأساسيّة في العقائد والأخلاق والفقّه العمليّ، والكثير من المسائل في زماننا أصبحت مسائل بديهية، مثلاً مسائل الوضوء لا بدّ من أن تكون مسائل بديهية، ومسائل تطهير النّجاسات لا بدّ من أن تكون بديهية، ولو

درس المؤمن الرسالة العمليّة لعرف هذه المسائل البديهية، وكم من المؤمنين اليوم لا يعرفون من يقلّدون بحيث يكون تقليدهم صحيحًا، وترى بعض المؤمنين يقلّدون شخصًا ليس بمجتهد، ويكون مدعيًا للمرجعية، وقبل خمسين سنة لم يكن عند المؤمنين علم وإطلاع، والآن البحث عن المرجع الأعلّم أمر سهل، فالعالم اليوم عبارة عن قرية صغيرة، وأيّ سؤال يخطر في ذهنك يمكنك مراسلة مكتب المرجع وتحصل على الجواب خلال يوم أو يومين، ويمكنك مراسلة علماء البلد برسالة قصيرة وتحصل على الجواب خلال دقائق معدودة، وهذه المعلومات اليوم صارت معلومات بديهية .

والمفروض أنّ المؤمن يصعد إلى درجات أعلى تدريجيًا، لا أنّه يظلّ يدور في مسائل الوضوء والصلاة فقط، والإسلام أكبر من المسائل الفقهية العمليّة، فلا بدّ من أن يتعلّم الدّين بمختلف جوانبه، ومشاكل العالم اليوم كثيرة، ومسائل الفكر الدّينيّ الإسلاميّ حينما تطرح يحضرها أشخاص معدودون على أصابع اليد، ولا يوجد تقبّل لمثل هذه الموضوعات الفكرية .

وهناك أسئلة كثيرة تطرح اليوم، وتحتاج إلى أجوبة، مثلًا هل الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ؟

ألا يحتاج هذا الموضوع إلى بحث للحصول على الجواب ؟

لا بدّ من أن نثبت أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، فيكون صالحًا للحاضر والمستقبل كما كان صالحًا للزمان الماضي، وهم يقولون

إنّ الإسلام جاء للماضي حينما كانوا يركبون الخيل والحمير والبغال،
ونحن اليوم نعيش في عصر الفضاء، والإسلام قديم والحياة متطورة،
فكيف يمكن للقديم أن يجاري الحديث والمتطور؟!!

وهذا يحتاج إلى جواب مقنع، وأنت لا تتكلم مع المسلمين فقط،
وكلامنا لا بدّ من أن يُوجّه إلى غير المسلمين، فنحتاج إلى بحوث
تثبت أنّ الإسلام هو الدّين الذي يصلح لكلّ زمان ومكان، ولا بدّ
من أن تكون بحوثك مقنعةً عن طريق الأدلّة، في مقابل الإرهابيين،
فغير المسلمين يرون أنّ الإسلام دين الإرهاب، مع أنّ الإسلام دين
السلام، ولا بدّ من أن نثبت أنّ الإسلام دين السلام ودين العدالة
ودين المساواة، ولكن لا بمعنى المساواة التي يطرحها الغرب، فالرجل
والمرأة متساويان بالعمل أمام الله تعالى، نعم هناك بعض الفروق
الجسديّة التي تحتم بعض الأعمال الخاصّة لكلّ منهما، وكذلك
الأغنياء والفقراء متساوون أمام الله عزّ وجلّ .

إنّ الحدّ الأدنى من المعلومات لا بدّ من أن تكون عند المؤمن،
فمن يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يكون
علماً، فالإمام عليه السّلام لا يختار الجاهل الذي لا يملك المعلومات
عن الدّين، فالمؤمن الذي يعرف تكاليفه في عصر الغيبة ويعمل بها هو
الذي يختاره الإمام عليه السّلام، ولا يختار أصحاب المعاصي الذين
يعرفون أنّ عملهم محرّم ويرتكبونه، وقد يكون العمل من باب
المباحات، ويكون فيه الصّحيح والخاطيء، فلا يأتي بالأعمال التي لا

تناسب مع شأنيّة المؤمن، وهذه هي مسألة الشأنيّة التي تطرح كثيراً، فالمؤمن له شأنيّة خاصّة وشخصيّة معيّنة بسبب إيمانه، ولا ننظر إلى الشأنيّة الاجتماعيّة فقط، وشخصيّة المؤمن تترتب عليها آثار عمليّة تظهر أمام الناس، ويوجد تناسب بين المعلومات والأعمال وبين شأنيّة المؤمن، والمؤمن لا بدّ من أن يلتفت إلى هذا التّناسب، فإذا عرف أنّ هذا العمل خاطئ فلا يأتي به، والبعض يرتكبون الأعمال التي يعلمون في قرارة أنفسهم بأنّها خاطئة، وذلك لأنهم لحدّ الآن في الدّرجات الدّنيا من الإيمان، ولم يصعدوا إلى الدّرجات العليا، وكلّما صعد المؤمن في الدّرجات الإيمانيّة أصبحت القيود عليه أكثر، وهو يُقيّد نفسه بها، وإذا لم يتقيّد بهذه القيود فهذا معناه أنّه ما زال في الدّرجات الدّنيا من الإيمان، والمؤمن لا بدّ من أن يتكامل يوماً بعد يوم، ومن غير المعقول أنّ شخصاً وبعد ثلاثين سنة يكون نسخة كربون مطابقة لما كان عليه في الماضي، فقط ظهر عليه آثار الشّيب، لا بدّ من أن تتغيّر حياته لأنّ المفروض أنّه يتكامل تدريجيّاً .

هذه المعلومات يحتاجها المؤمن، فإذا كانت عنده معلومات كافية فإنّه يكون قادراً على تشخيص تكاليفه، وحتىّ في زماننا تكون على المؤمن تكاليف معيّنة؛ لأنّه يعيش في عصر الغيبة، وعليه أن يعرف تكاليفه بدءاً من داخل بيته .

وإذا تزوّجت وأصبح عندك أولاد فما هي تكاليفك تجاه زوجتك وأولادك ؟

وقد لا يعرف هذه التكاليف، وفي زمان الغيبة الكبرى دور الأسرة هو تخريج أنصار للإمام المهديّ عليه السّلام، فالرجل والمرأة حينما يتزوّجان لا بدّ من أن يكون في نظرهم تربية الأنصار؛ حتّى يمهدوا الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام .

هل هكذا هي نظرة المؤمنين في تربية أولادهم أو أنّه بشكل عامّ يشترّون الطّعام واللبّاس ويوفّرون حاجياتهم المادّيّة فقط ؟

والآن نسبة السّمنة في المدارس بين الأطفال على أقلّ التقادير هي ٢٥%، والسّمنة تنتج من كثرة الأكل وقلة الحركة، وهمّ الآباء هو توفير الطّعام لأولادهم لا أكثر من ذلك، وخاصّةً في شهر رمضان، والجمعيات التّعاونيّة مكتنّزة بالنّاس في شهر رمضان، وحياة النّاس اليوم بشكل عامّ حياة مادّيّة .

والمسلمون يدّعون أنّ لديهم رسالة عالميّة، ولكنّهم في الواقع لا يسعون إلى تطبيق هذه الرّسالة العالميّة ، والإسلام دين نظريّ عندهم، فإذا كان الإسلام رسالة عالميّة فعلى المسلمين مسؤوليّة في نشرها، فأوّلًا تعتقد بأنّ الإسلام رسالة عالميّة، وثانيًا تطبّق الإسلام على نفسك، وثالثًا تساهم في نشره، ولا يكون النّظر فقط إلى الطّعام والشّراب والكسل، وما دام أنّ ديننا رسالة عالميّة فنشره في العالم يحتاج إلى عزم وإرادة ومجهود وعمل ونشاط .

الأمر الثالث : النّجاح في التّمحيص الإلهيّ :

وصلنا إلى الأمر الثالث من الجانب العمليّ السلوكيّ للمؤمن في

عصر الغيبة الكبرى، وهو النَّجاح في التَّمحيص الإلهيِّ، والمؤمن في عصر الغيبة يحتاج إلى المعلومات؛ حتَّى يمكنه أن يتحرَّك لأجل أن يصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السَّلام، ولكي يصل إلى هذه الدَّرجة سيمرُّ بمجموعة من الابتلاءات، ولا بدَّ من أن ينجح فيها، ولا يوجد مؤمن من المؤمنين لا يعاني من بلاء بل أكثر من بلاء في نفس الوقت، وينتهي من بلاء ويدخل في بلاء آخر، وهذه البلاءات لا تأتي إليه بشكل عشوائيِّ، فالله عزَّ وجلَّ يتلى كلَّ إنسان بما يناسبه من البلاءات، ولا تظنَّ أنَّ هذا البلاء أو ذاك البلاء يأتيك صدفةً، فكلَّ بلاء مُفصَّل على صاحبه تفصيلاً خاصاً، والله يريد منك أن تنجح في هذا البلاء، وإذا نجحت تصعد إلى درجة إيمانيَّة أعلى، ثمَّ يعطيك بلاءً آخر حتى تنجح وتنتقل إلى الدَّرجة الأعلى، وهكذا تنتقل من درجة إلى درجة أعلى حينما تنجح في كلِّ بلاء، وتدرجياً يصعد المؤمن في درجات الإيمان، وأمَّا إذا فشل في البلاء فإنَّه يقف في مكانه ولا يتحرَّك، ولكنَّ البعض قد يتسافلون بسبب الفشل في البلاءات، وإذا فشل في بلاء فإنَّ الله يعطيه بلاءً آخر حتَّى ينجح، والله تعالى يريد من النَّاس أن يتكاملوا ويصعدوا في درجات الكمال، والهدف من البلاء هو أن تتكامل وتصعد في الدَّرجات، فالبلاءات عبارة عن وسائل للصَّعود في الدَّرجات الإيمانيَّة، وإذا حصلت لك مشكلة فلا بدَّ من أن تعزم على النَّجاح فيها، والنَّجاح هنا يكون بالمقياس الإلهيِّ، والتَّقرُّب إلى الله هو الهدف، فالنَّجاح لا يُفصَّدُ به

النَّجَاحِ الدِّنيويِّ، وإيَّما المقصود النَّجَاحَ المعنويَّ القلبيِّ، وهو الصَّعودُ في الدَّرَجَاتِ الإيمانيَّةِ، والنَّجَاحَ المعنويَّ يعطيك النَّتيْجَةَ الأخرويَّةَ والنَّجَاحَ في يومِ القيامةِ .

والبلاءات تكشف للإنسان حقيقته لنفسه، فهو قد يدَّعي أنَّه مؤمن قويِّ، والله تعالى يبتليه حتَّى يبيِّن له أنَّه ليس في ذلك المستوى العاليِّ، مثلاً يظنُّ أنَّه في الدَّرَجَةِ العشرين من الإيمان، ولكنَّه في الواقع قد يكون في الدَّرَجَةِ الثَّانيةِ، والبلاء يكشف حقيقة الإنسان لنفسه، والمؤمن في الدَّرَجَةِ العشرين إذا واجهته مشكلة فإنَّه يتصرَّف بما يتناسب مع هذه الدَّرَجَةِ فينجح في البلاء، وإذا فشل في البلاء فمعنى ذلك أنَّه ليس في هذه الدَّرَجَةِ، فيكون الهدف من البلاء الصَّعود في الدَّرَجَاتِ الإيمانيَّةِ، هذا أوَّلاً، وثانيًا اكتشاف الإنسان بنفسه الدَّرَجَةَ الَّتِي هو فيها حقيقةً، فالمشاكل تبيِّن معدن الإنسان وحقيقته لنفسه، وثالثًا تبيِّن الصَّادق من الكاذب، والإنسان ادَّعاءاته كثيرة، يقول أنا وأنا وأنا، ونرى هذه الادَّعاءات الكثيرة عند الأطفال، وتراها أيضًا عند الكبار، فيجلس في الدِّيوانيَّة ويتكلَّم كثيرًا عن نفسه وهو لا يملك شيئًا، وهناك أشخاص يستأجرون سيَّارة فخمةً ويضعونها أمام بيوتهم عدَّة أيام؛ حتَّى يقول الجيران بأنَّ فلانًا يملك سيَّارةً فخمةً، والبعض يستأجر سيَّارةً فخمةً ويأخذ جولةً في الشوارع، وهذا كلُّه من أجل التَّفَاخر بالدُّنيا، ويدفع أموالًا كثيرةً في مقابل ذلك، أليست هذه سفاهة ؟

الشخص الذي يفعل ذلك هو سفيه، والشخص السفيه لا بدّ من أن يُججَرَ عليه، والسفيه لا يحقّ له التّصرّف بأمواله، فانظر كم من الناس الموجودين في المجتمع سفهاء؟!!

شخص يعمل هو وزوجته، وفي منتصف الشّهر لا يوجد عندهم شيء من هذه الأموال، فأين يصرفون أموالهم؟

وفي مجتمعنا توجد بشكل عام سفاهة في صرف الأموال، وإذا أردت أن تجمع صدقات فالمتبرعون قليلون، والبعض قد يتصدّق في يوم الجمعة بدينار، والبعض بربع دينار، ويظنّ أنّه بذلك قد أسقط تكليفه تجاه الفقراء، ويقول بأنه تصدّق بصدقة الأسبوع، ولكن هي دينار أو ربع دينار، وهو فرح مسرور بأنّه تصدّق بأربعة دنانير في الشّهر .

ونسأله : كم صرفت في هذا الشّهر في غير الحاجات الضّروريّة؟
والإنسان غافل عمّا يُعمّر آخرته، والأموال في الأمور الدنيويّة غير الضّروريّة هي أموال ضائعة، والأموال عبارة عن ودائع وأمانات لله تعالى عند الإنسان، وصاحب الأمانة هو الذي يحدّد لك أين وكيف تصرف هذه الأمانة، ويظنّ الإنسان أنّه معاشه وحقّه، وهو حرّ في كيفيّة صرفه .

نقول له : أنت لست حرّاً، فأنت مقيد بأحكام الله من أوامر ونواهي .

ولا يوجد إنسان حرّ في هذه الدّنيا، حتّى الإنسان الملحد الذي لا

يعتقد بوجود خالق للكون هو أيضًا ليس حرًا؛ لأنه مقيد بالقوانين، فالقيد إما أن يكون قيدًا شرعيًا وإما قيدًا اجتماعيًا وإما قيدًا قانونيًا، فكل إنسان مقيد، ولا يوجد إنسان حرّ مطلقًا بلا أيّ تقييدات، فدائمًا توجد قيود عليه، وإذا كنت تريد الحرّية الكاملة فيمكنك الحصول عليها إذا صرت عبدًا لله تعالى بالعبودية الكاملة، وإذا صرت عبدًا كاملاً لله عزّ وجلّ فلا يمكن أن يملكك شيء أو يستعبدك شيء في هذه الدنيا .

والمطلوب من الإنسان أن يصعد تدريجيًا في الدّرجات الإيمانية، وأن يكتشف حقيقة نفسه من خلال البلاءات .
يقول الله تعالى :

" . . . وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبٰسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبٰسِ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ " (١) .

الصّٰبرون في البأساء والضّراء، وحين البأس أي وقت القتال، والمقصود جميع أوقات البلاءات، وهؤلاء هم الصّٰبرون حقًا، والإنسان الذي يعيش في نعيم لا توجد عنده حالة الصّبر، وحالة الصّبر تأتي حينما يعيش الإنسان في ضيق، وأمّا في حالة النّعيم فلا يوجد صبر؛ لأنّ الإنسان يحصل على ما يريد، وفي الضيق تظهر حقيقة الإنسان أنه يصبر أو لا يصبر، وأولئك الذين صدقوا تظهر حقيقتهم، وأمّا الذين كانوا يدّعون أنّهم في الدّرجة العشرين من الإيمان فيكتشفون

(١) البقرة : ١٧٧ .

أهم كانوا في الدرجة الثانية مثلاً، وهكذا يتبين أنهم ليسوا صادقين، وأولئك المتقون يكتشفون حالتهم، فإذا كانت حالتهم متطابقة مع درجتهم الواقعية وكان تصرفهم مع البلاء على أساس الدرجة العشرين فهذا هو الإنسان الصادق والمتقي، والمؤمن المتقي هو الإنسان الصادق، فحينما يدعي أنه في الدرجة العشرين فهو يعلم قطعاً أنه في هذه الدرجة، ولا يتظاهر أمام الناس بأنه في هذه الدرجة .

ويقول الله تعالى :

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ" (١) .

بلاءات تصيب الإنسان حتى نعلم الإنسان الذي يعيش حالة الجهاد أمام شهواته ورغباته، فكيف يتصرف حينما يقع البلاء وخاصةً إذا كان البلاء ضمن الشهوات والرغبات ؟ وهل يصبر عن هذه الشهوة أو يُقَدِّمُ على ارتكابها ؟

مثلاً لو أنّ امرأة عرضت على الرجال الحرام كم رجل يستطيع أن يقاوم ؟

الإنسان أمام شهوة الجنس لا يستطيع أن يقاوم بسهولة إلا إذا كان ممن عصمه الله تعالى أي كان في الدرجات الإيمانية العالية، ونرى أنّ العالم كلّهُ متّجه اليوم إلى الشهوات، والشهواتان الرئيسيتان هما البطن والفرج .

(١) محمّد : ٣١ .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "أمّقت العباد إلى الله سبحانه مَنْ كانت همّته بطنه وفرجه" (١) .

عنه عليه السّلام : "ما أبعد الخير ممن همّته بطنه وفرجه" (٢) .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج" (٣) .

عن الإمام الرضا عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : "ثلاث أخافهنّ على أمّتي من بعدي : الضّلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج" (٤) .

كانت المواقع الإباحية قبل عشر سنوات بنسبة ٣٠٪ تقريباً من مواقع الإنترنت، وقد يكون العدد اليوم أكبر من هذه النسبة، والإنسان الفاسد يحاول أن يُفسد العالم، ويحسّ بالفرج والسّرور حينما يرى النّاس فاسدين، وهذا هو عمل إبليس، فيكون الشّخص الفاسد من أبالسة الإنس، ويُحشّر في البرزخ والقيامة على صورة إبليس في زمرة إبليس اللّعين .

يقول الله تعالى :

"أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا

(١) غرر الحكم ح ٣٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق ح ٩٦٤٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٧٩ ح ٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٧٢ ح ١٦ .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (١) .
إذا كنت تقول بأنك مؤمن فسوف تأتيك البلاءات والفتن، والفتن تجري على جميع الناس في الماضي والحاضر والمستقبل، والهدف منه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، والإنسان من خلال البلاء يكتشف حقيقة نفسه، والله يعلم أن هذا الإنسان في الدرجة الثانية، ولكنه يدعي أنه في الدرجة العشرين، ويكتشف الإنسان نفسه من أنه صادق حينما يتطابق عمله مع الدرجة العشرين، ويعلم أنه كاذب حينما يكتشف أنه واقعاً ليس في هذه الدرجة .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) العنكبوت : ٢-٣ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٩)

الهدف من التّمحيص الإلهي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ الْحُجَّةَ ابْنَ الْحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا وَتَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ .

كان الحديث عن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، والمؤمن في هذا العصر عليه مجموعة من التكاليف، ولا بدّ من أن يعرف تكليفه فيما يجري عليه من أحداث، وإذا قام المؤمن بتكليفه فإنه يصعد تدريجيًّا في الدّرجات ويتكامل إلى أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، هذه المرتبة العالية التي يحاول المؤمن أن

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في مسجد الإمام الحسن عليه السّلام في الكويت

منطقة بيان، الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤٣١ هـ ، ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٠ م .

يصل إليها، ولا يصل إليها عن طريق الكلام، بل عليه أن يعمل ويعمل بكلّ جدّ حتّى يمكنه أن يصل إلى تلك المرتبة، وهذه المرتبة لا يحصل عليها بشكل عشوائي، فإذا لم يعرف كيفية الوصول إلى تلك المرتبة فلا يمكنه أن يصل إليها، فأوّلًا لا بدّ من أن يحدّد صفات أنصار الإمام عليه السّلام، وثانيًا عليه أن يجسّد هذه الصّفات في نفسه، وتدرّجيًا يتحرّك على سلّم الكمال إلى أن يصل إلى تلك الدّرجة العالية، ولا يبلغ تلك الدّرجة صدفةً، فالمؤمن لا يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام بالصدفة، فيحتاج إلى معرفة كيفية الوصول إلى تلك المرتبة، ومعرفة كيفية تجسيد صفات الأنصار في نفسه .

ومن صفات أنصار الإمام عليه السّلام أنّهم ينجحون في التّمحيص الإلهي، وكلّ إنسان مُعرّضٌ إلى مجموعة من المشاكل والبلاءات، ولكن الأمر المهمّ هو هل ينجح في هذه البلاءات أو لا ينجح، ولا يخلو أحد من مشكلة أو مشاكل، وفي السنّة يختبره الله تعالى مرّة أو مرّتين أو أكثر، والبعض يُبتلى في ماله، والبعض في صحّته، والبعض في مشاكله الاجتماعيّة، والمشاكل والبلاءات تحيط بالإنسان، ولا يوجد من لا يتعرّض إلى أيّ مشكلة في حياته، ولا يمكن لأحد أن يدّعي أنّه غير مبتلى بأيّ مشكلة .

والمؤمن إذا أراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن ينجح في الابتلاءات، والإنسان حينما يُبتلى ببلاء معيّن فالله تعالى يريد منه أن ينجح في هذا البلاء، ويمكنه أن ينجح في الابتلاء

والتَّمحيص الإلهيَّ إذا عرف كيف ينجح، وطرق مواجهة البلاءات
بينها الله عزَّ وجلَّ لنا، فإذا أُصِبتْ بلاء فلا بدَّ من أن تعرف كيف
تتصرَّف أثناء البلاء وكيف تنجح، لا أن البلاء يمرَّ عليك وينتهي
وأنت لم تَسْتَفِدْ منه، وتحمد الله بأنَّه أبعد البلاء عنك، فليس المهمَّ
فقط أن ينتهي البلاء، بل المهمَّ أن ينتهي وقد نجحت فيه .

يقول الله تعالى :

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ" (١) .

بمجرد ما يصاب الإنسان ببلاء يرجع إلى الله تعالى مباشرة،
ويسترجع ويقول : "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ"، ويطلب من الله عزَّ وجلَّ
الحلَّ، فإذا نجح في هذا الابتلاء بالرجوع إليه تعالى فالله تعالى يقول :
"أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"، فإذا
نجح في البلاء يصبح من المهتمدين؛ لأنَّه يصعد درجةً من درجات
الإيمان والكمال، وتدرجيًّا يسير إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السَّلام .
البلاء من السنن الإلهية :

إنَّ البلاء والتَّمحيص من السنن الإلهية للبشر، فمنذ أن وُجِدَ أبونا
آدم عليه السَّلام وإلى يومنا هذا وإلى المستقبل يستمرُّ التَّمحيص

(١) البقرة : ١٥٥-١٥٧ .

الإلهي، والله تعالى جعل في الكون مجموعةً من السنن، وهذه السنن الإلهية تجري في الكون، فبناءً على كروية الأرض دوران القمر حول الأرض ودورانها حول الشمس من السنن التكوينية المادية لله تعالى، وكذلك في القضايا التكوينية المعنوية هناك سنن، فالإنسان يُبتلى ببلاءات معيَّنة، والمطلوب منه أن ينجح في البلاءات، فالله تعالى يعطي البلاء حتى تنجح وتصدق في درجات الكمال القلبي المعنوي، والتَّجَاح في البلاءات تكليف إلهي على الإنسان، والبلاء سنة إلهية جارية في الكون، فلا يمكن أن يوجد إنسان بلا بلاء سواء كان مؤمناً أم كافراً، والمشاكل تجري على كل إنسان، والإنسان بواسطة هذه البلاءات يمكن أن يتكامل ويقرب إلى الله تعالى أكثر وأكثر .

سؤال : ما هو الهدف من البلاء ؟

الجواب :

يقول القرآن الكريم :

"مَا كَانَ اللَّهُ لِيُدْرِيَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ . . ." (١) .

إنَّ الهدف من البلاءات التي تصيب كل إنسان هو تمييز النَّاس، فيتم تمييز الصَّالح من الطَّالِح، والطَّيِّب من الخبيث، والمؤمن حقاً من غيره، والصَّادق من الكاذب، والصَّابِر من غيره، أي تمييز من يتصرَّف في البلاءات على أساس تكليفه ممَّن يمرَّ عليه البلاء ولا ينجح؛ لأنَّه لم

(١) آل عمران : ١٧٩ .

يعرف تكليفه أو عرف تكليفه ولم يطبق هذا التكليف على نفسه، فالهدف هو أن يتميّز الإنسان الصّالح المتمسك بدينه والذي يعرف تكليفه وعلى أساس التكليف يتحرّك وينجح في الامتحان، والإنسان غير الصّالح الذي لا يعرف تكليفه أو يعرفه ولا يطبّقه ويسقط في الامتحان، وكذلك يتميّز الإنسان الصّادق من غير الصّادق .

يقول الله تعالى :

"أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (١) .

ينكشف الإنسان الصّادق الذي يدّعي أنّه في درجة إيمانية معيّنة ويكون فعلاً في هذه الدرجة، وينكشف الإنسان الكاذب الذي يدّعي أنّه في درجة إيمانية معيّنة، ولكنّه في الواقع يكون في درجة أقلّ، والإنسان عنده ادّعاءات كثيرة، فهو إذا استمرّ على أداء الواجبات وترك المحرّمات وأتى ببعض المستحبّات وترك بعض المكروهات يظنّ أنّه يخلّق مع أولياء الله الصّالحين، وهذا هو تصوّره عن نفسه، فيتصوّر أنّه وصل إلى مراتب عالية من الإيمان، فيبتليه الله تعالى حتّى ينكشف لنفسه من أنّه ليس في تلك الدرجة العالية، وإذا نجح في البلاء فإنّه يكتشف أنّه كان في تلك الدرجة فعلاً، بل ويصعد إلى درجة أعلى، فالإنسان الصّادق هو الذي يتحرّك في البلاءات على أساس درجته الإيمانيّة، فيعرف كيف يتصرّف مع هذا البلاء، والإنسان الكاذب هو

(١) العنكبوت : ٢-٣ .

الذي يدّعي أنّه في درجة إيمانيّة عالية، ولكنّه ينكشف لنفسه أنّه ليس في تلك الدّرجة، وأنّ قوله كان مجرد ادّعاء، فهو كاذب؛ لأنّه ادّعى ما ليس له، فهذه الدّرجة في الواقع ليست له .

جريان التّمحيص الإلهيّ إلى ظهور الإمام عليه السّلام :

إنّ هذا القانون الإلهيّ والسّنّة الإلهيّة - وهي التّمحيص - جارية إلى أن يظهر الإمام عليه السّلام، وحينما يظهر الإمام عليه السّلام ينقسم النّاس إلى قسمين :

القسم الأوّل :

من يكون مُؤيِّدًا للإمام عليه السّلام، ويقاوم إلى جنبه، وهو من كان يعيش حالة الصّدق قبل الظّهور، وكان يصعد في الدّرجات الإيمانيّة، ويعرف كيف يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، سواء كانوا من القادة أم من الجنود، وهم يمثّلون "حزب الله" بحسب المفهوم القرآنيّ .

يقول القرآن الكريم :

"وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الغَالِبُونَ" (١) .

القسم الثّاني :

من يكون في الجانب المقابل، ويقاوم ضدّ الإمام عليه السّلام، وهم يمثّلون "حزب الشّيطان" بحسب المفهوم القرآنيّ .

(١) المائدة : ٥٦ .

وعلى المؤمن أن يعرف مواصفات دائرة المؤيدين للإمام عليه السّلام ومواصفات دائرة المضادّين للإمام عليه السّلام، وبعد معرفة مواصفات الدائرتين يجسّد في نفسه صفات المؤيدين ويتعد عن صفات المضادّين، والأمر ليس عشوائياً، فلا بدّ من أن تعرف الدائرتين، وتضع قدمك في دائرة المؤيدين وتبتعد عن الدائرة الأخرى .

والبعض حينما تسأله : هل أنت من الأنصار ؟
يجيب : لا أدري .

نقول له : إنّ هذا الجواب لا يكفي، بل لا بدّ من أن تعلم أنّك في دائرة المؤيدين للإمام عليه السّلام .

والعملية ليست صدفةً وحظاً بأن تسحب ورقةً مكتوب فيها أنّك من المؤيدين أو من المعارضين، بل لا بدّ من أن يكون عندك يقين أنّك من المؤيدين للإمام عليه السّلام، ويمكنك تحقيق هذا اليقين لنفسك أولاً بالمعرفة، وذلك بأن تعرف صفات أنصار الإمام عليه السّلام، وتعرف صفات المؤيدين وصفات المضادّين، وثانياً بالعمل لتحقيق هذه الصّفات في نفسك .

ويجمع في الآيات التّالية القرآن الكريم الحزبين : حزب الله وحزب الشّيطان :

"أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ لَّنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فِيخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (١) .

هذه الآيات الكريمة تذكر صفات حزب الشيطان، وصفات حزب
الله، وعلى الإنسان أن يعرف مواصفات الدائرتين تفصيلاً حتى يتبعد
عن دائرة حزب الشيطان ويدخل في دائرة حزب الله .

إذن :

يوجد تمحيص إلهي لكل إنسان، وخاصة الإنسان المؤمن؛ لأن الله
إذا أحب عبداً غتته بالبلاء غتاً، أي يعطيه بلاءً بعد بلاءٍ حتى يتكامل
ويصعد في الدرجات الإيمانية .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : "إن الله تبارك وتعالى إذا أحب

(١) المجادلة : ١٤ - ٢٢ .

عَبْدًا غَتَّهُ بِالْبَلَاءِ غَتًّا، . . . " (١) .

إنَّ الابتلاء والتَّمحيص الإلهيَّ كان على مرِّ تاريخ البشريَّة منذ أبينا آدم عليه السَّلام ومستمِّر إلى ظهور الإمام عليه السَّلام، والتَّمحيص مطلوب للأُمَّة الإسلاميَّة وللشريَّة في هذه المدَّة الطَّويلة؛ لأنَّه يؤدِّي إلى تمحيص الأفراد، وبالتالي يكون هذا التَّمحيص مُنتجًا لأنصار الحجَّة عليه السَّلام، فتتهيأ الأُمَّة الإسلاميَّة بشكل خاصَّ والبشريَّة بشكل عامَّ لظهوره عليه السَّلام حيث تنتهي الظروف العالميَّة المناسبة لتقبُّل ظهوره عليه السَّلام .

ويوجد عبر التَّاريخ أشخاص يدَّعون أنَّهم أصحاب الحقِّ، وتدرجياً ينكشفون للنَّاس بأنَّهم أصحاب باطل، وأنَّ غلاف دعوتهم غلاف الحقِّ؛ لأنَّهم لا يقولون للنَّاس بأنَّهم من أصحاب الباطل، فأصحاب الباطل حينما يطرحون أطروحةً معيَّنة يصوِّرون للنَّاس أنَّهم أصحاب حقِّ، فالقشرة الخارجيّة لدعوتهم يُظهِرونها بأنَّها حقِّ، ولكنهم في الباطن أصحاب باطل، وما فائدة الحديد الصَّديء إذا كانت قشرته التي تغطِّيه وتخفي حقيقته - مصنوعةً من ذهب؟!!

وتتهيأ الأُمَّة الإسلاميَّة لظهور الإمام عليه السَّلام؛ لأنَّه خلال التَّاريخ ينكشف أنَّ هذه الأطروحات أطروحات حقِّ أو أطروحات

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٢٠٨ ح ١٠ . يقال : غَتَّ الميزاب في الحوض أي صبَّ فيه الماء صبًّا متتابعًا دون انقطاع، وَغَتَّ الشَّارب الماء أي تابع الشَّرب والتَّنفس من غير أن يبعد الإناء عن فمه .

باطل، وتتهيأ البشرية تدريجيًا للظهور بسبب تهيؤ الظروف المناسبة، وهكذا ينكشف كل شخص وتنكشف كل أطروحة، والبشرية تكتشف أنّ هؤلاء الأشخاص الذين يدعون أنّهم جاؤوا لإنقاذ العالم تكتشف أنّهم ساهموا في نشر الضلال والانحراف والفساد في العالم .

دولة تدعي أنّها المسيطرة والمنقذة للبشرية وشرطيّة العالم ونظريّتها النظريّة الرأسماليّة، ولكنّها في الواقع أساس الانحراف والفساد في العالم وأساس ضلال البشرية، ولو أنّ هذه الدولة ومن يدور في فلكها زالت لكانت البشرية تنعم بالحرية والعدالة والمساواة الحقيقيّة .

وبحسب الإحصائيات على الإنترنت ٣٠% من المواقع على الأقلّ هي مواقع إباحيّة، وهي من إنتاج الدول الغربيّة ومن لفّ لفهم، وعلى المسلمين أن لا ينخدعوا بالازدهار العلميّ والمدنيّة المتطوّرة، فهذا عبارة عن ظاهر فقط، وهم استفادوا من هذه الوسائل الحديثة في نشر الضلال والانحراف أكثر، نعم المؤمنون يستفيدون من الوسائل الحديثة في نشر الدين والهداية، ولكنّ الإمكانيات الماديّة الموجودة عند أنصار الباطل أكثر من إمكانيات أنصار الحقّ، وهذا واضح، ومنشأ أسباب الضلال والانحراف والفساد في العالم هو ممّن يدّعي أنّه يريد نشر العدالة والحرية والمساواة في العالم، وهذا عبارة عن ظاهر يدّعون، وبعض الناس ينخدعون بأنّ المدنيّة الغربيّة تقدّم المخترعات الحديثة للعالم يومًا بعد يوم، وأنّ المسلمين لا يقدمون شيئًا للعالم، ونسأل السّؤال التّالي :

هل المخترعات والاكتشافات الحديثة لها دور في دخول الجنة وعدم دخولها؟

الجواب :

نعم لها دور إذا كانت لخدمة البشرية وهدايتها لا لإضلالها وإفسادها، والتقدم العلمي ما بعد ظهور الإمام عليه السلام سوف يكون أضعاف أضعاف ما عليه اليوم .

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : "سيكون بعدكم أقوام تُطَوَى لهم الأرض . . . وتُفْتَحُ لهم الدُّنْيَا . . . تُطَوَى لهم الأرض في أسرع الطرق حتى لو شاء أحدهم أن يأتي شرقها أو غربها في ساعة فعل" (١) .

عن الإمام الحسين عليه السلام : " . . . ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مُبْتَلَى إِلَّا كَشَفَ اللهُ عَنْهُ بِلَاءَهُ بِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ " (٢) .

عن الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام : "إذا قام القائم أذهب الله عن كلِّ مؤمن العاهة، وردَّ إليه قوّته" (٣) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرّسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم

(١) إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل للسّيّد نور الله الحسينيّ المرعشيّ التّستريّ

ج ١٣ ص ٣٥١ .

(٢) الخرائج والجرائح لقطب الدّين الرّاونديّ ج ٢ ص ٨٤٩ .

(٣) الغيبة للشيخ النّعمانيّ ص ٣٣٢ .

غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبتها سبعة وعشرين حرفاً" (١) .

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام : "من أدرك قائم أهل بيتي من ذي عاهة برأ، ومن ذي ضعف قوي" (٢) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق" (٣) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه" (٤) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "إذا قام القائم . . . وإنّ الرّجل ليكسو ابنه الثّوب فيطول معه كلّما طال، ويتلوّن عليه أيّ لون أحبّ وشاء . . . ويصافح المؤمنون الملائكة . . ." (٥) .

إنّ عالمنا سوف ينكشف على العوالم الأخرى، وسوف يصل البشر إلى الكواكب الأخرى، وينكشف عالم الملائكة على المؤمنين، وهذه

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦ ح ٧٣ .

(٢) الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٣٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٩١ ح ٢١٣ .

(٤) الكافي ج ٨ ص ٢٤٠-٢٤١ ح ٣٢٩ .

(٥) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري ص ٤٦٢-٤٦٣ ح ٤٧ .

هي الأمور التي تثير الانبهار والتعجب، لا أن ننبهر الآن بما وصل إليه الغرب من اختراعات، ونتوهم بأن ما وصل إليه الغرب هو القمّة، بل ستكون هناك اختراعات أخرى ووسائل انتقال عبر المسافات الطويلة للوصول إلى الكواكب البعيدة، وهذا سيتحقّق في عصر الإمام المهديّ عليه السّلام .

ونسأل :

ما هو الفرق بالنسبة لله تعالى أن يصليّ الإنسان على حصير أو على سجّادة ؟

الحصير والسجّادة ليس لهما تأثير على قبول الصّلاة، فالله تعالى لا يقول بأنّ المصلّي على سجّادة ثوابه أكثر من المصلّي على حصير، وأنت اليوم تنتقل من مكان إلى آخر بواسطة السيّارة، والإنسان في السّابق كان ينتقل بواسطة الفرس، وهاتان الوسيلتان لا يوجد بينهما فرق عند الله تعالى، وليس لهما تأثير في قبول الأعمال، نعم إذا استفاد الإنسان من هذه الوسائل الحديثة في التّقرّب إلى الله تعالى فيكون له الثّواب، وأمّا إذا كان يستفيد من هذه الوسائل الحديثة في زيادة ضلاله وانحرافه وفساده فهذه الوسائل تكون نقمةً وحجّةً عليه، ولا تنخدعوا بالتّطوّر المدنيّ، ولا أقول التّطوّر الحضاريّ، فالمدينة تختلف عن الحضارة، فالحضارة تشمل الدّين والأخلاق، والآن المدينة متطوّرة، ولكنّ الحضارة متخلّفة، والمقياس الدّينيّ والأخلاقيّ يدخل في تقييم الحضارات، وتقاس الحضارة بناءً على هذا المقياس أيضاً .

والفساد الموجود اليوم في الغرب أكثر من الفساد الذي كان موجودا في القرون السابقة، فلا تنخدعوا بالغرب، ولا تنظروا إلى أنّ الإنسان الغربيّ هو في قمة الكمال، والحضارة الغربيّة الآن في الحضيض من ناحية أخلاقيّة، ولا تنظروا إلى الغرب أنّه الإله، ومقياس المسلمين اليوم هو الإنسان الغربيّ، وهو القدوة لكثير من المسلمين، وعلينا أن ننتبه إلى أنّ الإنسان الغربيّ لا يشكّل قدوةً للمسلم، انظروا إلى الغرب بأنّه في قمة الضلال الدنيويّ والانحراف الأخلاقيّ، وهم لا يدعون إلى الفضيلة والعفاف، وأعمالهم تشهد بذلك، والآن الفساد والانحراف في العالم صادر من الغرب، عندهم كلّ أنواع الفساد الأخلاقيّ إلى أن وصل بهم الفساد إلى الممارسة مع الحيوانات، اكسروا هيبة الإنسان الغربيّ في أنفسكم، ولا بدّ من أن يكسر المسلم حالة العبوديّة لكلّ إنسان ضالّ منحرف .

والإنسان المسلم لا بدّ من أن يكون عزيزًا بدينه، والنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام هم القدوة للمؤمن، وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام هي قدوة النساء المؤمنات، وإذا كان لا يقتدي بهم فمعنى ذلك أنّ هؤلاء ليسوا أئمّة بالنسبة إليه وهو ليس بمأموم .

لا فقط نقول : أصول الدّين خمسة والإمامة أصل من أصول الدّين .
وإنّما المهم هو : هل تعتقد بالإمامة اعتقادًا حقيقيًّا أو لا ؟ وهل تتبّع النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام اتّباعًا عمليًّا أو لا ؟

وهل تقيس كلَّ شيءٍ بالمقياس الإلهيِّ أو لا ؟ وهل تقيِّم كلَّ شيءٍ
حتَّى المخترعات الحديثة بالكتاب الكريم وبمنظار النبيِّ صلى الله عليه
وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السَّلام ؟

وتلاحظون الآن في العالم أنَّ القمح يرمى في المحيطات، والأبقار
والغنم تقتل؛ لأجل المحافظة على الأسعار، والطائرات متوقِّرة ويمكنهم
أن ينقلوا القمح والحيوانات والموادَّ الغذائيَّة إلى الدَّول الفقيرة، ولكنهم
لا يفعلون ذلك .

ما هي فائدة المخترعات الحديثة إذا لم تكن لخدمة البشريَّة
واستفادة المستضعفين منها ويدَّعون أنَّهم تبرَّعوا بكذا مليون إلى الدَّول
الأفريقيَّة مع أنَّهم يرمون القمح في المحيطات ويقتلون الحيوانات
للحفاظ على الأسعار العالميَّة ؟

وترون في القنوات الفضائيَّة مهرجان الطَّماطم حيث يرمون
الطَّماطم بالأطنان على الأرض ويدوسونها وكأنَّ الله تعالى لن يحاسبهم
على هذه الأرزاق من الموادَّ الغذائيَّة .

إذن :

التَّمحيص الإلهيِّ يجري دائماً، وعبر تاريخ البشريَّة هناك أطروحات
كثيرة، وأناس يدَّعون أنَّهم أصحاب أطروحات، وأنَّهم جاؤوا لإنقاذ
البشريَّة، ولكن لا بدَّ من أن ننظر بعين الحذر إلى من يدَّعي ذلك،
ولا نحكم فقط على ظاهر الادِّعاءات، بل لا بدَّ من أن ننظر إلى
حقيقة هذه الأطروحات؛ لأجل أن نرى أنَّها دعوة حقّ أو دعوة

باطل، وهذا الحذر يأتي حتى في الدّعوات والأطروحات بين المؤمنين، شخص يدّعي أنّه جاء لإنقاذ المجتمع وعنده أطروحات لحلّ المشاكل، فننظر إلى واقع هذه الادّعاءات حتى نحكم عليه، فإذا كانوا أصحاب حقّ نتبعهم، وإذا كانوا أصحاب باطل نبتعد عنهم .

الخلاصة :

هناك بلاءات على الإنسان، بلاءات على جسده أو من خلال الأطروحات والنظريّات التي تُطرح، ونتعامل بحذر مع جميع الأطروحات، ولا بدّ من أن يكون عند الإنسان المؤمن علم واطّلاع حتى يمكنه أن ينجح في البلاءات، وبدون العلم يسير الإنسان بشكل عشوائيّ، ومن الممكن أن يكون ضدّ الإمام عليه السّلام وهو يظنّ أنّه معه عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٠)

التّرابط بين الأجيال^(١)

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، ووصلنا إلى نقطة وهي أنّ المطلوب من المؤمن أن ينجح في التّمحيص الإلهيّ، وتوجد بلائات على كلّ إنسان مؤمن، والله تعالى يبتلي كلّ إنسان بما يناسب هذا الإنسان؛ لأنّ الله يعلم بحال هذا الإنسان وأنّ هذا البلاء مناسب له، وإذا استطاع الإنسان أن يستفيد من البلاء فإنّه يصعد تدريجيّاً في درجات الإيمان والكمال، لذلك على المؤمن أن يعرف كيف يواجه البلائات، وكيف يستفيد منها في الحركة إلى الله تعالى، وقد تمر المشكلة على الإنسان ولا يستفيد منها، فيفشل في البلاء مع أنّ المصيبة جارية عليه، والله تعالى يبتلي الإنسان بمشكلة مؤقتة، وقد

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٤٣١ هـ ، ٢٩/١٠/٢٠١٠ م .

يصاب بعض الناس بالمرض الخبيث الذي لم يكتشف الأطباء علاجًا له لحدّ الآن، فهذا نوع من البلاء الذي قد يؤدي إلى نهاية حياته الدنيويّة، ولكن هذا هو البلاء المناسب له إذا عرف كيف يستفيد من هذا البلاء ليتدرّج في مدارج الكمال، وهذا بالنسبة للبلاء الفرديّ .

وبالنسبة للبشريّة فهناك بلاءات كثيرة تجري عليها، وعبر الزّمان هناك كثير من الأطروحات والنظريّات، وأصحاب كلّ أطروحة يدّعون أنهم يريدون معالجة مشاكل البشريّة باعتبار أنّها المنقذ، منها الاشتراكيّة والرأسمالية، والبشريّة جرّبت كثيرًا من الأطروحات، وجميع الأطروحات فشلت في حلّ مشاكل البشريّة، والآن البشريّة تعاني الكثير من المشاكل، مثلاً مشكلة الفقر في العالم، كما في أفريقيا والهند، ونرى أنّ الأموال في العالم مُكدّسة عند أشخاص قليلين، وباقي الناس يشكون من الفقر حتّى أنّ البعض لا يحصل على قوته اليوميّ، فترى في الجرائد طفلًا جلده على عظمه، وتنام حينما ترى هذه الصّورة، ومن ناحية الدّعايات والإعلانات يرسلون بعض المساعدات إلى بعض الدّول الأفريقيّة في الأزمات، وهذه مجرّد صورة ظاهريّة، ففي بعض الدّول إذا زاد عدد الحيوانات يقتلونها؛ لأجل المحافظة على الأسعار العالميّة، مع أنّه من الممكن أن تُنقل إلى الدّول الفقيرة التي لا يحصل مواطنوها على اللحوم، وبذلك يساهمون في حلّ مشكلة الفقر، ولكنّ المحافظة على النّاحية الاقتصاديّة عند الدّول المستكبرة أهمّ من إطعام الفقراء، ولا يفكّرون بحلّ مشاكل البشريّة وإن كانوا يعملون الدّعايات بأنّهم

يساعدون الفقراء في العالم من خلال بعض المنظّمات، ولكنّ المبالغ المدفوعة لا تحلّ مشكلة الفقر في العالم .

قانون الترابط بين الأجيال :

هذا هو التّمحيص الإلهيّ الذي يجري على الأفراد وعلى كلّ البشريّة عبر التاريخ، وهذا التّمحيص يتمّ عن طريق ما يسمّى بـ "قانون الترابط بين الأجيال" حيث إنّ كلّ جيل سابق ينقل إلى الجيل اللاحق ما يصل إليه من مستوى فكريّ وخبرات في الحياة، والنّاحية الفكرية عند البشريّة تتطوّر عبر الزّمان، فهناك أفكار تُطرح وتناقش وتتطوّر إلى مستوى أعلى، وتكون البشريّة بذلك قد مرّت عبر سلسلة طويلة من الأطروحات المختلفة التي ترفع شعارات الحقّ، ولكن في واقعها تمثّل وجهًا من وجوه الباطل، والباطل لا يقول عن نفسه إنّّه باطل، وإنّما يقدّم الأطروحة على أنّها حقّ، وكلّ أطروحة تدّعي أنّها الحقّ حتّى لو أنّ القائمين عليها يعلمون أنّها باطل، فيقدّمون الأطروحة الفاسدة بقشرة من ذهب حتّى يتقبّلها النّاس، وبعد أن تجرّب البشريّة جميع الأطروحات ستصل إلى مرحلة اليأس منها جميعًا، وستدرك بأنّ الحلّ لا يأتي من البشر، وإنّما يأتي من الإله الخالق للكون، وحينما يصلون إلى مرحلة اليأس ينتظرون الأطروحة التي تأتي بالحلول لجميع مشاكل البشريّة، وبذلك تصبح البشريّة متهيّئة لتقبّل أطروحة الحقّ التي سيبيّنها الإمام المهديّ عليه السّلام، فإذا ظهر الإمام عليه السّلام وقال بأنّ الحلّ موجوده عنده - فسوف يتقبّل النّاس هذه الأطروحة بكلّ

سهولة؛ لأنهم كانوا ينتظرون الحلول بفارغ الصبر، وخاصةً إذا بدأ الإمام عليه السلام بالتطبيق، فيرون بأنّ العدل بدأ ينتشر بعد انتصار الإمام عليه السلام، وسيرى الناس بأنّ الإمام عليه السلام يوزع الخيرات عليهم بالعدل، فقبل ذلك تصل البشرية إلى مرحلة اليأس من جميع الأطروحات، فأَيّ أطروحة يطرحها البشر لا تقدم حلاً للمشاكل، وحينما يبدأ الإمام عليه السلام بطرح الأطروحة التي تحقق العدالة فالبشرية ستبدأ بتقبل هذه الأطروحة .

إنّ المطلوب من المؤمن أن ينجح في التمهيد الإلهي وفي الابتلاءات المتكررة - سواء كانت ابتلاءات فردية أم ابتلاءات اجتماعية أم ابتلاءات سياسية من الأنظمة التي تحكم الدول وتدعي أنّها تستطيع حلّ المشاكل - حتّى يصل إلى مرتبة أنصار المهدي عليه السلام؛ لأنّ الفرد إذا لم يكن من المؤيدين له عليه السلام فهو حتمًا سيكون من المحاربين له؛ لأنّه لا يوجد حياد بين الحقّ والباطل في الصّراع بينهما، فالفرد إمّا أن يكون مع الحقّ وإمّا أن يكون مع الباطل، وعلى الفرد أن يحدّد موقفه أنّه مع الحقّ أو ضدّ الحقّ، ولا يوجد وسط بين الأمرين .

وقبل الظهور لا بدّ من أن يصل الفرد إلى مرتبة الأنصار بحيث إنّّه إذا ظهر الإمام عليه السلام يكون من المؤيدين له، فلا بدّ من أن يعرف الإمام عليه السلام قبل الظهور، وأن يعرف علامات الظهور؛ حتّى يمكنه أن يميّز أنّ هذا الذي يخطب في مكّة المكرمة هو الإمام

المهديّ عليه السّلام أو مدّع الإمامة، والشّخص الذي لا يوجد عنده اطلاع لا يدري، ولكنّ الشّخص المطّلع على هذه المعلومات حينما يظهر الإمام عليه السّلام يعلم يقينًا أنّه هو، ولا يكون عنده أيّ شكّ .

والصّراع بين الحقّ والباطل مستمرّ منذ زمان أبينا آدم عليه السّلام وإلى ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام، وللباطل صولات وجولات، وأكثر ما يكون الباطل هو المنتصر عبر التّاريخ، وبعد ذلك ينتصر الحقّ على الباطل ويعمّ السّلام والأمن والأمان في العالم، ولا يوجد عندنا شكّ في انتصار الحقّ مهما طال زمان حكم الباطل، ونهاية المعركة ستكون لأنصار الحقّ، وحينها يأخذ كلّ إنسان حقّه، ولا يوجد ظلم بعد ذلك .

ونحن على يقين من أنّ الإمام عليه السّلام سيكون المنتصر على جميع خطوط الباطل، وسيحكم العالم، وينشر في الأرض العدل بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً، وهذا هو الذي يعطي الأمل للإنسان المؤمن أنّه في يوم ما سيتحقّق الحقّ وينتشر العدل في العالم، لا فقط أنّنا نعيش الآمال التي لا تتحقّق، فنحن لا نعيش في الأوهام، بل إنّ انتشار الحقّ والعدل واقع سيتحقّق في مستقبل الأيّام .

عن محمّد بن منصور الصّيقلي عن أبيه قال : كنت أنا والحارث ابن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السّلام يسمع كلامنا، فقال لنا : "في أيّ شيء أنتم ؟ هيهات هيهات ! لا

والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تُغزّبوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تُمحصّوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلا بعد إياس، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد" (١) .

بعد إياس أي بعد يأس؛ لأنّ المؤمنين يرون أنّ الباطل ينتصر دائماً، فيوجد تمحيص وغربة للمؤمنين، فمن يقول بأنّه مؤمن لا بدّ من أن يُحصّ حتى يكشف نفسه من أنّه مؤمن واقعاً أو لا، فقد يدّعي أنّه في درجة عالية من الإيمان، وهذا يحتاج إلى فتنة ومشكلة وابتلاء حتى ينكشف لنفسه أنّه فعلاً في الدّرجة العالية أو لا، فهو يتصوّر أنّه في الدّرجة العالية، والإنسان كلّما أدّى أعمالاً أكثر تصوّر أنّه وصل إلى درجة أولياء الله وأنّ دعاءه مستجاب قطعاً، والبعض إذا وقعت مشكلة بينك وبينه يقول : سأدعو عليك ودعائي مستجاب، كأنّه واثق من أنّ دعاءه مستجاب؛ لأنّه يتصوّر أنّه وصل إلى درجة معيّنة من الإيمان يكون فيها دعاؤه مستجاباً، وكم من الناس يعيشون مثل هذه الأوهام، وقد نعيش كلّنا هذه الأوهام؛ لأننا نصلي ونصوم ونؤدّي بعض المستحبات، ونظنّ بأنّ تكليفنا يقف عند هذا الحدّ، والشخص الذي يقول أدعو عليك ودعائي مستجاب - معناه أنّه في الدّرجات الدّنيا من الإيمان؛ لأنّ المؤمن لا يضيّع دعاءه في ضررٍ

(١) الكافي ج ١ ص ٣٧٠-٣٧١ ح ٦ .

إنسان، بل على العكس المفروض أن يدعو له بالهداية، فإذا وقعت مشكلة بينه وبين أخيه المؤمن لا مباشرة يرفع يده بالدعاء عليه، هذا معناه أنه ليس في الدرجات العليا من الإيمان؛ لأنه لو كان في الدرجات العليا لما أعطى المشاكل الصغيرة أي قيمة حتى يضيع دعاءه بالدعاء على إنسان آخر، بل عنده أمور أهم، نعم يحاول أن يحل المشكلة، وقد يتنازل عن حقه لأخيه المؤمن، فالإنسان المؤمن في حركته إلى الله تعالى لا يشغل نفسه بالأمر الصغيرة، خلاف مع هذا، وكلام مع ذلك، بل عنده أمور أهم؛ لأن المؤمن صاحب رسالة عالمية، ولا يشغل تفكيره بالانتقام من فلان والإضرار بفلان، ومن يشغل تفكيره بالأمر الصغيرة يكون في الدرجات الدنيا من الإيمان، فنحن أصحاب رسالة عالمية، وأمامنا نشر هذا الدين في العالم، هذا ما نشغل تفكيرنا فيه، ولا نفكر بأنه يوجد عندنا خلاف مع فلان وعلان ونظّل نشغل تفكيرنا لمدة شهر وشهرين وسنة وسنوات بأنه كيف ننتقم منه .

والإنسان يحتاج إلى غربة وتمحيص حتى تنكشف حقيقته لنفسه أولاً، وقد يدعي المؤمن أنه مستعد للجهاد إذا ظهر الإمام عليه السلام، وكم من الناس يدعون أنهم من المجاهدين، فإذا وقع في بلاء صغير ترى أنه ينهار ويصاب بحالة نفسية، وكأنه ليس ذلك الشخص الذي كان يدعي أنه مجاهد في سبيل الله، وهكذا الإنسان إذا كان لا يربّي نفسه، والكلمات لا تعطي للإنسان المقام العالي من الإيمان حتى

لو كان يدّعي أنّه من المجاهدين، وإتّما واقعه هو المهمّ، هل يعيش حالة الجهاد أو لا، والله تعالى يبتليه بالسّجن - مثلاً - ليكتشف نفسه من أنّه قويّ أو ضعيف أمام البلاءات، والنّاس قد يتصوّرون أنّه في درجة عالية من الإيمان لمجرد أنّه يتكلّم، ولكن في البلاء ينكشف هذا الإنسان أمام نفسه وأمام بعض النّاس المحيطين به .

عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول : "إنّما يعرف الله عزّ وجلّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزّ وجلّ ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنّما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلّالاً" (١) .

الإنسان الذي لا يأخذ الدّين عن طريق أهل البيت عليهم السّلام يعيش شيئاً من الضّلال؛ لأنّ بعض الأحكام الموجودة عنده ليست من الله عزّ وجلّ، والله تعالى حدّد لنا طريقاً معيّناً لأخذ الأحكام الشّرعية، عن طريق النّبّي صلّى الله عليه وآله ثمّ عن طريق الأئمّة عليهم السّلام، ومن أيّ طريق آخر لا تكون الأحكام من الله تعالى، فهو يتصوّر أنّه يعرف الله ويعبده، ولكنّه في الواقع لا يعبد الله، لذلك قد يعتقد بتجسيم الله سبحانه، فبدون روايات أهل البيت عليهم السّلام ينتهي الإنسان إلى التّجسيم، ولا يوجد طريق آخر لمعرفة الله تعالى، فالذهن البشريّ عن طريق عقله يحاول أن يصل إلى صفات الله تعالى، ولكنّه في آخر المطاف ينتهي إلى التّجسيم؛ لأنّه لم يأخذ من

(١) الكافي ج ١ ص ١٨١ ح ٤ .

أهل البيت عليهم السّلام، فهو لا يمكنه أن يدرك كيف أنّ الله يعلم بالأشياء وهو خارج عنها، وكيف أنّه داخل في الأشياء من غير أن يمتزج بها، لذلك نحتاج إلى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في التّوحيد حتّى نعرف الله تعالى .

عن فضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول : "من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه" (١) .

المطلوب من المؤمن أن يعرف إمام زمانه حتّى كان الإمام عليه السّلام غائبًا غير ظاهر، فيكون مستعدًّا لظهور الإمام عليه السّلام في كلّ وقت ، وإذا لم يظهر الإمام عليه السّلام وكان عنده نفسيّة الأنصار فإنّه يحصل على ثواب المنتظر لإمامه عليه السّلام، فإذا ظهر الإمام عليه السّلام فإنّه يكون من الأنصار، فسواء كان في زمان الغيبة أم في زمان الظهور فهو مؤمن صالح، ويحاول أن يكون في الدّرجات العليا من الإيمان .

وتوجد عندنا عقيدة الرّجعة، فبعض المؤمنين الذين ماتوا يرجعون في وقت الظهور ليقاتلوا مع الإمام عليه السّلام؛ لأنّه كان من الأنصار في زمن الغيبة، وهذا المؤمن مؤهل لأن يكون من أصحاب الرّجعة، والرّجعة ثابتة عندنا وإن كانت ليست من العقائد الصّوريّة البديهيّة .

(١) الكافي ج ١ ص ٣٧١-٣٧٢ ح ٥ .

الخلاصة :

الإِنسان المؤمن في عصر الغيبة الكبرى يتعرّض لمجموعة من البلاءات، ولا بدّ من أن ينجح في هذه البلاءات حتّى يصعد تدريجيّاً إلى أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وتكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن ينجح في الابتلاءات المختلفة .
والحمد لله ربّ العالمين وسلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١١)

الالتزام بتطبيق الإسلام

الانتظار والتكاسل^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة الكبرى عليه عدّة تكاليف، ولا بدّ من أن يعرفها حتّى يمكنه أن يطبقها على حياته، لذلك فالمطلوب من الإنسان المؤمن أن يكون عنده العلم الكافي بما يريده إمامه عليه السلام منه حتّى يمكنه أن يتحرّك، والإنسان المؤمن لا يمكن أن يتحرّك على أساس الجهل، بل يجب عليه أن يتعلّم أحكام دينه في الجوانب المختلفة من العقائد والأخلاق والعمل .

عن أبي سلمة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : "يغدو الناس على ثلاثة : عالم ومتعلّم وغُثَاء" . فسأله عن ذلك، فقال :

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيَوَاتِيَّة الأَسْبُوعِيَّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٧ ذو القعدة ١٤٣١ هـ ، ٥/١١/٢٠١٠ م .

"نحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء" (١) .

لا يمكن أن يوجد شيعي لأهل البيت عليهم السلام ولا يكون من المتعلمين، فالشيعي الحقيقي لا بدّ من أن يكون متعلّمًا، وعكس القضية هو أنّه إذا لم يكن متعلّمًا فهو ليس بشيعي حقيقي .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إن الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضّعيف الذي لا دين له" . فقليل له : وما المؤمن الذي لا دين له ؟ قال : "الذي لا ينهى عن المنكر" (٢) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف، وفي كلّ خير، . . ." (٣) .

حتّى المؤمن الضّعيف فيه خير، والمؤمن الضّعيف من ناحية علميّة قد لا يصمد أمام الشبهات والتشكيكات التي تُطرح اليوم بكثرة في الفضائيات ومواقع الإنترنت، والتابع لأهل البيت عليهم السلام لا بدّ من أن يعرف كيف يردّ على الشبهات حتّى يكون مؤمنًا حقيقيًا .
يقول القرآن الكريم :

" . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . . ." (٤) .

(١) بصائر الدّرجات لمحمّد بن حسن الصّفّار ص ٢٩ .

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٩ ح ١٥ .

(٣) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٦ .

(٤) المجادلة : ١١ .

الله تعالى يرفع الإنسان المؤمن درجةً، ولكنه عزّ وجلّ يرفع الذين أوتوا العلم درجاتٍ، وكلّ عالم يرفعه الله في الدرّجة التي تتناسب مع مرتبته العلميّة، ومن يكون أكثر علماً يصعد إلى درجة أعلى .

وحيثما يقال طلب العلم فلا يُفصّد من طلب العلم حشو الدّهن بالمعلومات فقط، بل يُفصّد تحويل العلم إلى عمل، فلا بدّ من أن يكون الإنسان العالم عاملاً، والأكثر علماً يكون أكثر عملاً، فلا يُفصّد من العالم الحافظ لمعلومات كثيرة فقط دون أن يكون من العاملين .

واليوم في عصر الفضائيات تُطرح كثير من الشّبهات، وخاصّةً لأجل تشكيك الإنسان الشّيعي المتّبع لأهل البيت عليهم السّلام باعتبار أنّ الشّيع وأتباع أهل البيت عليهم السّلام بدأ بالانتشار في العالم بصورة رهيبة، وأعداء الشّيع يحاولون أن يقفوا أمام ما أطلقوا عليه "المدّ الشّيعي" ، وهذا المدّ الشّيعي ناشئ من طبيعة مدرسة أهل البيت عليهم السّلام؛ لأنّ هذه المدرسة تعتمد على عقل الإنسان أوّلاً، وفي هذه المدرسة العقل مصدر من مصادر استنباط الأحكام الدّينيّة، وتعتمد على الدّليل العقليّ القطعيّ الذي لا يوجد فيه شكّ، فالتّناس حينما يدخلون في هذه المدرسة لا لأتّها تعطى الأموال لهم، بل لأنّ هذه المدرسة قائمة على أساس العقل البشريّ وعلى أساس الفطرة الإنسانيّة، لذلك يدخلون في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، ونحن نعتقد بأنّ هذه المدرسة تمثّل الدّين الإسلاميّ الحقيقيّ .

وهناك بعض الشبهات والتشكيكات التي تُطرح بين نفس أتباع أهل البيت عليهم السّلام، فهناك أشخاص يحملون بعض الأفكار التي لا تنسجم مع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .
مثلاً يخرج شخص يقول بأنّه لا يوجد دليل على الإمامة، فهذا الشخص لا يعتبر شيعياً حتّى لو كان لا بسّاً لباس العلماء، فإذا كان يقول بأنّه لا يوجد عندنا دليل لا من الكتاب الكريم ولا من السنّة الشريفة على الإمامة - فهذا في الواقع ليس شيعياً؛ لأنّ الأدلّة على إثبات الإمامة كثيرة جدّاً، والإمامة أصل من أصول مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

أو يخرج شخص يقول بأنّه لا يوجد دليل على ولادة الإمام المهديّ عليه السّلام، وهذا لا يعتبر شيعياً؛ لأنّه من الثّابت واليقينيّات عندنا عن طريق الأدلّة أنّ الإمام عليه السّلام مولود .
من الأدلّة حديث الثّقلين :

عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أصحابه بمضى فقال : " يا أيّها النّاس، إنّني تارك فيكم الثّقلين، أما إن تمسّكنم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردّ عليّ الحوض " . . . (١) .

ففي كلّ زمان لا بدّ من وجود الكتاب الكريم ووجود شخص من العترة الطّاهرة، وكما أنّ القرآن الكريم معصوم يكون هذا الشخص

(١) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٤٠-١٤١ ح ٩١ .

إمامًا معصومًا بسبب وجود الاقتران بين القرآن والعترة، والقرآن الكريم يعصم من الضلال، كذلك الإمام يعصم من الضلال، وإذا كان يعصم من الضلال فلا بدّ من أن يكون الإمام معصومًا من الضلال، وفاقده الشيء لا يعطيه، فمن يكون ضالًّا لا يمكن أن يكون عاصمًا من الضلال .

ومن يقول بعدم وجود دليل على الإمامة أو على ولادة الإمام المهدي عليه السّلام فهذا ليس شيعيًا وإن كان يقول عن نفسه إنه شيعي .

ومن الشّبّهات المنتقلة من المذاهب الأخرى هي : لماذا نتوسّل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ؟

وهذه الشّبّهة يطرحها أيضًا بعض أتباع أهل البيت عليهم السّلام، ووقع نقاش مع بعض الشّباب الذين يحضرون أحد المساجد، وكانوا يقولون بأنّه لماذا نتوسّل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام حيث يمكننا التّوجّه إلى الله مباشرةً ولا نحتاج إلى التّوسّل ؟

إنّ التّوسّل ليس معناه التّوجّه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام لذواتهم، بل لأنّهم أبواب الرّحمن، والإنسان يدخل إلى صاحب البيت من الباب الذي يعيّنه صاحب البيت نفسه، فالله تعالى يقول إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله باب من أبوابي، فلا يمكن الدّخول إلى الله سبحانه إلّا من خلال هذا الباب وبواسطته، وكذلك يكون الدّخول إلى الله سبحانه من خلال الأئمّة عليهم السّلام

وبواسطتهم، فالقيمة التي تعطي للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ليست قيمة ذاتية، بل لأنهم أبواب الله تعالى، والله عز وجل أعطاهم قيمة فنحن نعطيهم هذه القيمة، ولو لم يُعْطِهِم الله هذه القيمة لما كنا نقول بهذه القيمة ولما كنا نتوسل بهم، والله تعالى أمرنا بأن نبتغي إليه الوسيلة، وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام من الوسائل إليه .

يقول القرآن الكريم :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ . . ." (١) .

إنَّ الشُّبُهَاتِ وَالتَّشْكِيكَاتِ تَحْتَاجُ إِلَى أَجْوَبَةٍ، وَالإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ فِي زَمَانِنَا لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ الْعِلْمُ الْكَافِي حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى الشُّبُهَاتِ وَالإِشْكَالَاتِ بِنَفْسِهِ، وَالإِنْسَانُ لَا يَتَمَسَّكُ بِالتَّشْيِيعِ عَلَى أَسَاسِ التَّعَصُّبِ، فَنَحْنُ حِينَمَا نَأْخُذُ بِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ فَإِنَّا نَأْخُذُ بِهَا عَلَى أَسَاسِ الْاِقْتِنَاعِ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ بِيَدِكَ أَدَلَّةٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَتَبَّنَاهُ، وَهَذَا ضَرُورِيٌّ لِلْمُؤْمِنِ، فَلَا يَأْخُذُ بِمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنَّهُ وُلِدَ مِنْ أَبِي بَيْنِ شَيْعِيٍّ فَصَارَ شَيْعِيًّا بِالْوَرَاثَةِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَمَا يَأْتِي إِلَى الْحِسَابِ وَيَقُولُ بِأَنَّهُ صَارَ شَيْعِيًّا بِالْوَرَاثَةِ فَجَوَابُهُ لَا يُقْبَلُ، فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُقْتَنِعًا عَنْ طَرِيقِ الْأَدَلَّةِ بِكُلِّ شَيْءٍ مُوجُودٍ فِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى جَمِيعِ الشُّبُهَاتِ، وَهُوَ لَمْ يَتَّبِعِ الْمَدَارِسَ الْآخَرَى؛ لِأَنَّهُ قَامَ بِمُقَارَنَةِ بَيْنِهَا، وَاقْتِنَعَ بِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ عَلَى أَنَّهَا الْمَدْرَسَةُ

(١) المائدة : ٣٥ .

المطلوبة من الله عزّ وجلّ، ونحن نعتقد أننا أصحاب حقّ، ولكننا لا نُكفّر الآخرين، وهذه النّقطة مهمّة جدًّا، فنحن نعتقد أننا مع الحقّ لوجود الأدلّة على ذلك، ولكن لا نقول بتكفير الآخرين، فهم مسلمون، ولهم حقوق المسلمين، ولا نخرجهم عن ملّة الإسلام، فهم ضمن الدائرة الإسلاميّة، وحسابنا وحسابهم على الله تعالى، والله يعلم بأنهم جاهلون قاصرون أو مقصرون، ونحن لا نعلم بواقع الناس ولا بنياتهم، فالإنسان قد يعتقد بالمذاهب الأخرى ويأخذ أحكامه منها ويسعى على حسب عقله، وإذا كان جاهلاً قاصراً فهو معذور عند الله تعالى، وأمّا الجاهل المقصّر فلا يكون معذوراً حتّى لو كان من أتباع أهل البيت عليهم السلام، ومقياس الجاهل المقصّر ينطبق على من يكون شيعياً ومن لا يكون شيعياً، والمفروض على كلّ إنسان أن لا يكون جاهلاً مقصراً، فالجهل عن تقصير لا يكون عذراً مقبولاً، وأمّا الجهل عن قصور فإنّه يكون عذراً مقبولاً .

الرجوع إلى موضوعنا :

بعد هذه المقدّمة نرجع إلى موضوعنا، فالإنسان المؤمن في عصر الغيبة الكبرى من المفروض عليه أن يعلم بما يريده منه إمام زمانه عليه السّلام، أي يعلم بالتكاليف المطلوبة منه، وهذا مهمّ جداً، وعلى الإنسان أن يجيب عن السّؤال التّالي :

ما هي تكاليفي في عصر الغيبة الكبرى ؟ وما هي التكاليف التي يريدها منّي الإمام عليه السّلام في زماننا ؟

أنت الآن موجود في عصر الغيبة، فهناك تكاليف ومسؤوليات خاصة وإضافية عليك، مثلًا الصلاة كانت مطلوبةً منذ زمان النبي صلى الله عليه وآله، وهذا لا يعتبر تكليفًا خاصًا في عصر الغيبة الكبرى، نعم الصلاة مطلوبة منك؛ لأنها تكليف عام في كل زمان، ولكن وجودك في زمان الغيبة يتطلب منك مسؤوليات وتكاليف إضافية، وهذه التكاليف الإضافية لا بد من أن تعرفها، والإنسان لا يسير على أساس الجهل، والتكاليف لا يُقصدُ منها الصلاة والصيام والحج، ولا التركيز على الأمور العبادية الفردية، فنحن باعتبار أننا أصحاب رسالة عالمية علينا مسؤولية تجاه العالم، والمسؤولية لا تكون على النطاق الفردي والنطاق الأسري فقط، فلا بد من أن نفكر بمسؤولياتنا تجاه كل العالم، لذلك علينا تكاليف خاصة بالإضافة إلى التكاليف العامة المطلوبة في كل زمان .

ومن هذه التكاليف الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام كإمام مفترض الطاعة، والتكليف الثاني هو أن يعرف المؤمن كيف يكون الانتظار، فهو ينتظر الإمام عليه السلام، فلا بد من أن يعرف معنى الانتظار .

ونأتي إلى التكليف الثالث .

التكليف الثالث : الالتزام بالإسلام :

يكون المؤمن ملتزمًا بهذا الدين، وهذا التكليف يتمثل في الأمور

التالية :

الأمر الأوّل : الالتزام بتطبيق الإسلام :

يجب على الفرد أن يلتزم بتطبيق أوامر الإسلام ونواهيه على نفسه، فيلتزم بالدين على النطاق الفرديّ عن طريق الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات وفعل المستحبّات وترك المكروهات، وأمّا المباحات فتتقسم إلى قسمين : قسم من المباحات يتناسب مع شخصيّة المؤمن، فيأتي بها قرينةً إلى الله تعالى، وقسم آخر من المباحات لا يتناسب مع شخصيّة المؤمن، فيتركها قرينةً إلى الله تعالى؛ لأنّه لا فائدة فيها .

مثلاً لنفرض أنّ شخصاً يجلس لمُدّة ساعة بلا أيّ تفكير أو القيام بأيّ عمل، هذا مباح من ناحية الفقه العملي، ولكن لا ينبغي للمؤمن أن يضيّع وقته، ويمكن للإنسان أن يضيّع أوقاته في فعل المباحات التي لا تنبغي، فيضيّع وقته فيما لا ينفع، والمؤمن يريد أن يصعد في درجات الإيمان والكمال .

والبعض يسأل : هل هذا يجوز أو لا يجوز ؟

فإذا كان جائزاً فإنّه يأتي به .

والمفروض أن يسأل : هل هذا ينبغي للمؤمن أو لا ينبغي ؟

فقسم ينبغي أن يأتي به؛ لأنّه إنسان مؤمن من أتباع أهل البيت عليهم السّلام، وقسم لا ينبغي أن يأتي به؛ لأنّه لا يتناسب مع كونه مؤمناً من أتباع أهل البيت عليهم السّلام .

ولا بدّ من أن يعرف المؤمن كيفية التعامل مع الأحكام الشرعيّة، فلا يكفي بأنّ الأحكام الفقهيّة العمليّة تنقسم إلى خمسة أقسام

تكليفيّة : واجب ومستحبّ ومباح ومكروه وحرام، بل لا بدّ من أن يعرف كيف يكون ملتزمًا بهذه الأحكام وكيف يتعامل معها، وهذا هو الالتزام بالدين وتطبيقه على النطاق الفرديّ، ويلتزم المؤمن بالدين أيضًا ويطبّقه على النطاق الاجتماعيّ، فهو كفرد ضمن المجتمع يحتاج إلى أحكام تنظّم سلوكه ضمن المجتمع، وتنظم علاقاته بأفراد المجتمع .

ولا بدّ من أن نؤمن بأنّ حلّ مشاكل البشريّة لا يكون إلّا بالحلول التي يطرحها الإسلام، والمشاكل الموجودة في العالم لا يمكن أن تُحلّ بالأطروحات التي تأتي من الفكر البشريّ، نعم الفكر البشريّ يمكن أن يحلّ بعض المشاكل، ولكنّ الحلّ الجذريّ موجود في أطروحة الإسلام فقط، لذلك نحتاج إلى مواضيع في بيان قوّة الفكر الدينيّ الإسلاميّ في مقابل الفكر غير الدينيّ والفكر الدينيّ المحرّف، والفكر الإسلاميّ ليس فكرًا ضعيفًا، والفكر الإسلاميّ يمكنه أن يواجه أيّ مشكلة في العالم سواء من ناحية فقهية عملية أم أيّ ناحية أخرى .

والإنسان المؤمن لا بدّ من أن يكون قويًّا من حيث الفكر والثقافة، فلا يكتفي المؤمن بالإتيان بالأعمال العباديّة الفرديّة فقط، فهناك إشكالات وأسئلة كثيرة تُطرح ، منها :

لماذا نحتاج إلى الدين ؟

ولماذا نحتاج إلى الإسلام اليوم حيث إنّه دين قديم جاء منذ أكثر

من ١٤٠٠ سنة والحياة متطوّرة مع وسائل المدنيّة الحاليّة ؟

وكيف يمكن للقديم أن يحلّ المشاكل الجديدة ؟

هذا كله يحتاج إلى طرح مواضيع فكرية تحلّ هذه الإشكالات والأسئلة؛ لكي نبين قوّة الإسلام، نعم وإن كان الإسلام قديماً، ولكن حلوله متطورة متجدّدة إلى يوم القيامة بحيث يمكن للإسلام أن يحلّ جميع مشاكل البشريّة على مرّ التّاريخ، وتطوّر الوسائل الحديثة لا يعني عدم إمكان الاستعانة بالدّين، والوسائل المتطورة لا تؤثر على الإسلام سلّباً، بل تؤثر عليه إيجاباً حيث يقوى الإسلام في نفوس أتباعه .

ولا بد من أن نؤمن بأنّ شرع الله تعالى هو الشرع الوحيد الذي يحقّق سعادة الدّارين، ونؤمن بأنّ حلّ مشاكل البشريّة لا يكون إلّا بتطبيق الإسلام كاملاً في جميع المجالات السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها، وكلّ الحلول موجودة عند آل الرّسول صلّى الله عليه وآله، فجميع الحلول موجودة في القرآن الكريم وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم رسول الله صلّى الله عليه وآله .

والالتزام بالإسلام يكون من النّاحية الفرديّة ومن النّاحية العالميّة، وإذا طبّق الفرد الإسلام على نفسه، وطُبّق على المجتمع البشريّ العالميّ فإنّ البشر سينعمون بالسّعادة الكاملة، ويتحقّق العدل التّام، ولن يوجد ظلم على الأرض، وينتشر العدل في كلّ بقعة من بقاع الأرض، وهذا ما يحصل بعد ظهور الإمام عليه السّلام، فالإمام عليه السّلام سيطبّق الدّين بكلّ حذافيره، لذلك ستعيش البشريّة بمنتهى السّعادة، وفي الرّوايات أنّ الحمل يجلس بجانب السّبع، وأنّ المرأة العجوز تخرج من الشّرق إلى الغرب ولا يمسه إنسان، يعني أنّها لا

تتعرّض لأيّ خطر في ذلك الزّمان، وما دام أنّ الإسلام يُطبّقُ
فالبشريّة تعيش بسعادة، وكلّ إنسان له حقّ سيأخذ حقه، ولا يوجد
إنسان فقير بعد الظّهور؛ لأنّ الفقر ناتج من أنّ شخصا آخر يأخذ
من الفقير حقه، فبعض الأشخاص يملكون المليارات من الأموال،
وأشخاص لا يملكون شيئاً؛ لأنّ صاحب المليارات أخذ حقوقَ كثيرٍ
من الناس حتّى استطاع أن يجمع هذه الأموال الكثيرة، فإذا طبّق
الإسلام فإنّ العدل ينتشر على الأرض، وهذا ما يتحقّق في عصر
الإمام المهديّ عليه السّلام .

هذا هو الأمر الأوّل، وهو الالتزام بتطبيق الإسلام على النّطاق
الفرديّ وعلى النّطاق العالميّ .

الأمر الثّاني : انتظار المهديّ عليه السّلام ليس سبباً للتّكاسل :

نحن نعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام، ونعتقد أنّه سيظهر ويطبّق
الدّين، فقد يأتيّ تساؤل من أحد المؤمنين :
إذن لماذا نعمل في سبيل هذا الدّين والإمام عليه السّلام سيظهر
ويطبّق الدّين ؟

قد يُفهم من مفهوم "الانتظار" أنّ الشّخص ينتظر فقط ولا يقوم
بأيّ عمل، فيتكاسل ويترك العمل الاجتماعيّ والسياسيّ، ولا يعارض
الظلم والظالمين اعتماداً على اليوم الموعود، وأنّه لا بدّ من أن تمتلئ
الأرض ظلماً وجوراً، وحينذاك يظهر المهديّ عليه السّلام ليملاها
قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، ويعتقد الفرد بأنّ الواجب

عليه عدم القيام بأي عمل لنشر الدين وهداية الناس؛ لأنّ نشر الدين وهداية الناس هو دور الإمام المهديّ عليه السلام، وليس دوره كفرد موجود في عصر الغيبة الكبرى، بل قد يعتقد أنّه لا بدّ من أن يترك الظلم ينتشر أو يساهم في نشر الظلم ليظهر الإمام عليه السلام؛ لأنّ الرواية تقول بأن الأرض تمتلئ ظلماً وجوراً قبل الظهور، وبانتشار الظلم تتمهد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السلام حتّى يملأها قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وهذا فهم خاطئ لهذه الروايات، فهذا انتظار سلبيّ، والمطلوب من المؤمن الانتظار الإيجابيّ، فالواجب على الفرد الالتزام بالإسلام الذي لا يرضى بالسكوت على الظلم والخضوع للظالمين، فلا يتكاسل، ولا يترك العمل الاجتماعيّ، والمطلوب من الإنسان المؤمن أن يتحرّك على المستوى السياسيّ بالمقدار الذي يمكن له، وتكليف المسلم مقاومة الظالمين بمختلف الطّرق المتاحة لا أنّه يعتمد فقط على ظهور الإمام عليه السلام، فيترك كلّ عمل ويأتي فقط بالعبادات الفرديّة كالصّلاة والصّيام والحجّ، ويظنّ بأنّ الإتيان بالأعمال الفرديّة يكفي، ويعتقد بأن لا يوجد له دور في نشر الدين في العالم، وأنّ دوره يقتصر على المستوى الفرديّ، وأنّه ليس مسؤولاً عن نشر الدين وهداية الناس؛ لأنّ الإمام عليه السلام هو الذي يقوم بنشر الدين وهداية الناس، وأنّ هذا ليس دوره في عصر الغيبة، وتعلمون أنّ من فروع الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر على النّطاق

الفردية، فتقتصر على أمر الأفراد بمعروف أو نهيهم عن منكر، بل يوجد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر على المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي والمستوى العالمي؛ لأن قيام الدين يكون عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدين لا يقوم فقط على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على النطاق الفردي، بل يكونان على مستوى أكبر من المستوى الفردي، فالواجب على المؤمن في عصر الغيبة أن لا يرضى بالظلم ولا يسكت عنه، ولا يخضع للظالمين، بل يكافح الظلم والظالمين بالمقدار المتاح أمامه، طبعاً لا كما يفعل الإرهابيون بتفجير الأماكن العامة، فالإسلام يحرم قتل الأنفس البريئة، ومحاربة الظلم لا تكون بهذه الطريقة .

إن محاربة الظلم تبدأ في البداية عن طريق الفكر، والاستعمار قبل أن يدخل أي بلد يبدأ أولاً بالاستعمار الفكري حتى يمهد الأرضية لدخوله، نعم في الزمان السابق كان يوجد الاستعمار العسكري، ولكن الآن يدخل عن طريق الاستعمار الفكري، لذلك فالشخص قد يكون مسلماً، ولكنه يحمل أفكاراً مادية .

ونرى بعض الشباب يلبسون اللباس الغريب وعندهم قصات شعر غريبة، وهؤلاء تغلب عليهم الاستعمار الفكري، فيعجبون بشخصية ممثل أو مطرب أو لاعب كرة، وهذا جزء من الاستعمار الفكري للإنسان المسلم، وعلى الشباب المسلمين أن يلتفتوا إلى هذا الأمر، فهم يظنون أن هذا هو الشكل الظاهري فقط، ولا يلتفتون إلى أن

هذا الظاهر يعبر عن فكر، ولولا أنه كان مُنبهراً بالنظام الغربي لما كان يتخذ هذا الطريق .

أولاً لا بد من كسر الانبهار بالنظام الغربي، فواقع النظام أنه فاسد ومنحرف، وكلامنا ليس عن الناس في الغرب، بل كلامنا عن النظام، فالنظام الغربي نظام فاسد، والفساد الأخلاقي منتشر في الدول الغربية بكثرة، والإحصائيات التي تُنشر في الجرائد والمجلات تذكر هذا الفساد، مثلاً في عدة ثواني هناك إنسان يُقتل وامرأة تُغتصب، بالإضافة إلى المواقع الإباحية التي أساسها الدول الغربية، وهذا النظام الرأسمالي لا بد من أن يُحارب عن طريق الفكر، ولا بد من أن نبين أن النظام الرأسمالي نظام يسيء للبشرية، وهذا يتطلب بيان الفكر الديني في مقابل الفكر الرأسمالي، كما هي مؤلفات السيد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، ككتاب "فلسفتنا" و"اقتصادنا" في مواجهة الفكر الاشتراكي، ونحتاج إلى مجددين في زماننا الحالي لمواجهة الفكر الرأسمالي، وبيان أن هذا الفكر أساس مشاكل البشرية في زماننا .

والمطلوب أولاً أن لا نبهر بالفكر الرأسمالي، فلا تنبهر بالمخترعات الحديثة التي ينتجها الغرب، فالمخترعات لا تعبر عن حضارة، والمخترعات تعبر عن مدنية، والحضارة جزء منها الدين والأخلاق، نعم الفكر الغربي الآن متطور من ناحية مدنية، ولكنه من ناحية الحضارة يعيش أقصى درجات الانحطاط، وعلينا أن نفرق بين المدنية

والحضارة، فما يوجد الآن في الغرب هو المدنيّة لا الحضارة، ومن الخطأ استعمال مصطلح "الحضارة الغربيّة"، والاستعمال الصّحيح هو "المدنيّة الغربيّة"، أي المخترعات والوسائل الحديثة في تسهيل أمور الحياة، فبدل طبخ الطّعام بواسطة الخشب فالآن يكون الطّبخ بواسطة الفرن، وهذه وسيلة فقط، فالإنسان يحتاج إلى طبخ الطّعام، ولكنّ وسائل الطّبخ تختلف من زمان لآخر، فاختلقت الوسيلة فقط، ووسائل الحركة والانتقال من مكان إلى آخر تغيّرت وتطوّرت، والوسائل لا تعبّر عن الفكر، فالوسائل أمور ظاهريّة فقط، والفكر يكون متعلّقاً بالحضارة التي جزء منها الدّين والأخلاق، فالحضارة جزء منها أخلاق الإنسان، وكلما تكامل الإنسان من ناحية أخلاقيّة تكاملت الحضارة عنده، وتطور وسائل الإنتاج تعبّر عن المدنيّة ولا تعبّر عن الحضارة .

ولا يوجد فرق عند الله تعالى أن يصلّي الإنسان على حصير أو على سجّادة؛ لأنّ السجّادة ليست عاملاً في قبول الصّلاة من الله عزّ وجلّ، ولا بدّ من أن نلتفت إلى هذا الأمر، وهذا جزء من الفكر الإسلاميّ، نعم يستفيد الإنسان من الوسائل الحديثة في التّقرب إلى الله تعالى، هذا إذا استفاد منها في نشر الصّلاح، وقد يستفيد منها الإنسان في نشر الفساد في العالم، فصارت الوسيلة الحديثة وبالأعلى عليه، وبذلك تزداد ذنوبه، والأفضل لهذا الشّخص أن لا يستعمل هذه الوسيلة الحديثة؛ لأنّها تساهم في تسافله من ناحية أخلاقيّة، نعم

الإنسان الذي يستفيد من هذه الوسائل الحديثة في تحصيل الهداية ونشر الصلاح في العالم يتكامل ويحصل على الثواب .

إذن :

الوسائل الحديثة تعبّر عن التّطوّر المدنيّ لا التّطوّر الحضاريّ، وعلى حسب استعمال الشّخص للوسيلة الحديثة يتكامل أو يتسافل، فالوسيلة الحديثة قد تزيد في انحراف النّاس وضلالهم، وتؤثّر على الدّين والأخلاق تأثيراً سلبياً .

النتيجة :

تكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يلتزم بالدّين، فيطبّق الدّين من ناحية فردية وناحية اجتماعية وناحية سياسية وغيرها، ويعتقد بأنّ الإسلام يملك الحلول لجميع مشاكل البشريّة، وأنّ انتظار الإمام عليه السّلام ليس سبباً للتّكاسل، بل بالعكس المطلوب من المؤمن أن يعمل أكثر، وخاصّةً في زماننا الحاليّ الذي يُعتبَر فيه العالم قريةً صغيرةً، ويمكنك الانتقال من مكان إلى آخر في ساعات معدودة، ومسؤوليّة المؤمن اليوم أكبر من مسؤوليّة الذين كانوا يعيشون في الأزمنة السّابقة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٢)

التَّقِيَّة (١)

أعوذ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
العَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ .

المؤمن في عصر الغيبة الكبرى عليه تكاليف لا بدّ من أن يعرفها،
ومن غير المناسب أنّ المؤمن في هذا العصر لا يعرف تكاليفه وواجباته
ما دام يدّعي أنّه مؤمن، وهذه التكاليف لا بدّ من أن تكون واضحةً
أمامه، لا فقط أن تكون عنده أفكار إجمالية ضبابية عن عصر الغيبة
الكبرى وعن الإمام المهديّ عليه السّلام، بل لا بدّ من أن يفكر جيّدًا
لمعرفة تفاصيل تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى .

ومن هذه التكاليف معرفة أنّ الإمام المهديّ عليه السّلام هو إمام
هذا العصر، ولا بدّ من أن يعرف الإمام عليه السّلام لا فقط أن
يعرف الاسم، فلا بدّ من أن يعرف مواصفات الإمام عليه السّلام

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدِّيَوَاتِيَّةِ الأَسْبُوعِيَّةِ فِي دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٥ ذو الحجة ١٤٣١ هـ ، ١٢/١١/٢٠١٠ م .

وغيبته وظهوره وكيفية ظهوره ومتى يظهر وعلامات الظهور وعوامل الظهور، ولا بدّ من أن يعرف هذه الأمور جيّدًا حتّى لا يتفاجأ حينما يظهر الإمام عليه السّلام، ولا يدري أنّ هذا هو الإمام أو شخص آخر يدّعي الإمامة، فلا بدّ من أن يعرف جميع هذه التّفاصيل، فمن التّكاليف معرفة أنّ الإمام المهديّ عليه السّلام هو إمام زماننا الحاليّ . ومن التّكاليف أيضًا أنّ المؤمن يعرف مفهوم "الانتظار"، وكيف يكون انتظار إمام الزّمان عليه السّلام، فانتظار الإمام عليه السّلام ليس سببًا للتّكاسل، وبالمفهوم العربيّ حينما نقول "ينتظر" معناه أنّه يقف ولا يقوم بأيّ عمل ولا يتحرّك، وهذا مفهوم سلبيّ لمعنى الانتظار، ولكن مفهوم انتظار الإمام عليه السّلام مفهوم إيجابيّ، فانتظار الإمام عليه السّلام لا يعني عدم القيام بأيّ عمل، بل يعني العمل والحركة وعدم التّكاسل .

ولا يقول : أنا لا شأن لي بما يحدث في العالم .

فالإسلام دين العمل لا دين الكسل، والإمام عليه السّلام سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، والأرض ستمتلئ بالظلم والجور، والإمام عليه السّلام سيظهر وينشر العدل، ولكن ليس معنى ذلك أنّه قبل الظهور لا يقوم المؤمن بأيّ عمل في مواجهة الظلم، يجب على المؤمن أن يتصدّى للظلم لا فقط ينتظر الإمام عليه السّلام ويقتصر على أنّ دور الإمام عليه السّلام هو محاربة الظلم ونشر العدل، بل أنت كإنسان مؤمن في عصر الغيبة المطلوب منك أيضًا أن

تحارب الظلم؛ لأنّ من فروع الدّين عندنا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يكون فقط في حدود أنّ شخصًا لا يصليّ بطريقة صحيحة فتبيّن له كيفيّة الصّلاة الصّحيحة .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : " . . . إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصّالحاء، فريضة عظيمة، بها تُقام الفرائض، وتأمّن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتُرُدّ المظالم، وتُعمّر الأرض، ويُنتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، وألفظوا بألسنتكم، وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتّعظوا وإلى الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهم، "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (١) ، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وأبغضوهم بقلوبكم، غير طالبين سلطانًا، ولا باغين مالًا، ولا مرّدين بظلم ظفّرًا؛ حتّى يفيئوا إلى أمر الله، ويمضوا على طاعته" . . . (٢) .

إن حركة المجتمع بل حركة العالم تكون قائمة على أساس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لا في حدود الجزئيات الشّخصيّة فقط،

(١) الشّورى : ٤٢ . ييغون : يطلبون .

(٢) الكافي ج ٥ ص ٥٥-٥٦ ح ١ . تأمن المذاهب : تأمن مسالك الدّين من يدع المبطلين . صكّوا : اضربوا ضربًا شديدًا . هنالك : حين لم يتّعظوا ولم يرجعوا إلى الحقّ . الظّفّر : النّصر . ولا مرّدين بظلم ظفّرًا : غير متوسّلين إلى النّصر عليهم بالظلم، بل انتصروا عليهم بالعدل .

فعلى الإنسان أن يتصدّى بالمقدار الممكن في مواجهة الظلم سواء كان الظلم ظلماً فردياً أم ظلماً اجتماعياً، فمن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى التصدّي للظلم والظالمين .
التقيّة :

وهنا يأتي موضوع التقيّة .

ما معنى التقيّة ؟

هل معنى التقيّة عدم القيام بأيّ عمل حينما لا تُتاح الفرصة أمام المؤمن أو أنّ للتقيّة مفهوماً آخر ؟

إنّ التقيّة لا تعني ترك العمل، وإنّما تعني العمل بسرّيّة في الظروف غير المناسبة للعمل العلنيّ ودون اطلاع من أعوان الظالمين على تحركه، وهكذا كان الأئمّة عليهم السّلام يتحرّكون بالمقدار الذي يمكن لهم أن يتحرّكوا علناً، ويتحرّكون سرّاً في الظروف التي لم يمكن لهم أن يتحرّكوا علناً، فكانوا عليهم السّلام يتّصلون بأصحابهم المقربين سرّاً حتّى لا يطّلع على لقاءاتهم العيون المبنوثة لرقابتهم، فكانوا يقومون بالعمل سرّاً لا أنّهم يتركون العمل تماماً، وكان يوجد اتّصال بينهم وبين أصحابهم، مثلاً الأموال كانت تُحلبُ إليهم بطريقة لا يلتفت إليها جواسيس الظالمين، فالتقيّة لا تعني ترك العمل، بل تعني العمل سرّاً بحسب الظروف التي يعيشها الإنسان، فالإمام عليه السّلام حينما يرى بأنّ الظروف لا تناسب الحركة العلنيّة والعمل العلنيّ كان يتحرّك ويعمل سرّاً ، وإذا كانت الظروف مناسبة للحركة كان يعمل علناً، كما حصل

مع الإمام جعفر الصادق عليه السلام حينما كان يعلم الناس بشكل علني في المسجد، ولكن بعض الأئمة عليهم السلام كانوا يتحركون ويعملون بشكل سري .

إن الظروف تحتم تحركًا وعملاً معينًا سرًا أو علنًا، لذلك فالتقية ليست ترك العمل بل هي العمل السري، والمؤمن يكون دائمًا في حركة .

لا يقول : أنا أنتظر فقط .

هذا هو الانتظار بالمفهوم السلبي، والإسلام دين حركة لا دين كسل، وبحسب الظروف يتحرك سرًا أو علنًا، والمهم هو أن يعمل لخدمة الدين بالمقدار المتاح له، وهذا هو المقدار المطلوب منه، فإذا كان المجال مفتوحًا أمامه فإنه يتحرك بشكل علني، وأما إذا واجه ضغوطات سياسية فإنه يتحرك بشكل سري، والأئمة عليهم السلام كانوا يتحركون بالشكل العلني أو بالشكل السري بحسب الظروف المحيطة بهم .

إذن :

من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة أنه ينتظر ظهور الإمام عليه السلام، ولكنه انتظار بالمفهوم الإيجابي لا بالمفهوم السلبي، فنحن حينما نعتقد بهذا الدين ونعتقد بأنه يشكل مبدأً في حياتنا وجزءًا من حياتنا فالمفروض أن يكون عندنا اهتمام بالدين، فالإنسان الذي يقتنع بفكرة معينة يحاول أن يقنع الآخرين بهذه الفكرة، وإذا كان

المؤمن يعتقد بهذا الدين وأنه دين عالمي ورسالة عالمية فالمفروض أن يفكر أنه كيف يمكنه أن يخدم هذا الدين، وبأي طريقة يكون خادماً للدين، فتارةً هو يتحرك بنفسه لخدمة الدين، وتارةً أخرى عن طريق المال، وتارةً هو بنفسه يطلب العلم، وتارةً أخرى هو يمدّ بالمال من يطلب العلم، وهناك كتب لا بدّ من أن تُطبع وتُنشر، وقنوات فضائية لا بدّ من أن تُنشأ، وبالمقدار الذي يمكن للمؤمن أن يساهم في نشر الدين فهذا المقدار مطلوب منه .

وطالما أننا مقتنعون بهذا الدين فمن تكاليف المؤمن في زماننا أن يساهم في نشر الدين بالمقدار الممكن، وبعض المؤمنين ذهنياتهم وقادة فهذا يمكن أن يكون من طلبه العلم، ومن لا يمكنه طلب العلم يساهم بماله في مصاريف من يطلب العلم، وتلاحظون في بلدنا قلة العلماء، فنحتاج إلى علماء أكثر، فبعض المؤمنين تكليفهم أن يطلبوا العلم، وبعض المؤمنين تكليفهم أن يساهموا بالمال في الإمداد المادي لهذا الطالب، وكلّ مؤمن عليه تكليف معيّن، ولا بدّ من أن نلتفت إلى أنّ الأموال التي بأيدينا عبارة عن أمانة، فالله عزّ وجلّ يحدّد مصارف هذه الأموال، والمؤمن لا بدّ من أن يعرف تكاليفه تفصيلاً، وكلّ إنسان في أيّ زمان عليه تكاليف معيّن، والأمور ليست عشوائية، والعمل لا يكون على أساس الصدفة، بل لا بدّ من أن يكون العمل ضمن تخطيط معيّن، وحياة الإنسان لا بدّ من أن تقوم على أساس التخطيط، لا أن يقوم بأعماله بشكل عشوائي، يصلي ويصوم ويحجّ

فقط ويظنّ بأنّ القضية تنتهي إلى هذا الحدّ حينما يأتي بالأعمال
العباديّة الفرديّة ويشعر بالراحة بأنّه أدّى تكاليفه، ولكن ظنّه خاطئ .
إنّ الدّين بحاجة إلى أشخاص يقومون بخدمته، وخدمة الدّين
تكليف على كلّ مسلم طالما أنّه اقتنع بهذا الدّين، فكما أنّ الدّين
يعطيك جنّات تجري من تحتها الأنهار فلا بدّ من أن تُقدّم شيئاً لهذا
الدّين، والحصول على هذه الجنّات يحتاج إلى معاناة وتعب .
يقول : يكفي أن أدخل الجنّة ولو أكون عند باب الجنّة .
ويأخذ قوله تعالى :

"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ
رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْعُرُورِ" (١) .

نعم هذا هو الحدّ الأدنى، ولكن درجات الجنّة درجات مختلفة، ولا
يكتفي الإنسان بالدرجة الدّنيا من الجنّة، بل لا بدّ من أن يسعى إلى
الدرجات العليا، ويطمع في أن يكون مع رسول الله صلّى الله عليه
وآله في درجته، والمؤمن إنسان طموح لا يكتفي بالقليل في الآخرة،
بل يريد أن يحصل على أعلى درجة، فنظره يكون دائماً إلى القمّة .
يقول القرآن الكريم :

"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

(١) آل عمران : ١٨٥ .

وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (١) .

"هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ" (٢) .

"وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بَغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ" (٣) .

"... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ .

.. " (٤)

"وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ

الْعُلَى" (٥) .

ونرى أنّ الإنسان في الأمور الدنيوية لا يكتفي ولا يقنع بالقليل، بل يحاول دائماً الحصول على الأكثر، فمن يملك المليارات من الأموال لا يكتفي بها، بل يريد أن يزيد هذه الأموال مع أنّه في حياته لا يحتاج هذا المقدار من الأموال، فلماذا تكون عند الناس القناعة بالأموال الأخروية ولا تكون عندهم القناعة بالأموال الدنيوية؟! المفروض أن يكون المقياس مقياساً عكسياً، وهو أن يكتفي الإنسان

(١) النساء : ٩٥-٩٦ .

(٢) آل عمران : ١٦٣ .

(٣) الأنعام : ١٣٢ .

(٤) المجادلة : ١١ .

(٥) طه : ٧٥ .

في الدّنيا بما يقضي حاجاته، ولا يكتفي بالقليل في الآخرة، والمفروض أنّ طلبات الآخرة لا تنتهي؛ لأنّ الإنسان يعيش في الدنيا مقداراً قليلاً من السّنوات، وقد تمتدّ إلى ١٢٠ سنة، فحياته في الدّنيا مهما طالَت فهي محدودة، وأمّا الحياة الأخرويّة فهي حياة خالدة لا تنتهي، وتلاحظون في القرآن الكريم حينما تأتي المقارنة بين الدّنيا والآخرة يكون في آخر الآية الكريمة: "أَفَلَا تَعْقِلُونَ".

"وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (١).

"وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (٢).

الإنسان العاقل حينما يقارن بين حياة فانية وحياة خالدة فإنّه بلا شكّ يختار الحياة الخالدة، والإنسان في الدّنيا قد يملك ٤٠٠ متر مربع من الأرض، ومع ذلك نرى أنّ كلّ أمواله وكلّ جهده وكلّ تعبته يكون على هذه الأمتار المحدودة، فما قيمة هذا المقدار من الأرض؟! وكلّ تفكيره يصبّ في أنّ هذا البيت الذي أريد أن أبنيه كيف يكون، ويظلّ تفكيره في هذا البيت متواصلًا، وكلّ سنة لا بدّ من أن يؤثّته بأثاث جديد، وكلّ تفكيره في حدود هذه الأمتار، وعنده سيّارة فاخرة عند باب بيته، وهذا هو القليل الذي يملكه الإنسان في هذه

(١) الأنعام : ٣٢ .

(٢) القصص : ٦٠ .

الدنيا، وترى بأنّه يشغل فكره بالأمر الصّغيرة التي يملكها، فهو لا يملك كلّ الكرة الأرضية أو يملك الكواكب الأخرى، والبعض لا يملك قطعة أرض، وإتّما يسكن في شقّة، وأيضًا يكون تفكيره في حدود هذه الشقّة، ويكون تفكيره في زوجته وأولاده فقط، ولكن ماذا قدّم لهذا الدّين الذي يقدّم له الجنّات في الآخرة؟!؟

وليضع أمامه ورقةً وقلّمًا ويكتب بالأرقام ماذا فعل لخدمة الدّين، والكثير من النّاس سيقدّمون الورقة بيضاء لا يوجد فيها شيء؛ لأنّه لم يفعل شيئًا للدّين، فهو يستيقظ من الصّباح ويصلي صلاة الفجر إن كان من أهل الصّلاة، ثمّ يذهب إلى العمل، ويرجع من العمل، ويتعدّى وينام إلى العصر، ثمّ يذهب إلى الدّيوانية، وبعد الانتهاء من الدّيوانية يرجع إلى البيت وينام، وهذه هي حياته يوميًا، وفي كلّ يوم هذه الأعمال الروتينية تتكرّر، ولا يوجد عنده شيء أكثر من هذا، وهل حياة المؤمن بالله تكون بهذه الكيفيّة أو أنّ المطلوب منه أكثر من هذا؟!؟

وفي شهر رمضان يكون التّفكير من اللّيل في أنّه ماذا يأكل في فطور اليوم التّالي، ويقتصر فقط على التّفكير بالطّعام، والإنسان لا بدّ من أن يصعد في الدّرجات الإيمانية لا أن يكون إشباع البطن هو الهمّ الأكبر، ولا بدّ من أن يكون التّفكير أعلى من هذا، إمّا هي لقيمات يقيم بها صلبه، والإنسان لا بدّ من أن يقدّم خدمات للدّين الذي يقدّم له جنّات الخلد والنّعم الأخرى الموجودة في الجنّة .

النتيجة :

المطلوب من الإنسان المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يعرف تكاليفه بالتفصيل، لا أن تكون عنده أفكار ضبابية مجملة، ويكتفي بالصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات الفردية، ونقول له بأن العبادات الفردية كانت مطلوبة أيضاً في زمان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وأنت الآن في عصر الغيبة الكبرى والإمام عليه السلام غائب غير ظاهر للعيان، وتريد أن تساهم في ظهوره عليه السلام، وتريد أن تكون من أنصاره، وتريد أن تمهد الأرضية لظهوره المبارك، وتمهيد الأرضية للظهور ليست عملية سهلة هينة؛ لأنه في المقام الأول لا بد من أن تكون نفس الإنسان متهيئة للظهور، وبعد ذلك يساهم في تهيئة الآخرين بإعطائهم الأفكار التي طرحناها في هذا الموضوع، فهو أولاً لا بد من أن تكون عنده هذه الأفكار .

ونرى أنّ كثيراً من المؤمنين يتحركون اجتماعياً أو سياسياً، ولكن لا يوجد عندهم علم حتى في كيفية العمل، فشباب الدورات الدينية يحتاجون إلى دروس فكرية ثقافية قبل البدء بالعمل، ولا بد من وجود الخلفية الفكرية للعمل، فالعمل يحتاج إلى تخطيط، وأولاً لا بد من وجود العلم عند العاملين في المجتمع، من علم الفقه العقائدي وعلم الفقه الأخلاقي وعلم الفقه العملي، وبعد ذلك يحتاجون في حركتهم الاجتماعية إلى فكر وثقافة؛ لكي لا يكون العمل بشكل عشوائي، فقبل أن يضع الإنسان قدمه على أيّ مكان لا بد من أن يعلم .

عن أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب أحد أصحابه : ". . . يا كميل، ما من حركةٍ إلَّا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . ." (١).

كلّ حركة يتحرّكها الإنسان يحتاج فيها إلى علم ومعرفة، والمؤمن لا يتحرّك على أساس الجهل، فلا بدّ من أن يكون عنده العلم الكافي؛ لكي يكون محصّناً، وخاصّةً ونحن الآن في زمان الشبهات والإشكالات والتساؤلات، وكثير من الشبهات تُطرح على الإسلام بشكل عامّ وعلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاصّ، والشابّ المؤمن لا بدّ من أن يعرف الأجوبة على هذه الشبهات، لا أنّه بأقلّ شبهة تنزل اعتقاداته، فلا بدّ من أن تكون عقائده عقائد راسخةً، وخاصّةً اعتقاده بالإمامة، ويكون اعتقاده بالإمامة قويّاً راسحاً إذا كان عنده اطلاع على أدلّة إثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام، لا أنّ أقلّ شبهة تنزل عقائده، والدّين الإسلاميّ يحتاج إلى اطلاع ومعرفة، والقضايا العقائديّة قضايا أساسيّة عند الإنسان، فأوّلًا يرسّخ هذه العقائد، وبعد ترسيخ العقائد يبدأ الإنسان بالعمل؛ لأنّ العمل قائم على أساس العقائد، فقبل أن يقول : "أتقرّب إلى الله تعالى" - لا بدّ من أن يعرف الله تعالى، ولا بدّ من أن يعرف التوحيد، والتوحيد أساس كلّ عمل يقوم به المؤمن، لذلك يُقسّم التوحيد إلى توحيد نظريّ وتوحيد عمليّ، والعمل يترتب على الاعتقاد بالتوحيد، ولا بدّ من أن يعرف المؤمن هذه الأمور، لا أن يتحرّك

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

عشوائياً، فيبدأون العمل بشكل عشوائي، وقد ينتج أو لا ينتج؛ لأنّ العمل كان بلا تخطيط، وكلّ إنسان لا بدّ من أن يخطّط لحياته، وجميع الأمور تكون مدروسةً خطوةً خطوةً، ولا يسير إلى تحصيل النتائج على أساس الصدفة .

وفي عصر الغيبة الكبرى لا بدّ من أن يكون عند المؤمن الانتظار الإيجابي، ويمهّد الأرضية بأن يكون هو متديّناً صالحاً أولاً، وبعد ذلك يساهم في تدبّر الآخرين، فيكون إنساناً صالحاً، ويساهم في صلاح الآخرين، وبهذه الطريقة يساهم في تمهيد الأرضية لظهور الإمام المهديّ عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٣)

أخذ أحكام الدين من الفقهاء (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وكنا في التكليف الثالث وهو الالتزام بالإسلام، وأخذنا فيه أمرين : الأمر الأوّل هو الالتزام بتطبيق الإسلام، والأمر الثاني هو أنّ الانتظار ليس سبباً للتكاسل، ونأتي الآن إلى الأمر الثالث :

الأمر الثالث : أخذ أحكام الدين من الفقهاء :

خطّ الفقهاء أو خطّ المراجع العدول أو خطّ المرجعية الرشيدة هذا الخطّ لا بدّ من أن يرتبط به المؤمنون، ويوجد اتصال بين الإنسان المؤمن وبين الفقيه ومرجع التقليد، وكذلك بقيّة العلماء الذين يمثلون محاور الأئمة، ولا يوجد محور للأئمة إلا العلماء، وفي جميع المجتمعات

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٢ ذو الحجّة ١٤٣١ هـ ، ١٩/١١/٢٠١٠ م .

هناك بعض الأفراد يحاولون أن يأخذوا مكان العلماء، وهم من الطبقة المثقفة دينياً، وهم يحاولون أن يكونوا محاوراً للأمة، لذلك فإن بعض الأشخاص من الطبقة المثقفة يتصدون للأعمال التي هي من مهمة العلماء، وهذا الأمر يجب الالتفات إليه، ويحاولون أن يكونوا مراجع الأمة في القضايا الدينية، وحتى في الاستفتاءات لا يقول بأنه لا يعلم، بل يعطي الحكم بحسب آرائه الشخصية، وعدم إظهار الجهل ببعض المسائل يقع مع الكثير من الأفراد، ومنهم بعض المعتمدين، وحينما يُسأل يكون من الصعب أن يقول : لا أعلم .

ومن لا يعرف الحكم الشرعي تكليفه أن يقول : لا أعلم .

ولا يعطي حكماً من جيبه .

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كلام له : "لا يستحيي العالم إذا سُئلَ عمّا لا يعلم أن يقول : (لا علم لي به)" (١) .

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام : "من أفقى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه" (٢) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "إياك وخصلتين مهلكتين : أن تفقى الناس برأيك أو تقول ما لا تعلم" (٣) .

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١١٩ ح ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٨ ح ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٨ ح ٢١ .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "إذا سُئِلَتْ عَمَّا لَا تَعْلَمُ
فَقُلْ : (لا أدري) . فَإِنَّ (لا أدري) خير من الفتيا" (١) .

وهناك في المجتمعات بعض الأفراد من الطبقة المثقفة دينياً يحاولون
أخذ مكان علماء الدين، وقد تكون عندهم كتابات دينية، ولكن
المشكلة أنهم في كتاباتهم يستنبطون الأحكام الشرعية وهم غير ملتفتين
إلى ذلك .

مثلاً في قضية الحقوق السياسية للمرأة ترون في الجرائد والمجلات
أنهم يستدلون بخطبة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام
أو خطبة السيّدة زينب الحوراء عليها السلام، فيستدلون بأنّ الزهراء
والحوراء عليهما السلام خطبتا أمام الرجال، وهذا دليل على حقوق
المرأة السياسية، ويستمر دائماً بهذا الاستدلال، ويحاول من خلال
القصص أن يثبت حقوق المرأة السياسية .

وهذا الاستدلال غير صحيح؛ لأنّه في استنباط الأحكام الشرعية
توجد قواعد معيّنة في قول المعصوم عليه السلام وفعله، والذي لا
يعرف هذه القواعد يقرأ روايةً في أيّ كتاب من الكتب وهو لا يعرف
البحث السنديّ ولا البحث المتنيّ المضمويّ، فيقول بأنّ هذه الرواية
تدلّ على هذا الحكم، ويأتي أيضاً إلى القرآن الكريم ويقول بأنّ هذه
الآية الكريمة تدلّ على ذلك الحكم، وهو غير ملتفت إلى أنّه يستنبط
أحكاماً شرعيةً، وهذا أمر خطير وهو أنّ شخصاً يستنبط الأحكام

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١١٩ ح ٢٨ .

الشَّرعية وهو غير مؤهل للاستنباط، والفقير يعرف كيفية الاستنباط، فيكون له الحق في استنباط الأحكام الشرعية، وأمّا من لا يعرف قواعد الاستنباط فليس من حقه أن يستنبط الأحكام الشرعية، وقد يُسأل غير المتخصّص سؤالاً فيقول : أنا قرأت رواية تدلّ على هذا الحكم الشرعيّ .

ولا بدّ من أن ينتبه إلى أنّ الرّواية تبحث من حيث السند ومن حيث المتن، مثلاً هل هي رواية صحيحة أو ضعيفة أو موثقة ؟ ولا يعرف أنّ الرّواية الضعيفة يمكن الاستدلال بها ضمن شروط معيّنة، والرّواية الصحيحة يمكن أن تُردّد ضمن شروط معيّنة، فعلى الإنسان أن ينتبه إلى أن لا يستنبط حكماً شرعياً إذا لم يكن من أهل الاختصاص .

والفرد المؤمن في عصر الغيبة الكبرى لا بدّ من أن يلتزم بالتكاليف الإسلامية النافذة في زمان الغيبة، ويأخذ أحكام الدين من الفقهاء، ومقياس الإنسان المؤمن الذي يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام هو التزامه بكلام الفقهاء والعلماء، وهذا مقياس لأنّ الإمام عليه السلام أرجع المؤمنين إلى الفقهاء .

عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمريّ أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام : "أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك . . ." إلى أن قال : "وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها

إلى رواية حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله، وأمّا محمد ابن عثمان العمريّ فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقّي، وكتابه كتابي" (١) .

ومقياس طاعة المؤمن لإمامه عليه السّلام يكون في مقدار التزامه بكلام العلماء وبالأحكام الشرعيّة، وهذا مقياس بيد الإنسان المؤمن ليعرف نفسه، فالشّخص الذي يلتزم بالأحكام الشرعيّة قبل الظهور يكون مؤهلاً لأن يكون من الأنصار مع الظهور .

وحيثما نقول "أحكاماً شرعيّة" فليس معنى الأحكام الشرعيّة فقط هو الأحكام الفقهيّة العمليّة الموجودة في الرّسالة العمليّة، ولا بدّ من أن يلتفت المؤمن إلى أنّ الأحكام الشرعيّة شاملة للأحكام العقائديّة أولاً ثمّ الأحكام الأخلاقيّة ثانياً ثمّ الأحكام العمليّة الموجودة في الرّسالة العمليّة ثالثاً، وأول مقياس للإنسان هو الاعتقادات، فأوّل وفي البداية تكون عقائده مضبوطة، والآن مقياسنا هو مقدار الالتزام بالرّسالة العمليّة فقط مع أنّه قد يكون من النّاحية العقائديّة والنّاحية الأخلاقيّة ضعيفاً، والمقياس الأوّل للمؤمن هو الفقه العقائديّ، وعلى رأس العقائد التّوحيد، وثانياً هو الفقه الأخلاقيّ والصفات القلبيّة، وثالثاً هو الفقه العمليّ الموجود في الرّسالة العمليّة، والتّوحيد هو أساس كلّ عقائد وأخلاق عمل، والذي يضبط عقيدة التّوحيد فبقية العقائد عنده تأتي تبعاً ونتيجةً للتّوحيد، لذلك فمن المهمّ أن يدرس

(١) وسائل الشّيعّة للشّيخ الحرّ العامليّ ج ١٨ ص ١٠١ ح ٩ .

المؤمن علم العقائد وعلم الأخلاق وعلم الفقه العمليّ مع العلماء،
والآن أغلب الأسئلة التي تَرُدُّ إلى العلماء هي عن الفقه العمليّ، ونادراً
ما يسأل المؤمنون عن مسائل العقائد والأخلاق، وأغلب الأسئلة
تكون عن الوضوء والصّلاة والصّيام والحجّ وغيرها من العبادات
المخصوصة، وهذه المسائل تمثّل الأحكام العمليّة من الدّين، نعم هذه
المسائل مهمّة للمؤمن، ولكنّ الفقه العمليّ هو أدنى مراتب الفقه، وفي
المرتبة الأولى يكون فقه العقائد، وفي المرتبة الثانية يكون فقه الأخلاق،
وفي المرتبة الثالثة يأتي فقه العمل، والآن التّركيز فقط على الفقه العمليّ
الذي هو أدنى المراتب، وكأنّ الدّين عبارة عن الفقه العمليّ فقط، نعم
الفقه العمليّ مطلوب من المؤمن، ولكن لا بدّ من أن يعرف كيف
يتعامل مع الأحكام الفقهيّة العمليّة الخمسة من الواجب والمستحبّ
والمباح والمكروه والحرام، والآن نقوم بالأعمال تبعاً لما نحبّ ونرغب
بدون مقاييس .

ما هو المقياس في فعل المباحات ؟

وكيف نختار من المباحات ؟

وما هو المقياس في تقديم مستحبّ على مستحبّ آخر مع أنّ

المستحبّ الثّاني قد يكون أفضل من المستحبّ الأوّل ؟

مثلاً الدّهَاب إلى الحجّ مستحبّ، ولكن إذا كان يوجد عنده يقين

بأنّ هناك عائلة مؤمنة محتاجةً إلى المال ولا يوجد عندهم عائل، وهو

الوحيد الذي يعلم بحاجتهم، ففي هذه الحالة أيّهما يقدّم ؟

التَّبَرُّعَ بِالمال للعائلة المحتاجة أفضل من الذَّهاب إلى الحجِّ المستحبِّ، بمعنى أنَّه أكثر ثوابًا، وإذا عرفنا ذلك فكم من المؤمنين مستعدِّ أن يطبِّق ويتبرَّع بِالمال للعائلة المحتاجة بدل الذَّهاب إلى الحجِّ المستحبِّ؟ وفي تصوُّرنا أنَّ الذَّهاب إلى الحجِّ المستحبِّ أفضل من قضاء حاجة عائلة فقيرة، والتَّفاضل بين الأعمال وتقديم عمل على عمل لا بدَّ من أن يكون على أساس الأدلَّة الشرعيَّة .

ولنقرأ هنا بعض الروايات التي تفاضل بين الأعمال :

سُئِلَ الإمام عليّ الرِّضا عليه السَّلام : ما حقَّ المؤمن على المؤمن ؟ فقال : " . . . ومن قضى لمؤمن حاجةً كان أفضل من صيامه واعتكافه في المسجد الحرام . . . " (١) .

عن الإمام الحسن عليه السَّلام قال : " . . . المشي في حاجة المؤمن حتَّى يقضيها خير من اعتكاف شهرين متتابعين في المسجد الحرام بصيامها " . ثمَّ قال أبو الحسن الماضي عليه السَّلام : "ومن اعتكاف الدَّهر" (٢) .

عن أمير المؤمنين عليه السَّلام قال : " . . . فإني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول : "صلاح ذات البين أفضل من عمارة الصلَّاة والصَّيام ، . . . " (٣) .

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٧١ ص ٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق ج ٤٢ ص ٢٤٨ ح ٥١ .

عن أبي عبد الله عليه السّلام : "قضاء حاجة المؤمن خير من حملان ألف فرس في سبيل الله عزّ وجلّ، وعتق ألف نسمة" .

وقال عليه السّلام : "ما من مؤمن يمشي لأخيه في حاجة إلا كتب الله له بكلّ خطوة حسنةً، وخطّ بها عنه سيئةً، ورفع له بها درجةً، وما من مؤمن يفرّج عن أخيه المؤمن كربةً إلا فرّج الله عنه كربةً من كرب الآخرة، وما من مؤمن يعين مظلومًا إلا كان ذلك أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام" (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : " . . . والصدقة أفضل من الصّيام . . ." (٢) .

عن أبي عبد الله عليه السّلام : "صدقة درهم أفضل من صيام يوم" (٣) .

وزيارة الإمام الحسين عليه السّلام تعدل ألف حجّة وألف عمرة .
عن القداح عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : قلت له : ما لمن أتى قبر الحسين عليه السّلام زائرًا عارفًا بحقّه غير مستكبر ولا مستنكف ؟ قال : "يُكْتَبُ له ألف حجّة مقبولة، وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيًّا كُتِبَ سعيدًا، ولم يزل يخوض في رحمة الله" (٤) .

(١) كتاب المؤمن للحسين بن سعيد ص ٤٧ ح ١١١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٩٤ ص ١٠٢ ح ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٩٨ ص ٤٣ ح ٨٠ .

عن صالح النيليّ قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : "من أتى قبر الحسين عليه السّلام عارفاً بحقه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسمة، وكمّن حمل على ألف فرس في سبيل الله مسرّجة ملجمة" (١) .

وقد يعترض البعض على ذلك؛ لأنّ من يذهب إلى الحجّ والعمرة تعبهُ أكثر من تعب الدّهَاب إلى زيارة الإمام الحسين عليه السّلام، والقضيّة ليست قضيّةً عقليّةً حتى يقيس الإنسان بعقله، بل القضيّة قضيّة تعبدية، والآيات والروايات التّعبديّة لا تُقبَل ولا تُرْفَضُ على أساس العقل، والعلماء يقيّمون الآيات والروايات، والعالم المطّلع على الأدلّة من القرآن والسّنّة يمكنه أن يقول إنّ هذا العمل أفضل من ذاك العمل .

وفي التّفاضل بين الأعمال الأمر غير واضح عند المؤمنين، فهذا المؤمن يظنّ بحسب ذهنه أنّ هذا العمل أفضل من ذاك العمل، والمفروض أن يرجع إلى العلماء ليسألهم أيّ الأعمال أفضل؛ لكي يبيّنوا له ما هو العمل الأفضل .

مثلاً إذا كان عنده مبلغ من المال فلا بدّ من أن يسأل العلماء : ما هو أفضل عمل يمكن له صرف هذا المال فيه ؟

والمؤمنون عادةً لا يسألون، والبعض يصرف هذا المال في طباعة أوراق عليها بعض الروايات ويوزّعها في المساجد، ولكن لا بدّ من أن يسأل نفسه قبل البدء بالعمل :

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٤٣ ح ٨١ .

هل طباعة هذه الأوراق أفضل عمل أو يوجد عمل آخر أفضل ؟
ولا بدّ من وجود مقياس للتفاضل بين الأعمال، ويمكنكم مراجعة
كتاب (الصّراع بين الحقّ والباطل)، وقد ذكرت في المقدمة مقياس
التفاضل بين الأعمال عن طريق الرجوع إلى الروايات الشريفة .
إذن :

الإنسان المؤمن لا بدّ من أن يعرف كيفية الالتزام بالأحكام الشرعيّة
وكيفية التعامل مع الأحكام الشرعيّة، نعم الواجب والمستحبّ
مطلوبان منك، ولكن يشترط فيهما نيّة التّقرب إلى الله تعالى، والمؤمن
قد يصلّي صلاةً مستحبّةً، ولكن إذا لم تكن نيّة التّقرب إلى الله فهذا
العمل يكون عملاً مباحاً، فالمستحبّ بنيّة التّقرب يكون مستحبّاً،
لذلك فإنّ المباحات يمكن أن تُحوّل إلى مستحبّات إذا كانت بنيّة
التّقرب إلى الله تعالى، ولكن بشرط أن تكون هذه المباحات فيها
قابليّة التحويل إلى مستحبّ، وإذا كان المباح بدون نيّة التّقرب فإنّه
يظلّ في حيّز المباح، ولا يتحوّل إلى مستحبّ .

إنّ كيفية التعامل مع الأحكام الشرعيّة لا بدّ من أن يعرفها المؤمن،
فالأحكام الشرعيّة عبارة عن وسائل للتحرّك إلى الله سبحانه، ولا بدّ
من أن يعرف كيف يستعمل هذه الوسائل في الحركة، مثلاً السيّارة
عبارة عن وسيلة للانتقال، وإذا لم يعرف كيف تعمل السيّارة فلا يمكنه
أن يستفيد من هذه الوسيلة في الانتقال من مكان إلى آخر، والصلاة
التي يصلّيها في كلّ يوم هل يعرف كيف يستفيد منها في التّكامل،

فالصلاة معراج المؤمن، والمعراج معناه الصعود والحركة إلى أعلى حينما يحصل على التّكامل، فهل يعرف كيفيّة الاستفادة من الصلاة للعروج والصعود إلى الله سبحانه، وكيفيّة الاستفادة منها لا بدّ من أن تكون واضحةً عند الإنسان المؤمن حتّى يعرف كيف يستفيد من الواجبات، وكيف يمكنه أن يستفيد من المستحبّات، والمؤمن قد يؤدّي كثيراً من الأعمال، ولكنّه لا يعرف كيف يستفيد منها، فالصلاة يُقبَلُ منها بقدر ما يُقبَلُ بقلبه عليها .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ لِمَا يُقْبَلُ نَصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمْسُهَا إِلَى الْعُشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثَّوْبُ الْحَلَقُ فَيَضْرِبُ بِهَا وَجْهَ صَاحِبِهَا، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ" (١) .

كيف يكون إقبال القلب أثناء الصلاة ؟

إقبال القلب حالة باطنيّة، وله أثر خارجيّ عمليّ، ولا بدّ من أن يعيشه المؤمن حتّى يمكنه أن يستفيد من الصلاة الخارجيّة، ويجوّها إلى عمل قلبيّ وصلاة قلبيّة .

وكيف يمكننا أن نستفيد من المباحات ؟

المؤمن يأتي ببعض المباحات، ويترك بعض المباحات الأخرى، ولكن بأيّ مقياس ؟ هل بالمقياس الإلهيّ الشرعيّ أو بالمقياس التّفسيّ الشّخصيّ ؟

(١) بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٦٠ ح ٥٩ . الثّوب الحلق : الثّوب البالي .

بشكل عامّ النَّاس يأتون بالمباحات أو يتركونها بناءً على المقياس الشخصي لا المقياس الإلهي، فهو يختار بعض المباحات؛ لأنّها تتناسب مع رغباته، والشخص الآخر يفعل بعض المباحات؛ لأنّها تتناسب مع رغباته، والمؤمن يحتاج في المباحات إلى مقياس إلهي للفعل والترك، والله تعالى بيّن لنا مقياس الأخذ من المباحات أو تركها، وطبعاً الإنسان لا يأتي بجميع المباحات، وإنما يفعل البعض من المباحات ويترك البعض الآخر على أساس المقاييس الشخصية، وإذا كان يريد أن يكون إنساناً إلهياً فلا بدّ من أن يكون المقياس في كلّ شيء مقياساً إلهياً، وحينما يكون أمامه مباح فالمؤمن يأخذ به تقرباً إلى الله تعالى أو يتركه تقرباً إلى الله تعالى، وبذلك يتقرب المؤمن بهذه المباحات إلى الله عزّ وجلّ، والمؤمن يمكنه أن يتحرّك بواسطة المباحات إلى الله تعالى، فتحوّل المباحات إلى مستحبات، وعلى المؤمن أن يعرف كيفية التعامل مع جميع الأحكام الشرعيّة .

والمؤمن الذي يلتزم بفعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرّمات والمكروهات، ويأخذ بالمباحات التي تساهم في حركته باتجاه الله تعالى، ويترك المباحات التي قد تؤخّره في حركته وصعوده في الدّرجات هذا المؤمن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام قبل الظهور، ويكون من أنصاره عند الظهور وبعد الظهور، ولا ينتظر الفرد الظهور لأجل أن يلتزم بعد ذلك بالإسلام، بل هو ملتزم بأحكام الدّين قبل ظهور إمامه عليه السّلام .

والمطلوب من المؤمنين أن يرجعوا إلى الفقهاء والعلماء الذين هم محاور الأئمة وقطب الرّحى بالنسبة لهم، ولا توجد محاور أخرى من الطبقة المثقفة أو غيرهم، ودور الطبقة المثقفة في المجتمعات هو أنّهم واسطة بين العلماء وبين الناس، ولا يكونون المحاور للمؤمنين في المجتمعات، وإذا أرادوا أن يكونوا هم المحاور فقد ابتعدوا عن الخطّ الصّحيح، فمحاورنا هم الفقهاء والعلماء فقط و فقط .

عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام : "فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه - فللعوامّ أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا (في) بعض فقهاء الشّيعة لا جميعهم" ^(١) .

بعض فقهاء الشّيعة أي بعض الفقهاء الذين يرجع إليهم المؤمنون في التقليد لا جميع الفقهاء، لا كما يطرح البعض الآن أنّه ترجع إلى أيّ مجتهد، وهذه الرّواية عادةً ما تُقرأ مبتورة الآخر، وأنت لا ترجع إلى جميع الفقهاء بل ترجع لأحد الفقهاء، وهذه الرّواية تبين قاعدةً عامّةً وهي رجوع الناس إلى الفقهاء، ولكن هذه الرّواية لا تبين من هو الفقيه الذي تختاره، ولا يمكن أن نقول إنّ بناءً على هذه الرّواية ارجع إلى أيّ فقيه حتّى لو لم يكن هو الأعلّم، فالرّواية تبين القاعدة العامّة وهي رجوع الشّيعة إلى الفقهاء، ويأتي السّؤال التّالي : مَنْ مِنَ الفقهاء ترجع إليه في أخذ الأحكام الدّينيّة ؟

(١) التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص ٣٠٠ .

وهنا نحتاج إلى أدلة شرعية أخرى تبين مقياسًا آخر لاختيار مرجع التقليد .

فما هي الأدلة الشرعية التي تثبت وجوب التقليد ؟
وما هي الأدلة الشرعية التي تثبت الأعلمية ووجوب الرجوع إلى
الفقيه الأعلم ؟ (١)

سؤال :

لماذا نحتاج إلى التقليد؛ لأن البعض قد يعترض بأنه لا نحتاج إلى
العلماء في معرفة أحكام الدين ؟

الجواب :

توجد قاعدة عامة عقلية وعرفية وشرعية تقول بـ (وجوب رجوع
الجاهل إلى العالم)، وهذه القاعدة تأتي في جميع العلوم لا في العلوم
الدنيوية فقط، والدليل العرفي هو أن الإنسان يرجع إلى الطبيب؛ لأنه
جاهل والطبيب عالم، والجاهل يرجع إلى العالم فيما لا يعرفه، فيوجد
متخصصون في جميع العلوم الدنيوية والعلوم الدنيوية، وأنت ترجع إلى
المتخصص في العلوم الدنيوية؛ لأجل أن تسأله عن أحكام الدين،
وهذه القاعدة العامة موجودة عند جميع الناس، فالعقل يقول بوجوب
رجوع الجاهل إلى العالم، والعرف العام - وهو ما يسمى بالسيرة
العقلانية - يقول أيضًا بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم، لذلك ترى

(١) راجع كتاب "التقليد والأعلمية والمرجعية الرشيدة"؛ لأجل الاطلاع
على أدلة وجوب التقليد، وأدلة وجوب الأخذ بالأعلمية .

بأنّ الإنسان المريض يذهب إلى الدّول الغربية لطلب العلاج؛ لأنّه يعتقد بوجود الطّبيب الأعلّم هناك .

والتقليد أيضاً أساسه رجوع الجاهل إلى العالم، ونرجع إلى الفقيه الأعلّم؛ لأنّ العقل يقول بذلك أوّلاً، فإذا دار الأمر بين العالم والأعلّم فإنّ العقل يقول بالرجوع إلى الأعلّم، فالدليل دليل عقليّ أوّلاً، والدليل الثّاني هو الدليل العرقيّ العامّ، ويمكن سؤال جميع النّاس في كلّ زمان ومكان أنّه إذا كان وُجِدَ العالم والأعلّم فيلّى من ترجع ؟

وأجوبة جميع النّاس تكون الرجوع إلى الأعلّم، لذلك يذهب المريض إلى الدّول المتقدّمة طبياً لطلب العلاج؛ لأنّه يعتقد بوجود الطّبيب الأعلّم هناك، فعقله يقول بوجوب الرجوع إلى الأعلّم، وكذلك العرف العامّ الشّامل لجميع النّاس في كلّ زمان ومكان يقول بذلك، فتكون القاعدة قاعدة عقلية وعرفية .

والدليل الثّالث هو القرآن الكريم والروايات الشّريفة التي تقول بالرجوع إلى الأفقه والأعلّم، والروايات الشّريفة واردة في باب القضاء، ولكنّها وإن كانت واردة في باب القضاء فهي تطبيق للقاعدة العامّة التي تقول بوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلّم .

دليل القرآن الكريم على الأعلميّة :

زادة بسطة في العلم أي زيادة في العلم فيكون هو الأعلّم .

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أُنَّى يُكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ

قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي
مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (١) .

دليل الروايات الشريفة على الأعلمية :

عن داود بن الحصين عن أبي عبدالله عليه السلام في رجلين اتفقا
على عدلين جعلهما بينهما في حكم وقع بينهما فيه خلاف فرضيا
بالعدلين، فاختلف العدلان بينهما، عن قول أيهما يمضي الحكم ؟
قال عليه السلام : "ينظر إلى أفقهما وأعلمهما بأحاديثنا وأورعهما
فينفذ حكمه، ولا يلتفت إلى الآخر" (٢) .

وهذه رواية من الروايات الدالة على الأعلمية لمن يقول بأنه لا توجد
عندنا روايات تدل على تقليد الأعلم، وهذه الرواية واردة في باب
القضاء، ولكن القاعدة قاعدة عامة تجري في الأمور الدنيوية وفي
الأمر الديني .

إذن :

دليل الأعلمية هو العقل أولاً، والعرف العام (السيرة العقلية) ثانياً،
والقرآن الكريم ثالثاً، والروايات الشريفة رابعاً .

وقد يعترض البعض بأنه لا يمكن الأخذ بالدليل العقلي، ولا يمكن

(١) البقرة : ٢٤٧ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٨٠ ح ٢٠ . قال السيد الخوئي رضوان الله
تعالى عليه عن هذه الرواية : معتبرة داود بن الحصين (كتاب الاجتهاد
والتقليد ص ٤٢٩) .

الاعتماد على العقل .

فنقول بأنّ القاعدة العقلية إذا كانت قطعياً فلا يمكن رفضها،

فهل يوجد عاقل يقول بأنه نرجع إلى العالم ونترك الأعلم؟!!

نعم النقاش الذي يمكن أن يقع هو أنه : هل يمكن تحديد وتعيين

الأعلم أو لا يمكن ؟

في المرتبة الأولى لا يوجد نقاش ولا إشكال في وجوب الرجوع إلى

الأعلم لوجود الدليل العقليّ والدليل العرفيّ والدليل القرآنيّ والدليل

الرؤائيّ .

والسؤال الذي يُطرح هو : هل يمكن تشخيص وتعيين وتحديد

الأعلم أو لا يمكن ؟

وهذا السؤال يأتي في مرتبة ثانية، ومن يعترض بأنه لا يمكن تحديد

الأعلم يعترض بالتالي على القاعدة العقلية .

فنقول إنّ القاعدة العقلية والقاعدة العرفية والقاعدة القرآنية

والقاعدة الرؤائية ثابتة، نعم يقع النقاش في إمكانية تحديد الأعلم

وعدم إمكانية ذلك .

والجواب على ذلك أنّه إذا لم يمكن تحديد الأعلم في فقيه واحد

فإنّه يمكن حصر الأعلمية في دائرة تضمّ عدّة فقهاء، وبذلك لا يوجد

إشكال على تحديد الأعلم، وإذا كانت الأعلمية ضمن عدّة فقهاء ولا

يوجد ترجيح لفقيه على آخر فالمكلف يختار أحدهم إذا قال أهل

الخبرة بتساويهم في الأعلمية، فيختار واحداً منهم ويكون مبرراً لذمته،

والاختيار يكون ضمن هذه الدائرة، ولا يختار شخصاً خارج هذه الدائرة، فالفقهاء الذين يكونون ضمن الدائرة تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة بشهادة أهل الخبرة، فيختار واحداً منهم، فإذا كان يمكن تحديد الأعلميّة في فقيه واحد فهو المطلوب، وإذا لم يمكن تحديد الأعلّم في فقيه واحد فيمكن تحديده ضمن دائرة بحيث تنحصر الأعلميّة فيمن تُحْتَمَلُ فيهم الأعلميّة، وهذا ممكن غير مستحيل، وبالرجوع إلى أهل الخبرة في الحوزات العلميّة يمكن حصرهم في ستّة أو سبعة مثلاً، ويقول أهل الخبرة بأنّ الرجوع إلى هؤلاء يكون مُبَرِّئاً للذمّة، كما هو حاصل الآن في واقعنا الحاليّ، والرجوع لا بدّ من أن يكون إلى أهل الخبرة لتحديد من تنحصر فيهم الأعلميّة، والمقياس هم أهل الخبرة من العلماء، وحينما تريد أن تعرف أفضل طبيب فإنك تسأل الأطباء عن أفضل طبيب بينهم، وكذلك ترجع إلى العلماء وتسالهم من أعلّم العلماء بينكم، فقد يحدّدون فقيهاً واحداً أو مجموعة من الفقهاء تنحصر فيهم الأعلميّة .

النتيجة :

توجد قاعدة عقليّة وعرفيّة بوجوب رجوع الجاهل إلى الأعلّم، وتوجد آية كريمة وروايات شريفة تشير إلى هذه القاعدة العقليّة، والمشكلة قد تأتي من عدم إمكان تعيين الأعلّم، وهذه المشكلة تحلّ عن طريق الرجوع إلى أهل الخبرة لتعيين الأعلّم في فقيه واحد أو ضمن فقهاء معدودين، وليس الحلّ في تقليد أيّ عالم من العلماء يختاره

المكلف بمزاجه الشخصي، بل الحل يكمن في وجود مقياس لاختيار مرجع التقليد، والاختيار لا يكون عشوائياً، وإنما ضمن مقياس وهم أهل الخبرة، ويمكنهم تعيين الأعلام؛ لأنّ هذا الأعلام عنده تاريخ سابق، والمرجع لا يخرج فجأةً، فعنده تاريخ وسيرة سابقة في الحوزات العلميّة ضمن مسيرته العلميّة التي تمتدّ إلى خمسين أو ستين سنةً، ويكون معروفاً بين العلماء، لا أنّه شخص مجهول وفجأةً يطبع رسالةً عمليّةً وينشرها بين الناس، فسيرته الذاتيّة تكون معروفةً في الحوزة العلميّة، وأيّ شخص يدّعي المرجعيّة لا بدّ من أن تسأل عن سيرته الذاتيّة وتاريخه السابق، كما أنّ الطيّب عنده سيرة وتاريخ وشهادات وخبرة في ممارسة الطبّ، كذلك الفقيه حينما يكون في الحوزة العلميّة يكون له مقام بين العلماء .

مثلاً سماحة آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئيّ رضوان الله تعالى عليه كان يأخذ الدرس صباحاً ويُدرّسه عصرًا كما يُنقلُ عنه .

سألوه : كيف يمكن أن تُدرّسَ هذا الدرس ؟

فأجاب بأنّه يفكر بجميع الأسئلة والإشكالات التي يمكن للطلبة أن يطرحوها ويحضّر أجوبتها ثمّ يأتي إلى الدرس .

والسيّد الخوئيّ رضوان الله عليه كان أستاذ السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه، فنرى الأعلام مع الأعلام، وفي أحد النقاشات بين السيّدين الجليلين كان السيّد الشهيد رضوان الله عليه يطرح إشكالاً فيجيبه السيّد الخوئيّ رضوان الله عليه، والسيّد الشهيد

يطرح إشكالاً آخر فيجيبه السيّد الخوئيّ، وهكذا إلى سبعة أو ثمانية إشكالات والسيّد الخوئيّ يجيبه إلى أن حان وقت الصّلاة، ولولا الصّلاة لاستمرّ في الإشكال والجواب، وهكذا يتمّ تقييم العلماء والفقهاء من قِبَل أهل الخبرة في الحوزات العلميّة .

الخلاصة :

في عصر الغيبة الكبرى تكليف المؤمن أن يرجع إلى المرجعيّة الرّشيّدة الصّالحة العادلة في أخذ أحكام الدّين، ومحاور المؤمنين هم العلماء فقط، ولا يرجعون إلى غير العلماء في أمورهم الدّينيّة، ودور الطّبقة المثقّفة في المجتمع هو أنّهم واسطة بين العلماء وبين الناس، ومنتبه إلى أنّ بعض الأفراد من الطّبقة المثقّفة في المجتمع يحاولون أن يكونوا محاور الأئمّة، وهذا واضح في جميع المجتمعات، ولا نحتاج إلى ذكر دليل على ذلك؛ لأنّ الدّليل دليل وجدائيّ، فنرى في جميع المجتمعات أنّ هناك من يتصدّى للقضايا الدّينيّة مع أنّه ليس بعالم، ولم يدرس في الحوزات العلميّة، ولا يوجد عنده الاطّلاع الكافي على المسائل الدّينيّة الّذي يؤهّله لأن يتصدّى للأمور الدّينيّة، ومع ذلك نرى أنّ بعض المؤمنين يتّخذونه محوراً ويلتقون حوله، وهذه الظّاهرة ليست ظاهراً صحيّةً؛ لأنّ العلماء فقط هم محاور الأئمّة المؤمنة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٤)

الالتزام بخطّ الإمامة^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

ما زال الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وكنا في التّكليف الثالث وهو الالتزام بالإسلام، وأخذنا فيه ثلاثة أمور : الأمر الأوّل هو الالتزام بتطبيق الإسلام، والأمر الثاني هو أنّ الانتظار ليس سبباً للتّكاسل، والأمر الثالث هو أخذ أحكام الدّين من الفقهاء، ونأتي إلى الأمر الرابع :

الأمر الرابع : الالتزام بخطّ الإمامة :

حينما نقول إنّ فلانا ملتزم بالإسلام فما معنى التزامه بالإسلام ؟

الجواب :

إنّ الالتزام بالإسلام يعني الالتزام بخطّ الإمامة والاعتقاد بالأئمّة

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٦ ذو الحجّة ١٤٣١ هـ ، ٣/١٢/٢٠١٠ م .

الاثني عشر عليهم السّلام واتباعهم، والذي يميّز الشيعة هو أنّهم يعتقدون بالإمامة حتّى لو كانوا من الزيدية أو الإسماعيلية أو الواقفية، فالواقفية مثلاً يعتقدون بسبعة أئمّة، ومع ذلك يُطلق عليهم اسم "الشيعة"؛ لأنّهم يعتقدون بالإمامة، فخطّ الإمامة هو الذي يمثّل الإسلام الحقيقي كما نعتقد، وأيّ خط آخر هو انحراف عن خطّ الإسلام الكامل، والشخص الذي يعتقد بالله تعالى وبنبيّه صلى الله عليه وآله ولا يعتقد بالإمامة هو مسلم، وتعامل معه معاملة المسلم؛ لأنّ من تشهد الشهادتين فهو مسلم، ونحن جميعاً في الدنيا والآخرة مسلمون، وفي الآخرة حسابنا جميعاً على الله تعالى، والحساب ليس بأيدينا ولا بأيدي أحد آخر من المدارس الأخرى، ولا نُكفّر المسلمين الذين لا يعتقدون بالإمامة، ولا يجوز قتلهم ولا التعدي عليهم وعلى أموالهم وأعراضهم، وقد أوصانا أهل البيت عليهم السلام بزيارة مرضاهم وتشجيع موتاهم وغير ذلك .

عن معاوية بن وهب قال : قلت له : كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا ؟ قال عليه السّلام : "تنظرون إلى أنتمكم الذين تفتدون بهم، فتصنعون كما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم، ويقيمون الشّهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم" (١) .

والتّعامل مع من لا يعتقد بالإمامة هو التعامل الإسلاميّ، والطّابع

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣٦ .

الإسلامي هو الذي يميّز العلاقة معهم، فهم إخواننا في الدين .
وخطّ الإمامة دعا إليه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والإمام منصوص
عليه من الله تعالى بالأدلة التي تثبت الإمامة من كتبنا ومن كتبهم،
والإمامة تحتاج إلى بحث مستقلّ مستقبلاً، فما هو مفهوم الإمامة ؟
وكيف يمكن إثباتها ؟ وما هي أدلتها ؟

يأتي شخص إلى الإمام الصادق عليه السلام ويسأله عن تكليفه
في عصر الغيبة حينما تكثر الفتن .

عن المفصل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :
" . أما والله ليغيبنَّ إمامكم سنيّاً من دهركم، ولتَمَحَصَنَّ حتى يقال :
مَاتَ، فُتِلَ، هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ، وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عَيُونُ الْمُؤْمِنِينَ،
وَلَتُكْفَأَنَّ كَمَا تُكْفَأُ السَّفَنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللهُ
مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَلَتُرْفَعَنَّ اثْنَا عَشْرَةَ
رَايَةً مُشْتَبِهَةً، لَا يُدْرِي أَيُّ مِنْ أَيِّ" . قال : فبكيت، ثمّ قلت :
فكيف نضنع ؟ قال : فنظر إلى شمس داخله في الصّفة، فقال : "يا
أبا عبد الله، ترى هذه الشمس ؟" . قلت : نعم . فقال : "والله لأمرنا
أَبِينُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ" (١) .

يغيب الإمام عليه السلام، وتأتي البلاءات والفتن والتّمحيص،
وهذه البلاءات تكشف حقيقة الإنسان ومعدنه، والإنسان في وقت

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣٦ ح ٣ . لَتُكْفَأَنَّ : على البناء للمجهول، من
قولهم كَفَأْتُ الْإِنَاءَ إِذَا كَبَيْتُهُ، كناية عن اضطرابهم في الدين لشدة الفتن .

الرّخاء يقول : أنا مسلم، أنا مؤمن، أنا مُتَدَيِّن .

والله عزّ وجلّ يبتليه ببلاء معيّن ليكتشف نفسه، وحينما يقول إنّه متديّن فمعناه أنّ عنده علاقةً بالله تعالى، والإنسان في وقت البلاء ينكشف على حقيقته لنفسه في المقام الأوّل، وقد ينكشف أيضًا أمام الآخرين .

والتّمحيص والاختبار له أنّه يعيش في عصر الغيبة الكبرى، وسيقال إنّ الإمام المهديّ عليه السّلام مات أو قُتِلَ أو هَلَكَ بأيّ واد سلك وأيّ مكان ذهب إليه، وطول المدّة سيجعل بعض النّاس الذين لا يعتقدون بإمامته يقولون إنّهم مقتول حتّى لو كان مولودًا .

"وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عَيُونُ الْمُؤْمِنِينَ" الذين يعتقدون بإمامته، فيعيشون الحسرة لغياب إمامهم عليه السّلام، ولا بدّ من أن يشعر المؤمن بالضيق لغيبة إمامه عليه السّلام، ولا يشعر بالراحة حتّى لو كانت الأموال الكثيرة بيده، وهذا الضيق لا بدّ من أن يكون مستمرًّا مع المؤمن سواء كان فقيرًا أم غنيًّا، وفي الروايات أنّه حتّى في الأعياد يتجدّد لآل محمّد الحزن، والمؤمن يحزن لحزن آل البيت عليهم السّلام، ويتذكّر المؤمن إمامه عليه السّلام فيحزن لغيبته، ويتذكّر غربة الإمام المهديّ عليه السّلام، وانتظاره لأنصاره، وانتظاره أمر الله له بالظّهور، والإمام الصّادق عليه السّلام يبكي لغيبة الإمام المهديّ عليه السّلام .
عن سدير الصّيرفيّ قال : دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السّلام،

فأيناه جالسًا على التراب، وعليه مسح خيبري مطوّق بلا جيب،
 مقصّر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله التّكلى، ذات الكبد الحرّى،
 قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التّغير في عارضيه، وأبلى الدّموع
 محجريه، وهو يقول : "سيّدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ
 مهادي، وأسرت منّي راحة فؤادي، سيّدي غيبتك أوصلت مصابي
 بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما
 أحسّ بدمعة ترقى من عيني، وأنين يفتر من صدري، عن دوارج الرّزايا،
 وسوالف البلايا . . . " . قال سدير : فاستطارت عقولنا، ولها
 تصدّعت قلوبنا جزعًا من ذلك الخطب الهائل . . . ، فقلنا : لا أبكى
 الله -يا ابن الورى- عينيك، من أيّ حادثة تستنزف دمعتك
 وتستمطر عبرتك؟ وأيّة حالة حتمت عليك هذا المأتم؟ قال : فزفر
 الصّادق عليه السّلام زفرةً انتفخ منها جوفه واشتدّ منها خوفه، وقال :
 "ويلكم، إيّي نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم . . . وتأمّلت
 فيه مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين (به من
 بعده) في ذلك الرّمان، . . . " . . . (١)

ويروى للإمام عليّ زين العابدين عليه السّلام :

نحن بنو المصطفى ذوو غصص	يجرّعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محتنا	أولنا مبتلّى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم	ونحن أعيادنا مآتمنا

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢١٩-٢٢٠ ح ٩ .

والنّاس في الأمن والسّرور وما يأمن طول الرّمان خائفنا

وما خصصنا به من الشّرف الطّائل بين الأنام آفتنا

يحكم فينا الحكم فيه لنا جاحدنا حقّنا وغاصبنا (١) .

عن عبدالله بن دينار عن أبي جعفر عليه السّلام قال : " يا عبدالله، ما من عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلا وهو يتجدّد فيه لآل محمّد حزن" . قلت : فلم ؟ قال : "لأنّهم يرون حقّهم في يد غيرهم" (٢) .

وهذا الشّعور بالضيق لا بدّ من أن يكون ملازمًا للمؤمن دائمًا، فالمؤمن يقوّي العلاقة الموجودة بينه وبين إمام زمانه عليه السّلام بحيث يتذكّر الإمام عليه السّلام في كلّ قول يقوله وكلّ عمل يعمله، ولا يغيب الإمام عليه السّلام عن ذهنه، وهذا التّدكّر يساهم في التّاحية العمليّة للمؤمن، فلو تذكّر إمامه عليه السّلام دائمًا فإنّه إذا أراد أن يُقدّم على عمل محرّم فإنّه يتوقّف ولا يرتكب هذا المحرّم؛ لأنّ علاقته بالإمام عليه السّلام علاقة قويّة، وعلى المؤمن أن يقوّي هذه العلاقة، وهذا التّدكّر الدائم للإمام عليه السّلام يصير حاجزًا بينه وبين ارتكاب المعاصي، وهذا الرّباط القويّ يحتاجه المؤمن، وكل اعتقاد نظريّ له جانب عمليّ، ولا يكفي أن يعتقد بالإمام عليه السّلام اعتقادًا نظريًّا فقط، فهو عليه السلام غائب، وأنت تعتقد به، وتعرف الأدلّة التي تثبت إمامته، ولكن السّؤال المهمّ هو :

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق ج ٨٨ ص ١٣٥ ح ٣ .

هل تتذكّر إمامك عليه السّلام حينما تريد أن تُقدّم على أيّ عمل ؟

هل تعرف ما يريدك إمامك عليه السّلام ؟

إنّ الإمام عليه السّلام يطلّع على أعمالك، وفي الروايات أنّ ملقك وصحيفة أعمالك يُعرضُ عليه في أوقات مختلفة، فلا بدّ من أن يحرص المؤمن على أنّ يكون هذا الملفّ ملقًا نظيفًا أبيض حينما يُقدّم إلى إمام زمانه عليه السّلام، فلا تكون فيه المحرّمات والمعاصي، ويكون ملتزمًا بالواجبات والمستحبّات .

وقبل هذا لا بدّ من أن يعرف المؤمن الحلال والحرام، وعليه أن يتعلّم دينه، وبدون العلم لا يمكن أن يتحرّك الإنسان، ولا بدّ من أن يعرف أنّ هذا العمل جائز حتّى يُقدّم عليه، أو محرّم فيتركه .

"وَلْتَكْفَأَنَّ كَمَا تُكْفَأُ السَّفَنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهَ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، وَأَيْدَهُ بَرُوحَ مِنْهُ"، تُكْفَأَنَّ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، مِنْ قَوْلِهِمْ : كَفَأْتُ الْإِنَاءَ إِذَا كَبَبْتُهُ، وَالسَّفِينَةُ تُقْلَبُ فِي الْأَمْوَاجِ رَأْسًا عَلَى عَقْبِ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْاضْطِرَابِ فِي الدِّينِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الْفِتَنِ، فَيَتَعَرَّضُ الْإِنْسَانُ لِأَمْوَاجِ الْفِتَنِ، وَفِي زَمَانِنَا مِنَ الْوَاضِحِ كَثْرَةُ الْفِتَنِ، فَتَنٌ دَاخِلُ الْبَيْتِ الْإِسْلَامِيِّ، وَفِتْنٌ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَفِتْنٌ كَثِيرَةٌ تَمَرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَنْجَحَ فِيهَا، وَيُظَلَّ مَتَمَسِّكًا بِدِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ عَمَلِيَّةٍ يَوْجَدُ تَعْبِيرٌ عَنِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي يَقُومُ بِهَا

الإنسان، والذي ينجو هو من أخذ الله ميثاقه، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، والإنسان بمجرد ادعاء الإيمان لا يكفي، بل لا بدّ من أن يعتقد ويؤمن حقيقةً، والمؤمن الحقيقيّ يكون مُؤَيَّدًا بروح من الله تعالى، وهذه الرّوح تكون مع المؤمن توجّهه إلى الصّراط المستقيم، فإيمان الإنسان يعطيه البصيرة، وتسمّى هذه الرّوح بـ "روح الإيمان"، فروح المؤمن تقوى بحيث تصل إلى درجة يكون عنده البصيرة، فحينما يريد أن يُقدِّمَ على أيّ عمل محرّم يكون عنده جرس داخليّ باطنيّ قلبيّ يقول له : أنت الآن قريب من دخول المنطقة المحرّمة، وهذه الرّوح لا يحصل عليها الإنسان العاديّ، وهي مثل جرس السيّارة حينما تتعدّى السيّارة ١٢٠ كيلومتراً تعطيك تنبيهاً، والإنسان المؤمن فيه مثل هذا الجرس، ولا بدّ من أن يحافظ المؤمن على هذا الجرس الداخليّ، وكثرة ارتكاب المعاصي يُفقد الإنسان هذا التّنبه الداخليّ، وكلّما صعد الإنسان في درجات الإيمان والكمال يستطيع أن يحافظ على روح الإيمان فيه؛ لكي يعطيه هذا التّنبه حينما يريد أن يُقدِّمَ على ارتكاب المعاصي .

وَلْتُرَفَعَنَّ اثْنَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً، لَا يُدْرَى أَيُّ مِنْ أَيٍّ، وكلّ راية تدّعي أنّها هي الحقّ، والإنسان إذا لم توجد عنده بصيرة فإنّه لا يستطيع أن يميّز بين هذه الرّايات، ولنفرض شخصاً يدّعي المرجعيّة الدّينيّة، فهو يرفع راية مرجعيّته على أنّها راية حقّ، ويحصل على أتباع مع أنّ الحقّ واضح؛ لأنّ الرّسالة العمليّة تبين طرق تقليد الفقيه، وبهذه الطّرق يمكن للمؤمن أن يصل إلى من يجب تقليده، فيصل إلى مرجع

التقليد إما بنفسه إن كان من العلماء وإما بواسطة أهل الخبرة إن لم يكن من العلماء، ولا بدّ من الرجوع إلى أهل الخبرة في تمييز الفقهاء، فهذه راية يرفعها مدّعي المرجعية، ويدّعي الحقّ مع أنّه في الواقع ليس بمراجع حقيقيّ، فهي راية يراد بها باطل .

قال : فبكيت، ثمّ قلت : فكيف نصنع ؟ قال : فنظر إلى شمس داخله في الصّفة، فقال : "يا أبا عبدالله، ترى هذه الشمس ؟" . قلت : نعم . فقال : "والله لأمرنا أبين من هذه الشمس" .

بكى بسبب الرّيات المشتبهة، ومن الممكن أن يدخل تحت راية من رايات الباطل، وسأل : ماذا نصنع ؟

فأعطاه الإمام عليه السّلام المقياس بأنّ أمر أهل البيت عليهم السّلام أوضح من الشّمس، فأمر الإمامة واضح لجميع النّاس، والحجّة قائمة على الجميع؛ لأنّ كلّ إنسان بفطرته يحتاج إلى القدوة، والاعتقاد بالإمامة أمر فطريّ، والإنسان بواسطة عقله يستطيع أن يصل إلى معرفة ضرورة وجود إمام معصوم .

وأيّ شخص تسأله : مثل من تريد أن تكون ؟

يقول لك : مثل فلان .

هذا الفلان يكون إمامًا بالنّسبة له .

إن حاجة النّاس إلى الإمام المعصوم حاجة فطريّة، والدليل على الإمامة في هو الدليل العقليّ، والإنسان ناقص، فيحتاج إلى من يدلّه على الطّريق، فيحتاج إلى إمام، والذي يدلّه على الطّريق لا بدّ من أن

يكون معصومًا، والإنسان لا يريد الطّريق الخاطئ، بل يريد الطّريق
الذي يوصل إلى الله تعالى، فإذا كان يريد الوصول إلى الطّريق
الصّحيح فإنّه يحتاج إلى معصوم لا يخطئ، وهذا هو الدليل العقليّ،
والعقل حجّة على جميع النّاس، ومن ينكر الحاجة إلى الإمام المعصوم
فإنّه ينكر دليلًا عقليًّا قطعياً، فالحاجة إلى الإمام حاجة فطريّة وعقليّة،
ومن لا يتّخذ الأئمة المعصومين أئمةً له فإنّه سيّخذ له أئمةً آخرين
غير معصومين، وهذا هو الواقع اليوم، ففلان الذي لا يستحقّ الإمامة
يصبح إمامًا، ويكون له أتباع يسرون خلفه، فمن لا يتّخذ أمير
المؤمنين عليًّا بن أبي طالب عليه السّلام إمامًا له فإنّه يتّخذ شخصًا
آخر إمامًا له؛ لأنّ الحاجة إلى الإمام المعصوم حاجة فطريّة وعقليّة،
والإنسان بفطرته وطبيعته يحتاج إلى إمام، فهو سيّخذ أئمةً غير
معصومين .

إنّ العقل يقول بالحاجة إلى الحجّة في كلّ زمان، فلا يخلو أيّ
زمان من حجّة على النّاس، ومن يخطئ لا يكون حجّة على غيره،
فالمخطئ لا يكون حجّةً على المخطئ، فلا بدّ من أن يكون هناك
شخص آخر يكون حجّةً بحسب المواصفات التي يقول بها العقل،
والعقل يقول بعصمته، وهذا الحجّة يمثّل المثل الأعلى والأسوة والقدوة
للإنسان في كلّ شيء .

وظفلة صغيرة محجّبة بحجاب شرعيّ كامل تصبح حجّة على النّساء
السّافرات، والمرأة السّافرة حينما تدخل إلى الجمعيّة التّعاونيّة أو السّوق

أو المستوصف أو المستشفى وترى هذه الطفلة الصغيرة فهذه الطفلة حجة عليها في الدنيا ويوم القيامة، وهي بنفسها حينما ترى هذه الطفلة تقول : ما شاء الله ما أجملها !
فقولها يكون حجة عليها .

وفي كلّ زمان يحتاج الإنسان إلى الحجّة والأسوة والقدوة المعصومة، والحجّة له صفات معيّنة، مثلاً علمه معصوم لا يخطئ، ويمثّل الحجّة الحدّ الأقصى للعلم الذي يمكن أن يصل إليه أيّ أحد، فإذا جعله الله تعالى حجةً فإنّه عزّ وجلّ يعطيه العلم الذي يحتاجه لممارسة دوره كحجة على البشر وإمام وقائد لهم، ويمثّل قمة العدالة وقمة الصفات الأخرى التي لا بدّ من أن تكون في البشر، فهو عنده هذه الصفات وزيادة فوق درجات العصمة، العصمة وما فوق العصمة من الصفات، ومن يدلك على الطّريق يوجد عنده العلم الكافي، والصفات المطلوبة للمعصوم نصل إليها بواسطة العقل، والدليل النقليّ إرشاد إلى الحكم العقليّ .

وإذا طلب أيّ شخص آيةً كريمةً أو روايةً شريفةً كدليل فنقول له إنّه في بحوث العقائد تأتي أوّلاً إلى الأدلّة العقلية، والعقل له دور في البحوث العقائديّة، وله دور أيضاً في حياة الإنسان بشكل عامّ .

لو سألنا : ما هو الدليل على وجود خالق للكون ؟

لا نجيب بأنّ الآية الكريمة تدلّ على ذلك، فحينما تتحدّث مع من لا يعتقد بوجود الإله الخالق لا تحتجّ عليهم بأية قرآنيّة ولا برواية

شريفة، فمنطلق البحث في العقائد منطلق عقليّ، وعن طريق العقل يمكن مناقشة جميع الأديان والمدارس والمذاهب، فنأتي إلى الأدلة الموجودة في عقولهم ونحتجّ بها عليهم .

يقال إنّ أحد العلماء صنع نموذجًا للمجموعة الشمسيّة، فأحد الملحدين رأى هذا النموذج وأعجب به، وقال بأنّ صانع هذا النموذج لا بدّ من أن يكون عالما، والعالم الذي صنع النموذج كان يعتقد بوجود الإله الخالق، فالعالم أخذ الملحد إلى النافذة وفتحها، وقال : أنت تقول بأنّ هذا النموذج الصّغير صنعه عالم، فماذا تقول في المجموعة الشمسيّة الأصليّة ؟ ألا يوجد لها إله خالق !؟

والإنسان أحياناّ يعتقد بأمر ويطبّقه على شيء، ولكن حينما يأتي إلى خالق الكون ينكر وجوده، فعقله يقول بوجود صانع للنموذج، ولكنّه ينكر وجود إله خالق للكون، مع أنّ الأمرين يقعان تحت نفس القاعدة، ولكنّه يطبّق القاعدة في موضع، ولا يطبّقها في موضع آخر مشابه للموضع الأوّل .

والحجّة على الناس يكون قائداّ لهم، وقائداّ لمسيرة البشريّة إلى الله تعالى .

ويأتي السّؤال التالي : وإذا غاب الإمام عليه السّلام فمن يكون قائداّ للبشريّة ؟

والجواب هو أنّ الإمام عليه السّلام أرجعنا إلى الفقهاء، فالفقهاء هم الذين يقودون هذه المسيرة، ويأتي دور الناس في تمييز الفقهاء

الذين يقودون مسيرة البشرية، والفقهاء الذين يكون نائباً عن الإمام عليه السلام هو القائد، ومقام النيابة مقام عالٍ لا يأخذه أي شخص، ويأتي مُدَّعٍ ويريد أن يأخذ هذا المقام، فلا بد من أن نكون حذرين في تقييم الفقهاء الذين يقودون مسيرة البشرية، والفقهاء هم محاور الأمة، وهم قادة للناس في تحديد تكاليفهم، ومرجع الأمة يحدّد تكاليف الناس، ومن يقول إنّ هذا تكليفي الشرعي نسأله : من أين أتيت بهذا التّكليف ؟

والفقهاء يحدّدون التّكاليف، وخاصّةً في مواضع الفتن، ولكي تعرف الطّريق الصّحيح لا بدّ من أن ترجع للفقهاء الذي يدلّك على الطّريق ويبين تكاليفك .

الخلاصة :

من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يكون معتقداً بخطّ الإمامة، وأن تكون له علاقة بالإمام المهديّ عليه السلام، وهذه العلاقة بينها المؤمن بنفسه، وكلّ مؤمن يكون تحت نظر الإمام عليه السلام، ففي كلّ لحظة يعلم الإمام ما تفعله، فإذا التزم المؤمن بالطّاعات يدخل السرور في قلب إمامه عليه السلام، وإذا عصى فالإمام عليه السلام يتضايق، فلا بدّ من أن نكون حريصين على إدخال السرور في قلب إمامنا عليه السلام، وإبعاد الضّيق عنه، فالمؤمن يفعل الطّاعات ويترك المعاصي؛ لكي يدخل السرور في قلبه عليه السلام، فمن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة أن يكون متمسّكاً

بخطّ الإمامة، ونحن نعتقد أنّ الإمامة تعبّر عن الخطّ الإسلاميّ الصّحيح، وتعاملنا مع من يخالفنا الرّأي يكون على أساس أنّهم مسلمون، ويوم القيامة الله عزّ وجلّ يفعل بنا وبهم ما يشاء، وأنت كمسلم من أيّ مدرسة هل عندك ضمان بأنّك من أهل الجنّة؟

إذا كان الإنسان لا يضمن لنفسه أنّه من أهل الجنة فلماذا يريد أن يُدخِلَ الآخرين إلى نار جهنّم!؟

أنت اعمل لأجل أن تنجو بنفسك في يوم القيامة وتدخل الجنّة، بدل أن تفكّر أنّ فلاناً من أهل الجنّة أو من أهل النّار، فأنت لست قسيم الجنّة والنّار، والقسيم موجود على نهر الكوثر، وهو قسيم الجنّة والنّار .

وعلى أيّ أساس تُدخِلُ هذا إلى الجنّة وذاك إلى النّار، وذاك المسيحيّ أو اليهوديّ أو حتّى البوذّيّ قد يدخل الجنّة إذا كان قاصراً غير مقصّر، فقد يكون قد بحث كثيراً، ولكن بعقله المحدود وصل إلى دين أو مذهب معيّن، وبعض النّاس تفكيرهم محدود، ولكنهم قد يصلون إلى أمر خاطئ، كما هو حال المعاقين، ومن يدّعي أنّه شيعيّ قد لا يُوقَفُ في آخر حياته للتّوبة، وقد يكون الإنسان على فراش الموت ويكفر بالله تعالى، فقد يصاب ببلاء ويقول : يا ربّي، لماذا تفعل بي هذا!؟

وهذه الكلمة لا تعبّر عن اعتقاده بالله تعالى، والإنسان المريض المبتلى قد ينطق بكلمة واحدة يحتجّ بها على الله تعالى، فيكفر في

آخر حياته، والإنسان لا بدّ من أن يكون حريصاً إلى مماته على إيمانه، ويرسّخ الإيمان في قلبه، وإذا لم يترسّخ الإيمان في القلب فقد يفقده الإنسان حين الموت، والعقائد تحتاج إلى ترسيخ، وقد ينتقل إلى عالم البرزخ بدون عقائده، وبعض الناس يكونون في الدنيا من المؤمنين، ولكنهم يُحشَرُونَ مع المنافقين أو اليهود أو النصارى أو الكفار .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : " لا تضيعوا صلاتكم، فإن من ضيع صلاته حُشِرَ مع قارون وهامان، وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته وأداء سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" (١) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "ومن مات ولم يحجّ حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً" (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : ". . . والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببيّنة (أي بشاهدين)، وبيّنته عمله ونيتته، فإذا اتّفقا (أي العمل والنية) فالعبد عند الله مؤمن، والكفر موجود بكلّ جهة من هذه الجهات الثلاث : من نية أو قول أو عمل، والأحكام تجري على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام

(١) بحار الأنوار ج ٨٠ ص ١٤ ح ٢٣ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٩ ح ١ .

المؤمنين بظاهر قوله وعمله" (١) .

الإنسان يكون مؤمناً بحسب ظاهره، ولكنّه حينما يصاب بالبلاء
لا يحافظ على الإيمان .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطيّبين الطّاهرين .

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩ ح ٨ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٥)

الإخلاص والشعور بالمسؤولية^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وجعلنا من أنصار الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف .
كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وأخذنا ثلاثة تكاليف، ونأتي الآن إلى التكليف التالي .

التكليف الرابع : تصعيد درجة الإخلاص وتعميق الشعور بالمسؤولية :
المؤمن في عصر الغيبة لا بدّ من أن تصعد عنده درجة الإخلاص إلى أعلى درجة ممكنة؛ لكي يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السلام، وكذلك يعمّق شعوره بالمسؤولية، وتوجد مسؤولية على الإنسان المؤمن في زماننا، لا أنّه فقط يذهب إلى وظيفته ويرجع إلى

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوَانِيَّة الأَسْبُوعِيَّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٨ محرم ١٤٣٢ هـ ، ٢٤/١٢/٢٠١٠ م .

بيته وتنتهي القضية إلى هذا الحدّ، فهناك مسؤوليّة على المؤمن في زمان الغيبة، فعليه مسؤوليّة تعجيل فرج إمام زمانه عليه السّلام، وإذا صعّد المؤمنون من درجة إخلاصهم وأحسنوا بالمسؤولية وعملوا وتحركوا على أساس الإخلاص والمسؤوليّة فمن الممكن أن يقربوا ظهور الإمام عليه السّلام، وتصعيد درجة الإخلاص وتعميق الشّعور بالمسؤوليّة عند المؤمنين يساهمان في توفير شرط الظهور ويقربان اليوم الموعود، ومن يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن تتوفّر فيه هاتان الصّفتان : الإخلاص والشّعور بالمسؤوليّة، وكلّما ازداد عند المؤمنين هاتان الصّفتان فإنّ الإمام عليه السّلام يقرب ظهوره .

وإذا توفّر الأنصار بالكمّ والكيف المطلوبين ظهر الإمام عليه السّلام؛ لأنّ الشرط الناقص للظهور هو وجود الأنصار بالكميّة والكيفيّة المطلوبتين، والإمام عليه السّلام جاهز متى ما جاءه الأمر بالظهور، والرّسالة الإسلاميّة العالميّة جاهزة للتطبيق، والآن الشرط الناقص للظهور هو توفّر الأنصار بالقادة الثلاثمائة وثلاثة عشر، والجنود بحسب درجاتهم الإيمانيّة واستعدادهم للتضحية، ودائرة الأنصار تتسع كلّما نزلنا إلى الأسفل، ويكون الإمام عليه السّلام على قمّة الهرم، وفي المرتبة الثّانية يوجد القادة، ثمّ تتسع الدائرة على شكلٍ هرميّ بحيث يزداد العدد كلّما نزلنا إلى الأسفل .

والمؤمن الذي يكون في أعماله مخلصًا لله تعالى وينطلق من إحساسه بالمسؤوليّة تجاه الدّين هذا المؤمن يكون مؤهلاً لبلوغ رتبة

الأنصار، ونعرف توقّر هؤلاء الأنصار حينما يظهر الإمام عليه السلام، فإذا ظهر الإمام عليه السلام فلازم ذلك أنّ المؤمنين وقّروا العدد الكافي من الأنصار وبالصفات الكيفيّة المطلوبة منهم، وبذلك يتحقّق الشرط الناقص، وما دام أنّ الإمام عليه السلام لم يظهر فمعنى ذلك أنّ هذا الشرط لم يتحقّق لحدّ الآن .

سؤال : كيف يمكن إيجاد هذين الأمرين في المؤمن ؟
الجواب :

إنّ من يكون مخلصًا لدينه ويشعر بالمسؤوليّة تجاه دينه - يحمل همّ هذا الدّين، وعنده اهتمام بالدّين، ومن يحمل همّ الدّين والاهتمام به فإنّ حياته لا تكون عاديّة كحياة سائر الناس، ولن يجلس بدون التّفكير في أمور دينه وكيفيّة نشر دينه، والإنسان حينما يهتمّ بأيّ أمر من الأمور تجد أنّ تفكيره يصبّ في هذا الأمر، فهو عنده الاهتمام بالدّين ويحمل الهمّ، لذلك يشعر بأنّه مسؤول عن هذا الدّين، فيفكّر في القضايا الدّينيّة، ويساهم في نشر الدّين، والإنسان حينما يقتنع بفكرة معيّنة فإنّه يحاول إقناع الآخرين بهذه الفكرة، والإنسان الذي عنده اهتمام بالدّين يكون حريصًا على نشره في العالم .

وقبل أن ينشر الدّين لا بدّ من أن يكون عالماً عارفًا بأمر دينه؛ لكي يمكن له نشره، فعنده علم قبل أن يسعى إلى نشر الدّين، وفاقده الشّيء لا يعطيه، والعلم بالشّيء يكون قبل نشره .

والمؤمن العارف بأمر دينه يهتمّ أن ينتشر الدّين في بيته أوّلاً ثمّ في

مجتمعه الصّغير ثانياً ثمّ في المجتمع العالمي ثالثاً .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . . . " (١) .

" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . " (٢) .

" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ . . . " (٣) .

" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . " (٤) .

المؤمن يقي نفسه وأهله من النَّار، وبالإضافة إلى ذلك يكون المؤمن حريصاً على نشر الدّين في مجتمعه ودعوة النَّاس إلى الإسلام في كلّ العالم بحسب استطاعته وقدرته، فالتَّبَيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَسُولٌ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، والإسلام رسالة عالميّة .

ومن يحمل همّ الدّين لا يمكن أن يكون همّه بطنه وفرجه فقط، وإذا كانت اهتماماته لا تتعدّى هذين الأمرين لا يمكن أن يساهم في نشر الدّين؛ لأنّه لا يحمل هذا الهمّ، وفي شهر رمضان يكون تفكيره بالطّعام والشّراب فقط، ما هو الإفطار؟ ما هو السّحور؟

(١) التّحريم : ٦ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) النّحل : ١٢٥ .

(٤) الأعراف : ١٥٨ .

مثل هذا الإنسان الذي يكون تفكيره في الطّعام فقط لا يمكنه أن يصل إلى درجة الأنصار، واهتمامات الإنسان لا بدّ من أن تتغيّر؛ لكي يمكنه أن يغيّر حياته .

والمؤمن الذي يحمل هذا الهمّ الكبير تظهر عليه آثار هذا الهمّ، مثل الإنسان الذي عنده حزن فإنّ هذا الحزن يظهر على قسّمات وجهه، والإنسان الذي يهتمّ بالدّين يظهر على أعماله وتصرفاته أنّه مهتمّ، والإنسان الذي يذهب من البيت إلى محلّ وظيفته ومن محلّ وظيفته إلى البيت ولا يوجد عنده عمل آخر لا يوجد دليل على اهتمامه بالدّين، وإذا كان لا يستطيع أن يتحرك ويعمل بنفسه لأيّ ظرف فإنّه يمكنه المساهمة في حركة الآخرين وعملهم ولو عن طريق تشجيعهم المادّي أو المعنويّ .

هل يمكن للإنسان الذي يهتمّ بأمور دنياه فقط من الأكل واللبّاس والسكن ووسيلة النّقل وغيرها هل مثل هذا الإنسان يعيش هموم دينه وهموم نبيّه صلّى الله عليه وآله وهموم أئمّته عليهم السلام؟! النّبّي صلّى الله عليه وآله كان يحمل همّ دينه، وكذلك الأئمّة عليهم السلام .

هل تعرفون كيف كانوا عليهم السلام يعيشون؟ كان النّبّي صلّى الله عليه وآله يواجه تعذيب قريش حتّى أنّ فضلات الحيوانات كانت تُرْمى عليه، وكانوا يضعون الشّوك في طريقه، ويثيرون الأطفال عليه ليرموه بالحجارة، وقد هاجر صلّى الله

عليه وآله في سبيل دينه، وواجه مصاعب فوق حدّ التّصوّر، والأئمّة عليهم السّلام تعرفون حياتهم من ضغوط السّلطات وصعوبة حياتهم وانتقالهم من سجن إلى سجن، وكذلك حياة المقرّبين من النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، كالمقداد وعمّار وأبي ذر ومالك الأشتر وأنصار الإمام الحسين عليه السّلام وغيرهم من أصحاب الأئمّة عليهم السّلام، كانوا عليهم السّلام وأصحابهم مستعدّين للتّضحية بأنفسهم في سبيل الدّين، وهذا هو المستوى العالي من الإيمان .

وصفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هي صفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، وقد يقول شخص بأنّه لا يعرف صفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام فنقول له بأن يراجع واقعة الطّفّ وينظر إلى أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام الذين كانوا موجودين في كربلاء، والصفّات الموجودة فيهم تمثّل صفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، والإنسان المؤمن أمامه أمثلة كثيرة، وهذه الأمثلة لو يأخذ صفاتهم ويجسّدها في نفسه ويتحلّى بها فإنّه يتصاعد ويتكامل تدريجيّاً إلى أن يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

هذه هي حياة من يحمل هموم الدّين، فهو سيواجه المصاعب ولن يعيش في راحة، ويكون تفكيره فوق قضايا بطنه وفرجه، والشّابّ الذي اهتمامه لا يتعدّى سيّارته، وتراه بلباس معيّن مثل لباس الغربيّين، وله قصّة شعر مثل قصّة الممثّلين والمطربين هل تعتقدون أنّه

يحمل همّ الدّين أو أنّه يمكن أن يساهم في نشر الدّين وتهيئة الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام أو إعداد أنصار المهديّ عليه السّلام ؟
والمؤمن يبدأ بتجسيد الدّين في نفسه ثمّ ينقله إلى الآخرين المحيطين به، ويكون عمله على مستوى العالم، فالأرض اليوم عبارة عن قرية صغيرة بعد توفّر وسائل الاتّصالات .

وقبل أن يساهم الإنسان في نشر الدّين في العالم لا بدّ أوّلاً من أن يكون مطبّقاً لأحكام دينه من الأحكام العقائديّة والأخلاقيّة والعملية، فأوّلاً يبدأ بتطبيق الدّين على نفسه؛ لكي يكون بعد ذلك مساهماً في تطبيق الدّين في العالم .

ولا يقول : أنا أتعلّم حتّى أعلم الآخرين .

بل يقول : أنا أتعلّم حتّى أطبّق على نفسي أوّلاً، وبعد ذلك أكون معلّماً للآخرين .

وخصوصاً طلبة العلم، فالمؤمن يتعلّم الأحكام؛ لكي يطبّقها على نفسه أوّلاً، والهدف الأوّل هو التّطبيق على نفسه ثمّ تعليم الآخرين، وليس الهدف الأوّل تعليم الآخرين، وإذا أراد المؤمن أن يكون مساهماً في نشر الدّين في العالم فلا بدّ من أن يكون مطبّقاً لأحكام الدّين على نفسه أوّلاً، ولا يرفض بعض الأحكام نتيجة أهوائه، ويبرّر رفضه على أساس بعض الأسباب الوهيّة كالأعراف الاجتماعيّة، فأحياناً يقول لا أطبّق هذه المسألة الشرعيّة؛ لأنّها خلاف الأعراف، والأعراف ليست هي الحاكمة، فالأحكام الشرعيّة تحكم الأعراف، فإذا كان

العرف متناسبًا مع أحكام الدّين فهذا العرف نأخذ به، وإذا كان العرف متناقضًا مع أحكام الدّين فهذا العرف نتركه، والنّاس يجعلون الأعراف هي الحاكمة على الحكم الشرعيّ، ويقولون إنّ هذا هو العرف فماذا نفعل؟

نقول إنّ العرف لا بدّ من أن يكون تحت مقاييس الدّين .
ومن التّبريرات أيضًا عدم إمكان تطبيق هذا الحكم في زماننا، فيقول إنّ هذا الحكم كان يطبّق في عهد النّبّي صلّى الله عليه وآله، والآن زماننا تغيّر، فهذا الحكم لا بدّ من أن يتغيّر؛ لأنّه لا يتناسب مع زماننا، ونحن نعتقد أنّ الإسلام يتناسب مع كلّ زمان ومكان، وأحكامه قابلة للتّطبيق، وكلّ مسلم يعتقد بهذا الأمر، ولكن من ناحية عمليّة البعض يرفض بعض الأحكام، ويقول بأنّها غير قابلة للتّطبيق، وغير ذلك من التّبريرات المعلّبة الجاهزة ممّن لا يقبل بعض الأحكام الشرعيّة .

وهذا كلّ نتيجة لعدم تقبّل أحكام الدّين، فنفسه لا تقبل بعض الأحكام؛ لأنّها مخالفة لرغباته الدّنيويّة ومشتهياته وأهوائه، ومثل هذا الإنسان لا يمكن أن يكون ممّن يحمل هموم الدّين أو يكون من المساهمين في نشر أحكام الدّين؛ لأنّه لا يتقبّل بعض الأحكام الشرعيّة .

كيف لشخص لا يتقبّل حكمًا من الأحكام الدّينيّة أن يكون من الدّاعين لهذا الحكم أو يكون من المساهمين في نشره؟

نعم يتكلّم في المواضيع التي لا تتعارض مع رفضه، والأحكام التي تتناسب مع هواه يقوم بنشرها، ولكنّ الأحكام التي لا تتناسب مع رغباته لا يتكلّم عنها .

مثلاً الشخص الذي لا يهتمّ بأن تلبس بناته الحجاب الشرعيّ هل يمكن أن يكون من الدّعاة إلى لبس الحجاب الشرعيّ وانتشاره بين المؤمنات ؟

وإذا أراد أن يتكلّم في المواضيع الدّينيّة فإنّه يتكلّم في أيّ موضوع إلا موضوع الحجاب .

والبعض يقول بأنّ البنت لا بدّ من أن تقتنع بالحجاب، ولا يبدأ مع البنت منذ أن تكون صغيرة بالباسها الحجاب الشرعيّ، فإذا لم يكن مقتنعاً بالحجاب أو لا يُلبس بناته الحجاب فمن المستحيل أن يكون من الدّاعين إلى تطبيق هذا الحكم .

إنّ من يريد أن يتكلّم في أمور الدّين ويتصدّى لنشر أحكام الدّين عليه أولاً أن يتبّى جميع أحكام الدّين، فلا يتبّى حكماً دون حكم، وثانياً يكون مطبّقاً لها، وثالثاً بعد ذلك يستطيع أن يساهم في نشر جميع الأحكام الدّينيّة في العالم ودعوة جميع النّاس إلى تبنيها؛ لأنّ هذه الأحكام تتحوّل إلى مبادئ عنده، والمبدأ لا يتنازل عنه الإنسان، لا لأنّه حكم شرعيّ فقط، وإنّما لأنّه حكم شرعيّ مبدئيّ عنده، وإذا تحوّل كلّ حكم إلى مبدأ فإنّ صاحب المبادئ يساهم في نشر الدّين في العالم، وليس كلّ شخص يمكنه أن يساهم في نشر الدّين، بل لا

بدّ من أن يكون مقتنعًا بهذه الأحكام ويتبنّاها على أساس أنّها مبادئ في حياته، مثلما أنّ الإنسان الدنيويّ عنده مبدأ المال، ولكنّ المؤمن مبادئه تختلف عن مبادئ الإنسان الدنيويّ، فالمؤمن يتبنّى الأحكام الشرعيّة كمبادئ .

النتيجة :

المؤمن لا بدّ من أن يصعد درجة الإخلاص عنده إلى أعلى درجة ممكنة، والمؤمن عنده إحساس بالمسؤوليّة تجاه هذا الدّين وتجاه إمامه الغائب عليه السّلام، والإخلاص مع تعميق الشّعور بالمسؤوليّة يؤدّي إلى أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، وصفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام هي نفس صفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، فننظر إلى الأمثلة الموجودة في التاريخ من الأشخاص المقربين للنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، فهم يمثّلون لنا المثال والقدوة والمثل الأعلى، ونطبّق صفاتهم على أنفسنا فنصبح في زماننا من أنصار الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشّريف .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٦)

أهميّة العمل الاجتماعي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

طرحنا أنّ من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى تصعيد درجة الإخلاص وتعميق الشعور بالمسؤوليّة، ومن يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن تكون فيه هاتان الصّفتان؛ لكي يمكنه أن يمهد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، ومن تكون فيه هاتان الصّفتان سيحمل همّ هذا الدّين، والدّين يكون جزءاً من همومه اليوميّة، فيحمل همّ هذا الدّين بالتّطبيق أوّلاً، وبالنّشر ثانياً .

والإنسان إذا حمل همّ الدّين فإنّه يطبّق أحكام الدّين على حياته، وخاصّةً الأحكام التي لها تأثير على حياته، مثلاً الإنسان إذا صلى فإنّ الصّلاة لا تؤثر على وقته؛ لأنّها عمل سهل يؤدّيه خلال دقائق

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيواليّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٣٠ صفر ١٤٣٢ هـ ، ٤/٢/٢٠١١ م .

معدودة، والصَّيام أمر سهل أيضًا إذا كان يجلس تحت التَّكْيِيفِ البارد، ولكن هناك بعض الأحكام الَّتِي تَمَسُّ حياة الإنسان، فهو يتنازل عن شيء في مقابل أداء هذه الأحكام، وهنا يكون المحكُّ للإنسان، فالأحكام الَّتِي تحتاج إلى مجاهدة نفسية وتكون في غير صالحه إذا التزم بها فمعناه أنَّ عنده اهتمامًا بجميع أحكام الدِّين وتطبيقها جميعًا، وهذا الإنسان الَّذِي يطبِّق هذه الأحكام يكون مؤهَّلًا لأن يصبح من أنصار الإمام عليه السَّلام، ومثل هذا الشَّخص يكون مؤهَّلًا أيضًا لنشر الدِّين؛ لأنَّه طبق الأحكام على نفسه، وأمَّا الشَّخص الَّذِي لا يهتم بحجاب بناته فإنَّه غير مؤهَّل لأن ينشر حكم الحجاب في العالم؛ لأنَّه غير مقتنع بهذا الحكم، ولو كان مقتنعًا به وطبَّق الحكم على زوجته وبناته فهو مؤهَّل لنشر الأحكام، لذلك إذا كان الإنسان متصدِّيًا فالمطلوب منه أولًا أن يكون مطبِّقًا لأحكام الدِّين على حياته، فالآن يكون مؤهَّلًا لأن يتصدَّى ويساهم في نشر أحكام الدِّين، فمن يحمل هموم الدِّين يحاول أن ينشر أحكام الدِّين .

سؤال : كيف يمكن للمؤمن أن ينشر الدِّين ؟

الجواب :

بعد أن يطبِّق المؤمن أحكام الدِّين يبدأ الآن بالتَّفكير بكيفية نشر هذه الأحكام في العالم، والعالم الآن قرية صغيرة، والإنسان إذا كان معتقدًا بفكرة معينة - حتى في القضايا الدَّنيوية - عادةً ما يحاول أن ينشر هذه الفكرة، فمن كان معتقدًا بالفكر الماركسيِّ كان يساهم في

نشر هذا الفكر، ومن يعتقد بالفكر الرأسمالي يطبع الكتب؛ لأجل نشر هذا الفكر في العالم، ولكن في عالمنا الإسلامي من حيث الفكر الديني كم من المسلمين يعتقدون أنّ الإسلام قابل للتطبيق في كل زمان ومكان؟

استقرئ آراء المسلمين، وتلاحظون أنّ التمسك بالدين الآن قليل، مثلاً في المدارس كم من البنات يلبسن العباءة الشرعية؟ تجد أنّ العدد قليل جداً، وقد لا يتجاوز عدد أصابع اليد، حتى في المناطق المحسوبة على أتباع أهل البيت عليهم السلام تجد أنّه في المدارس لا يوجد الحجاب كظاهرة .

لماذا لا تنتشر هذه الظاهرة مع أنّها تعبّر عن الحجاب الشرعي؟ إذا كانت الأم متديّنة وكان الأب متديّناً فالمفروض بشكل طبيعي أن بناتهما يُعَبَّرْنَ عن هذا التدين؛ لأنّ المفروض أنّهما منذ نعومة أظفارهنّ يحاولان أن يعوّداهنّ على الحجاب الشرعي، لماذا هذا الأمر من الأبوين لا يكون موجوداً؟!

معنى ذلك أنّ الأبوين غير مقتنعين بهذا الحكم الشرعي، لذلك يقولان بأنّ البنت حرة في أن تتحجّب أو لا تتحجّب بحسب اقتناعها، فإذا اقتنعت تتحجّب، وإذا لم تقتنع لا تتحجّب، ويتركان الأمر للبننت لكي تقرر، مع أنّ الأب وليّ على البنت، فيجب عليه أن يحجّب ابنته منذ البلوغ، وإذا قصر الأب سيحاسب على قصيره، وكذلك الأمّ مسؤولة إذا كانت تستطيع أن تؤثر على البنت .

إنّ نشر الدّين من مهامّ من يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، فإذا أراد أن ينشر أحكام الدّين فلا بدّ من أن يعمل عن طريق التّحرّك الدّينيّ الاجتماعيّ بين النّاس المحيطين به أوّلاً ثمّ يحاول الوصول إلى النّاس البعيدين عنه في الدّول الأخرى بل في العالم كلّه، ولا بدّ من أن يكون عنده هذا التّحرّك إذا أراد أن يصل إلى رتبة أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمن الذي يكون حليس البيت وليس له شغل بأمر الدّين ولا يهتمّ بالتّحرّك الاجتماعيّ فهذا لا يكون مؤهلاً للوصول إلى درجة الأنصار .

ولو راجعنا حياة الأشخاص المقربين من النّبويّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام لوجدنا أنّ لهم دوراً في نشر الدّين والدّفاع المستميت عن الدّين، وقمة من يمثّل ذلك أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، فقد كانوا مستعدّين للتّضحية بأنفسهم في سبيل الله تعالى، وضحووا بأنفسهم للدّفاع عن إمامهم عليه السّلام، وهذه قمة التّضحية لمن يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، ولا بدّ من أن ينظر إلى أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، وهؤلاء الأنصار بمواصفاتهم يمثّلون مواصفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، فالتّحرّك الاجتماعيّ لا بدّ من أن يكون ضمن نشاط الإنسان المؤمن الذي يريد أن ينشر أحكام الدّين في العالم، وهذا النّشاط مطلوب من المؤمن، وأوّل ما يبدأ بالتّحرّك الاجتماعيّ الدّينيّ في وسطه الصّغير بين أهله وعائلته ثمّ ينتقل إلى مجتمعه الأكبر في بلده ثمّ إلى العالم .

والعالم الآن عبارة عن قرية صغيرة بعد توفّر وسائل الاتّصال الحديثة، والمؤمن يحاول الاستفادة من هذه الوسائل لنشر الفكر الدّينيّ الإسلاميّ الإيمانيّ بين النّاس في جميع أرجاء العالم، لا أنّه يدخل إلى الإنترنت لتضييع الوقت والدّخول إلى المواقع غير النّافعة، وهذا جزء من مهمّة الإنسان إذا كان معتقدًا بالإسلام، وإذا كان المؤمن سابقًا يتكلّم داخل المسجد فقط فالآن الخطب تُنقلُ عبر القنوات الفضائيّة ومواقع الإنترنت إلى العالم كلّه، ويمكن للمؤمن الآن أن يساهم في نشر الفكر الدّينيّ في العالم، فيأمكنه أن ينشر أيّ محاضرة أو لقاء في مختلف أرجاء الأرض، وهذا من مهامّ الإنسان المؤمن، فيستفيد من الوسائل الحديثة في نشر الفكر الإسلاميّ .

سؤال : ما هي صفات الإنسان المتحرّك دينيًّا واجتماعيًّا ؟
الجواب :

إنّ المؤمن الذي يريد أن يقوم بالعمل الدّينيّ الاجتماعيّ لا بدّ من أن يعرف مواصفات العمل وصفات العامل، فالعمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يكون منطلقًا من إخلاص المؤمن لرّبّه ونبيّه صلّى الله عليه وآله وأئمّته عليهم السّلام، ومن شعوره بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقه تجاه دينه، وثيّة العامل لا بدّ من أن تكون خالصةً لله تعالى، ولا تكون له أهداف أخرى، فينطلق من الإخلاص والإحساس بالمسؤوليّة، فهو مسؤول عن نشر الدّين، فيشارك في الأعمال الاجتماعيّة، والمشاركة في الأعمال الاجتماعيّة في عصر الغيبة الكبرى

سيرفع من درجة إخلاصه ويعمق شعوره بالمسؤولية ويتكامل ويصعد في درجات الإيمان .

ويجب الالتفات إلى أنّ من يريد أن يتصدى للأمر الاجتماعي لا بدّ من أن تتوفر فيه صفات معينة؛ لكي لا يشوّه الدين وينقّر الناس من الإسلام، ويحتاج العامل إلى بعض المقدمات، فليس كلّ شخص يكون مؤهلاً للتصدّي، فلا بدّ من أن تتوفر فيه مواصفات خاصّة؛ لكي يهتدي على يديه الناس .

فأولاً لا بدّ من أن يكون متمسكاً بالدين، ومخلصاً فيه، ومؤدباً لواجباته، ومبتعداً عن محرّماته، ومطبّقاً لأحكامه، ولا يستغلّ الدين لأجل مصالحه الشخصية .

وقبل ذلك لا بدّ من أن يكون لديه علم بالأحكام الإلهية من أحكام العقائد وأحكام الأخلاق وأحكام العمل، وليس من المعقول ممّن يريد أن ينشر الدين أن يكون جاهلاً بالأحكام الدينية، وكذلك في الأمور الأخرى المتفرّعة عن الأحكام الثلاثة .

ولا بدّ من أن يكون لديه علم بما يريد أن يتحرّك فيه من عمل اجتماعي، فيحدّد العمل بالضبط وكيفية إنجازه، ويكون عالماً بالظروف المحيطة بهذا العمل، فعنده علم بالأحكام الدينية أولاً، وعلم بما يريد أن يتحرّك فيه ثانياً، وعلم بالظروف المحيطة بالعمل ثالثاً .

إنّ الهدف من العمل هو التقرّب إلى الله تعالى وطلب رضاه والتكامل من خلال العمل، لا أن يفكر فقط في نشر أحكام الدين

بين النَّاس، ففي المقام الأوّل المؤمن الَّذي يتحرّك يريد أن يتكامل، وهذه نقطة مهمّة لا بدّ من الالتفات إليها، فالمؤمن الَّذي يريد أن يدعو النَّاس إلى الدّين نسأله : لماذا تريد أن تدعو النَّاس إلى الدّين ؟
قد يقول : أريد أن أهدي النَّاس .

نقول : إنّ الهدف الأوّل هو أن تزداد هدى فوق الهدى الموجود عندك .

ففي المقام الأوّل تعمل لنفسك، وتعمل لأجل تكاملك، لا أنّ الشّخص يريد أن ينشر الدّين وهو يعصي الله تعالى في خلواته، نعم يساهم في هداية الآخرين، ولكنّه لا يهتدي، فلا بدّ من أن يطلب رضا الله تعالى مع الحصول على التّكامل والصّعود في درجات الإيمان والكمال، والمهمّ بالنسبة له أنّ الله يقبل عمله، وإذا تقبّل عمله فمعناه أنّه يتكامل ويصعد درجة بعد أخرى، فيساهم في هداية الآخرين وهو يزداد إيماناً فوق إيمانه وهدى فوق الهدى وكماً فوق الكمال، وهذا مهمّ حينما يريد أن يقوم بأيّ عمل اجتماعيّ .

هل هو يستفيد من هذا العمل ويتكامل أو يقف في مكانه أو قد يتسافل حينما يطلب السّمعة والشّهرة والصّيت ومعرفة النَّاس له أو الدّخول في تنافس مع الاتجاهات الأخرى ؟

كلّ هذا غير مهمّ عنده، فالمهمّ هو أن يتقبّل الله عمله ويكون راضياً عنه، ويتكامل من خلال العمل .
والسؤال الَّذي نطرحه هو :

لماذا لا نرى الهمة عند المؤمنين بالدرجة المطلوبة ؟
المؤمنون الذين يعتقدون بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان
ويعتقدون بأئمة اثني عشر لماذا لا توجد عندهم همة بشكل عامّ ؟
نعم تجد في المجتمع قليلاً من المؤمنين يتحرّكون في نشر أحكام
الدّين، ولكن لماذا لا تكون هذه الظاهرة ظاهرةً عامّةً ؟
ولماذا لا تكون هذه الهمة عند جميع المؤمنين ؟
سيأتي الجواب في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٧)

علامات الإخلاص والشّعور بالمسؤولية^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا فاطمة الزّهراء .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا أبا عبد الله الحسين .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا عليّ بن الحسين زين العابدين .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا أبا الفضل العبّاس .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا حجّة الله يا بقيّة الله في أرضه يا حجّة ابن الحسن .

إنّ المؤمن في عصر الغيبة الكبرى عليه مجموعة من المسؤوليات والتكاليف، والمؤمن لا بدّ من أن يعرف مسؤولياته وتكاليفه في عصر

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في مسجد الصّديقة فاطمة الزّهراء عليها السّلام في دولة الكويت منطقة عبدالله المبارك، الجمعة ٦ شعبان ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١/٧/٨ م .

الغبية؛ لكي يمكنه أن يسقط هذه التكاليف عن كاهله، ويصل تدريجيًا إلى أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .
ومن هذه المسؤوليّات والتكاليف التي لا بدّ من أن يعرفها الإنسان المؤمن هي تصعيد درجة الإخلاص وتعميق الشّعور بالمسؤوليّة، وإذا أراد المؤمن أن يصبح من الأنصار فالمطلوب منه أن يكون مخلصًا في أعماله، وأن يشعر بمسؤوليّته في عصر الغيبة الكبرى، وإذا قام المؤمن بتكليفه فإنّه يتوفّر شرط ظهور الإمام عليه السّلام، ونقترب إلى اليوم الموعود، وهو اليوم الذي ينتظره المؤمنون، وينتظرون ظهور الأمل المنشود، فالإمام عليه السّلام مُنْتَظَرٌ مُنْتَظَرٌ، فالمؤمنون ينتظرون ظهوره، فيكون مُنْتَظَرًا، وهو عليه السّلام ينتظرنا حتّى نعدّ أنفسنا لظهوره، فيكون مُنْتَظَرًا .

سؤال : كيف يمكن إيجاد هذين الأمرين : الإخلاص والشّعور بالمسؤوليّة عند المؤمن ؟
الجواب :

توجد علامة يمكن من خلالها أن يعرف المؤمن نفسه من أنّ هاتين الصّفتين موجودتان فيه أو لا، فينظر إلى نفسه ويسأل نفسه السّؤال التّالي :

هل أنا أحمل همّ هذا الدّين أو لا ؟

إنّ مقدار اهتمام الإنسان بدينه يدلّ على مقدار إخلاصه وشعوره بالمسؤوليّة .

كم تحمل من همّ هذا الدّين ؟

هل يهّمك أن ينتشر هذا الدّين في العالم ؟

هل يهّمك أن ينتشر العدل في العالم وتكون من المساهمين في نشر

العدالة ؟

إنّ العلامة التي تدلّ على إخلاص المؤمن وشعوره بالمسؤوليّة هي مقدار اهتمامه بهذا الدّين .

هل يفكر أنه من المهمّ كما أنا أصلي أن يكون جاري من المصلّين أيضاً ؟

وهل يهّمه أنّ ذاك الإنسان في أدغال أفريقيا وذاك الموجود في الغرب يكون من المصلّين ؟

كما أنه يريد أن يدخل إلى الجنّة يساهم في دخول النّاس إلى الجنّة، وهذا من اهتماماته، لا فقط أنّه يهتمّ بطعامه وشرابه وبيته وزوجته وأولاده، لا يهتمّ بهذه الدّائرة الضيّقة فقط، بل لا بدّ من أن يكون شعوره شعوراً عالمياً؛ لأنّه يعتقد بأنّ الإسلام رسالة عالميّة، وأنّ الدّين لم يأتِ للجزيرة العربيّة فقط، وأنّ هذا الدّين خاتمته أنّه ينشر العدل في العالم، بل ستفتح العوالم الأخرى على عالمنا .

وإذا نظر الشّخص إلى نفسه وقال : أنا لا أدري أنّي مهتمّ بالدّين أو غير مهتمّ .

هذا الشّخص نعطيه بعض العلامات من خلال بعض الأسئلة، ومن خلال الإجابة عليها يعرف أنّه مهتمّ بالدّين أو غير مهتمّ :

هل يهّمه أن يعرف دينه وأن يكون عنده اطلاع على جوانب
ومعالم دينه ؟

وإلى أيّ مقدار يهتمّ بطلب العلم ؟
وهل يهّمه أن يتعلّم معالم دينه أو أنّه يستيقظ في الصّباح ويذهب
إلى العمل ثمّ يرجع إلى البيت ويتغدّى وينام ويذهب ليلاً إلى الدّيوانيّة
ثمّ يرجع إلى البيت، وهكذا تدور عجلة الحياة الرّوتينيّة عنده يوميّاً ؟
إذا كان الشّخص يعيش بهذه الكيفيّة فهذا يدلّ على عدم اهتمامه
بالدّين .

فمن العلامات الّتي تدلّ على اهتمام الإنسان المؤمن بدينه أنّه يريد
أن يعرف معالم دينه .

ونسأل المؤمنين : ما هي معالم دينكم ؟
كم من المؤمنين يمكنه أن يذكر تفاصيل معالم الدّين ؟
نحن نحفظ أنّ أصول الدّين خمسة وفروع الدّين عشرة ونكتفي
بذلك .

ونأتي إلى الأصل الأوّل وهو التّوحيد، ونسأل : ماذا تعرف عن
التّوحيد ؟

لا بدّ من أن يكون عند المؤمن جواب تفصيليّ لهذا السّؤال، وفي
أذهان الكثيرين أفكار عامّة مجملّة ضبابيّة، ونحن الآن في القرن الواحد
والعشرين وفي عصر المعلومات، والمعلومات تستطيع أن تصل إليها في
زماننا بكلّ سهولة في الإنترنت .

ولكن إلى أيّ حدّ يهتمّ المؤمنون باكتساب المعلومات ؟
والشّباب يضيّعون أوقاتهم في مواقع غير نافعة، ولكن هل يدخلون
إلى الإنترنت لأجل اكتساب المعلومات عن معالم دينهم ويكون الجهاز
نافعًا ويصبّ في اتجاه الدّين ؟
إذن :

العلامة الأولى للإنسان المؤمن المهتمّ بإسلامه أن يكون عارفًا بأمر
ومعالم دينه .

ونأتي إلى العلامة الثّانية، وهي أنّه إذا كان الإنسان مهتمًّا بأمر ما
فإنّ هذا الأمر يأخذ جزءًا من تفكيره خلال اليوم .

فإذا كان عنده اهتمام وهَمٌّ بالدّين فإنّ الاهتمام والهَمّ يظهر عليه،
ويفكّر بهذا الدّين، فمن جهة هو يريد أن يكتسب معلومات عن
معالم دينه، ومن جهة أخرى عنده اهتمام وهَمّ لنشر الدّين في العالم،
ونشر الدّين يأخذ جزءًا من اهتماماته وهَمّه ووقته وجهده وماله .

ومثال بسيط على ذلك أنّ الإنسان إذا أراد أن يشتري سيّارة فإنّه
يذهب إلى معارض السيّارات ليرى أحدث السيّارات الموجودة، وهذا
الاهتمام يأخذ جزءًا من وقته وجهده، ويفكّر بأفضل سيّارة يمكن أن
يشتريها .

وإذا كان عند الإنسان اهتمام بالدّين فالمفروض أنّ جزءًا من وقته
يكون لحمل هذا الهَمّ والاهتمام، فمن جهة يفكّر في كيفيّة اكتساب
المعلومات عن دينه، ومن جهة أخرى يريد أن يكون إشعاعًا من نور

لهداية الناس إلى الإسلام، وهذا يأخذ جزءًا من وقته؛ لكي يساهم في نشر الدين .

والمثال الأوضح في حمل همّ هذا الدين هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام .
كيف كان يعيش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

كان يحمل همّ هذا الدين، فمنذ أن يستيقظ في الصباح كان يبدو عليه الاهتمام لهداية الناس إلى الإسلام؛ لأنّه أرسله الله تعالى للناس كافةً لا فقط ضمن الدائرة الضيقة في مكة والمدينة، نعم بدأ بمكة والمدينة، ولكن فيما بعد بدأ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنشر الإسلام في العالم .

والأئمة عليهم السلام ماذا عانوا في سبيل هذا الدين؟
كانوا بين تعذيب وسجن وتعتيم إعلامي، والطريقة التي كان يعيشها الأئمة عليهم السلام تدلّ على اهتمامهم بالدين .
وعلىنا الآن أن نقارن أنفسنا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة عليهم السلام؛ لنرى اهتمامنا بالدين إلى أيّ مقدار .

هل نحن الآن نعيش هذا الهمّ والاهتمام ١٠٠% أو نحن نعيش حياة روتينية بأن نستيقظ وننام ثمّ نستيقظ وننام ولا نعطي جزءًا من وقتنا لهذا الدين؟

إنّ المؤمن يريد أن يساهم في ظهور الإمام المهديّ عليه السلام، ويكون له دور إيجابي في الظهور، وإذا ظلّ المؤمنون على أوضاعهم

الثابتة فالإمام عليه السّلام لن يظهر، فالإمام عليه السّلام يكون عنده الأنصار، والعدد المذكور في الروايات هو ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، وإذا لم يكن القادة موجودين فالإمام عليه السّلام لن يظهر، وإعداد القادة هو دور المؤمنين وتكليفهم، وخاصّةً ضمن الأوضاع العالميّة في زماننا، والتي تبشّر بالظهور بحسب الروايات، ولكن لا يمكن أن نعطي وقتاً معيّنًا لظهوره عليه السّلام؛ لأنّه كذب الوقّاتون كما في الرواية، نعم نستبشر خيراً بالعلامات التي تحقّقت، ولكن بعض العلامات حتّى في عصور الأئمّة عليهم السّلام كانت تدلّ على قرب الظهور، فيأتي شخص إلى أحد الأئمّة عليه السّلام ويسأله بأنّه القائم، فيقول عليه السّلام بأنّه ليس هو القائم المهديّ عليه السّلام، وقد يتكرّر الأمر مع أكثر من إمام عليه السّلام .

عن حمران بن أعين قال : سألت أبا جعفر عليه السّلام، فقلت : أنت القائم ؟ قال : "قد ولدني رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإني للطّالب بالدم، ويفعل الله ما يشاء" . ثمّ أعدت عليه، فقال : "قد عرفت حيث تذهب، صاحبك المدبح البطن ثمّ الحزاز برأسه ابن الأرواع" (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٤٠ ح ٢١ . المدبح البطن : الصّحيح هو المدبح البطن أي واسع البطن وعظيمه . الحزاز : قشرة الرّأس، وهي تظهر على شكل حببيات بيضاء . الأرواع : جمع أروع : وهو من إذا نظرت إليه أعجبت منظره وحسنه .

عن يونس بن عبد الرحمن قال : دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحقّ؟ فقال عليه السلام : "أنا القائم بالحقّ، ولكنّ القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملاها عدلاً كما مُلئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون". ثمّ قال عليه السلام : "طوبى لشيعةنا المتمسّكين بحبنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا، والبراءة من أعدائنا، أولئك منّا، ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمةً، ورضينا بهم شيعةً، وطوبى لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة" (١).

حتى في عصر الأئمة عليهم السلام كان المؤمنون ينتظرون، فيظنون أنّ كلّ إمام عليه السلام هو القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله، وذلك بسبب تحقق بعض علامات الظهور، فيظنون أنّ وقت الظهور قد حان، فيتوقعون أنّ الإمام المعاصر لهم هو القائم عليه السلام، ويجب الإمام بأنّه ليس هو القائم وأنّه سيظهر في المستقبل.

إذن :

العلامة الأولى هي أنّ المؤمن الذي يحمل همّ الدين ويكون مهتماً بالدين يكون طالباً لمعرفة معالم دينه، والعلامة الثانية هي أن يكون مطبّقاً لأحكام الدين على حياته بعد أن يتعلّمها، والمؤمن حينما يتعلّم مسألةً من المسائل الدينية يطبّق هذه المسألة، ولا يريد أن يتعلّم

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥١ ح ٦.

لاكتساب المعلومات فقط، ولكنّه بالإضافة إلى ذلك يكون مطبّقاً
لهذه المعلومات، فالعلم يساوي المعلومات بالإضافة إلى العمل .

العلم = المعلومات + العمل

وحيثما تأتي كلمة "العلم" في الآيات والروايات لا تعني المعلومات
فقط، بل تقصد المعلومات والعمل على أساس هذه المعلومات .

سؤال : متى يكون الإنسان عالمًا ؟

الجواب :

يكون الإنسان عالماً إذا كان عاملاً، وإذا لم يكن عاملاً فهو ليس
عالماً، لذلك حينما نقول إنّ فلانا "عالم" فالمقصود أنّه يطبّق
المعلومات التي اكتسبها، ومن يتعلّم أحكام الدّين فلا بدّ من أن
يكون مطبّقاً لها، لا أنّه يأخذ بعض الأحكام ويرفض الأحكام
الأخرى .

قد يقول : لا آخذ بهذا الحكم بسبب وجود أعراف اجتماعيّة
تمنعي عن تطبيق هذه المسألة .

نقول : إنّ هذا مجرّد تبرير؛ لأنّ الأحكام إذا كانت واجبةً
فالمطلوب من المؤمن أن يأتي بالواجبات، وإذا كانت مستحبةً فهي
مقدّمة على الأعراف الاجتماعيّة، وإذا وقع تعارض بين عرف
اجتماعيّ وحكم شرعيّ واجب أو مستحبّ يجب تقديم الحكم
الشرعيّ على العرف، وسنن النبيّ صلّى الله عليه وآله لا بدّ من أن
تكون مطبّقةً بين المؤمنين، والسّنن ليست سنناً فرديّةً فقط، وإذا التزم

المؤمن بالصَّلوات ونوافلها فهذه ناحية فرديّة وواجب ومستحبّ فرديّ، وهذا سهل على المؤمن بأن يتوضّأ ويصلّي، ولكنّ السّؤال المهمّ هو : هذه الصَّلوات الفرديّة كم تؤثر على تحرّكه الاجتماعي وعلى علاقاته الاجتماعيّة داخل بيته ومجتمعه وعلى علاقاته بالمؤمنين وبغير المؤمنين ؟

توجد في ديننا أحكام اجتماعيّة لا أحكام فرديّة فقط، والأحكام الفرديّة يسهل العمل بها، فيصلّي ويصوم ويذهب إلى الحجّ، وهذه أعمال سهلة، ولكن في العلاقات الاجتماعيّة بين المؤمنين هناك آيات وروايات كثيرة .

والمؤمنون إلى أيّ مقدار يلتزمون بهذه الآيات والروايات ؟

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ . . ." (١) .

هذه الأخوة لا بدّ من أن تتجسّد بمظاهرها، وهذه الأخوة الإيمانيّة لا يعيشها المؤمنون اليوم، فكلّ إنسان الآن يفكّر بنفسه وبدائرته الضيّقة ضمن العائلة المكوّنة من الزّوجة والأولاد، ولا بدّ من أن يكون تفكيرنا تفكيراً عالمياً، لا أن يكون تفكيرنا ضيقاً .

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . ." (٢) .

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) التّوبة : ٧١ .

"وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (١) .
"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . . ." (٢) .
ومن الروايات الشريفة :

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "ليس ممّا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا" (٣) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشّه، ولا يعده عدة فيخلفه" (٤) .

عن جميل عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : سمعته يقول :
"المؤمنون خدم بعضهم لبعض" . قلت : وكيف يكونون خدمًا بعضهم لبعض ؟ قال : "يفيد بعضهم بعضًا . . ." (٥) .

هل المؤمنون يعيشون اليوم بهذه الكيفيّة بحيث إنّ المؤمن يفكر بأخيه المؤمن ؟ وهل يعيش المؤمن همّ أخيه المؤمن ؟ وكما أنّه يأكل هل يفكر أنّ أخاه المؤمن - حتّى في بلده - يحصل على طعامه أو لا يحصل ؟ وكما أنّ أولاده يذهبون إلى المدرسة هل يفكر بأولاد المؤمنين الذين لا يستطيعون دفع أقساط المدارس ؟

(١) الشّعراء : ٢١٥ .

(٢) آل عمران : ٢٨ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٦٥ ح ٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٦ ح ٣ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٧ ح ٩ .

لا بدّ من أن يكون عند المؤمن الاهتمام بأخيه المؤمن؛ لأنّ المؤمن أخو المؤمن، فكما أنّك تفكّر بأخيك وقريبك في التّسب كذلك لا بدّ من أن تفكّر بأخيك في الإيمان .

إنّ من يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن يكون شعوره شعورًا عالميًا، ولا يعيش ضمن دائرة ضيّقة، فهذا الدّين دين عالميّ، ومعنى ذلك أنّك تريد أن تطبّق الرّسالة الإسلاميّة في العالم كلّه .

إنّ على المؤمن أوّلًا أن يتعلّم جوانب الدّين، وثانيًا عليه أن يطبّق جميع أحكام الدّين، لا أن ينتقي بعض الأحكام التي تتناسب مع أهوائه ورغباته ومشتهياته ومصالحه الشخصيّة، بل يطبّق أحكام الدّين حتى لو كانت على خلاف هواه ورغباته ومصالحه الشخصيّة، ويظهر إيمان الإنسان حينما يتعارض حكم دينيّ مع مصلحته الشخصيّة، والإنسان المتديّن يقدّم الحكم الشرعيّ على المصلحة الشخصيّة، ففي وقت التّعارض يظهر إيمان الإنسان، ولا يمكن أن نجعل علامة الإنسان المؤمن الصّلاة فقط؛ لأنّه من الممكن أن يوجد شخص شارب للخمر ويصليّ، فلا تكون الصّلاة لوحدها علامةً ودليلاً على إيمان الشخص .

من الرّوايات الشّريفة :

عن الإمام أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام : " لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء قد اعتاده، فلو تركه استوحش

لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته" (١) .

إنّ الصّدق والأمانة علامتان على الإيمان، والأمانة تظهر حينما تكون بيد الإنسان أموال، فهل يكون أميناً في صرفها أو لا ؟ وكذلك صدق الحديث إذا كان الصّدق يؤدّي إلى تعارض مع مصلحته الشّخصيّة، فالصّدق علامة على إيمان الشّخص .

وأما الصّلاة والصّيام وباقي العبادات الفرديّة لوحدها فهي ليست علامات على الإيمان؛ لأنّ الإنسان الفاسق قد يصلي، ويرتكب المعاصي ويأتي إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة، فتوجد بعض العلامات التي تكون دليلاً على الإيمان الحقيقيّ للإنسان، نعم العبادات الفرديّة علامة على الإيمان الظّاهريّ للإنسان .

إذن :

من العلامات الدّالة على إيمان الإنسان أوّلاً طلب العلم، وثانيًا تطبيق الأحكام الشرعيّة على نفسه، ثمّ ثالثًا نشر هذه الأحكام في العالم، فهو يطلب العلم ويطبّق الأحكام، فيأتي إلى المسجد ويصلي، ولكن إلى أيّ مقدار ساهم في نشر معالم الدّين ؟ وهذه وظيفة على المؤمن، وتكليف الإنسان الذي يتعلّم أن يعلم غيره .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "رحم الله خلفائي" . فقليل : يا رسول الله، ومن خلفاؤك ؟ قال : "الذين يُحْيُونَ سنّتي، ويعلمونها عباد

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٨ ح ١٠ .

الله" (١) .

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : "زكاة العلم تعليمه من لا يَعْلَمُهُ" (٢) .

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : "ما تصدَّق النَّاسُ بصدقة مثل علم يُنَشَرُ" (٣) .

قد يقول شخص : أنا أكتفي بالجلوس أمام القنوات الفضائية وأكتسب علمًا .

نقول : إنّ المطلوب بعد أن يتعلّم أن يعلّم الآخرين، فالعلم حجة عليه من جهة التّطبيق ومن جهة التّشر .
يقول : أنا عالم .

نقول : إنّ العالم لا يجلس في بيته حينما يحتاج المجتمع إليه وإلى العلم الذي اكتسبه .

يقول : لا شأن لي بالنّاس، فأنا أجلس في بيتي وأصلي .

نقول : بأنّه محاسب على ذلك، لأنّ العلم الموجود عند الإنسان تكليفه أن ينشره، وإذا لم يُقْم بتكليفه فإنّ الله عزّ وجلّ يحاسبه، فهو لديه علم، ولكنّه لم يساهم في نشره بين النّاس، والمطلوب من العالم أن يكون عاملاً لا أن يكون عنده علم فقط، فلا يكتفي بأنّه يملك علمًا

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٥ ح ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ح ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ح ٨٧ .

دون أن ينشره .

إنّ حمل همّ هذا الدّين يحتاج إلى عمل، وهذه علامة من علامات الإيمان، فالمؤمن الذي عنده علم ويكون مطبّقاً لعلمه تكليفه أن ينشر علمه .

سؤال : كيف للمؤمن أن ينشر العلم ؟

الجواب :

عن طريق التّحرّك الاجتماعيّ الدّينيّ، مثلاً يشارك في الدّورات الشّبابيّة للكبار والصّغار، وأيّ نشاط فيه تحرّك اجتماعيّ فإنّ المؤمن يتصدّى له ويشارك فيه، وهذا تكليف على المؤمن، فيساهم في نشر الدّين عن طريق هذا التّحرّك، فيبدأ المؤمن أوّلاً بنفسه ثمّ بدائرته الصّغيرة من أهل بيته ثمّ بأقربائه ثمّ يوسّع الدّائرة إلى منطقتة التي يعيش فيها ثمّ إلى المناطق الأخرى ثمّ بلده ثمّ البلدان الأخرى ثمّ العالم كلّه .
ولا يكتفي بقوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . . . " (١) .

هذه دائرة ضيقة، والله تعالى لا يريد فقط أن تقي نفسك وأهل بيتك، والآية الكريمة لم تأت بصيغة الحصر، أي لا تقي إلا نفسك وأهلك، فهذا جانب من جوانب الدّين .

والجانب الآخر هو أنّ المؤمن الذي يطلب العلم تأتي بحقه الآية

الكريمة :

(١) التّحرّيم : ٦ .

"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (١) .

وهذه دائرة أوسع، فتوجد دائرة أكبر، وهي دائرة المجتمع، ودائرة القوم، والحدود الجغرافية لا تحدّد قوم الإنسان؛ لأنّ كلّ إنسان مؤمن يعتبر أحًا لك، فدائرة المؤمنين واسعة، فأنت كإنسان مؤمن قومك جميع المؤمنين، لا فقط ضمن حدودك الجغرافية الضيقة، فكلّ مؤمن في العالم هو أخوك، وإذا وُجد مؤمن في شرق الأرض أو غربها فإنه يعتبر من إخوانك، والمؤمن أخو المؤمن، وإمّا المؤمنون إخوة، ولا بدّ من أن تفكّر بهم، لا فقط تفكّر بالدائرة الضيقة .

ونرجع إلى عنوان بحثنا في هذه المحاضرة "إخلاص المؤمن وتعميق الشّعور بالمسؤولية"، فالإنسان المؤمن حينما يتحرّك في العمل الاجتماعيّ ينطلق على أساس الإخلاص لله تعالى، ولا ينفعه أن يتحرّك اجتماعيًا وهو يبحث عن الشهرة أو اكتساب الأموال أو تحصيل المصالح الشخصية، ففي هذه الحالات لا يوجد الإخلاص لله تعالى، فالانطلاقة تكون انطلاقة الإخلاص لله عزّ وجلّ، ومن يريد أن يتصدّى في القضايا الاجتماعية لا بدّ أوّلاً من أن يتوفّر فيه شروط معيّنة، وبعد ذلك يدخل في العمل الاجتماعيّ، وليس كلّ شخص يكون مؤهلاً للعمل الاجتماعيّ .

(١) التوبة : ١٢٢ .

قد يقول : أنا مستعدّ .

فنقول له : هل وفّرت شروط العمل الاجتماعيّ ؟

تكليفه أوّلاً توفير شروط العمل الاجتماعيّ، وبعد ذلك يتحرّك اجتماعيًّا، وقبل أن يوفّر هذه الشّروط ليس من حقّه أن يدخل في العمل الاجتماعيّ، وأوّل شرط هو أن يخلص نيّته لله تعالى، فيدخل إلى العمل الاجتماعيّ قرّبَةً إلى الله تعالى فقط و فقط، ولا يريد أيّ مكسب من المكاسب من خلال العمل، ومن لا تتوفّر فيه هذه الشروط سيفسد بدل أن يصلح، فإذا كان هدفه الإصلاح فإنّ عمله سينقلب إلى الإفساد .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر ممّا يصلح" (١) .

لا بدّ من أن يُقدّم المؤمن على العمل بعلم، فيعرف كيف يتحرّك اجتماعيًّا، ويكون عنده العلم الكافي بأساسيات العمل الاجتماعيّ، لا أنّ كلّ شخص يتصدّى اجتماعيًّا وهو لم يوفّر الشّروط في نفسه، وإذا لم يوفّر الشّروط قد ينقّر النّاس من الدّين، مع أنّ هدفه هو نشر الدّين، ولكنه ما يتحقّق هو خلاف هدفه، فينقّر النّاس من الإسلام .
النتيجة :

من يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام عليه أن يكون مخلصًا لله تعالى وأن يشعر بالمسؤوليّة في عصر الغيبة الكبرى،

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨ ح ٧ .

ومن العلامات أن يحمل همّ الدّين أوّلاً، وأن يطلب العلم ثانيًا، وأن يطبّق العلم على نفسه ثالثًا، وأن يساهم في نشر العلم عن طريق التّحرّك الاجتماعيّ الدّينيّ رابعًا؛ لكي يكون من المساهمين في نشر الدّين، لا فقط في بلده بل في العالم كلّه؛ لأنّه إنسان رساليّ عالميّ، وهذا الدّين جاء من أجل نشر العدالة في العالم كلّه، والإمام المهديّ عليه السّلام يريد أن ينشر الدّين والعدل في العالم كلّه، وهذا جزء من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٨)

المؤمن عامل فعّال^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا صاحب الزّمان عجل الله تعالى فرجك الشّريف وجعلنا من أنصارك وأعوانك .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ :
"يا جابر، أيكفي من يَنْتَحِلُ التّشيعُ أن يقول بحبنا أهل البيت ؟
فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، . . ." (٢) .

لا يكفي أن يقول الشّيعي بأنّه يحبّ أهل البيت عليهم السّلام، بل لا بدّ من أن يكون إنساناً متّقياً ومطيّعاً لله عزّ وجلّ .
ثمّ قال الإمام الباقر عليه السّلام :

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في مسجد الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، الكويت-الصّليبيّة، الجمعة ١٣ شعبان ١٤٣٢ هـ، ١٥/٧/٢٠١١ م .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٧٤ . يَنْتَحِلُ : يدّعي .

"وما كانوا يُعْرِفُونَ - يا جابر - إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء" .

ثمّ قال الإمام الباقر عليه السّلام :

"حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ : أَحَبُّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فِعَالًا" .

لا يكفي أن يقول بحبّ عليّ عليه السّلام، بل لا بدّ من أن يكون مع ذلك فِعَالًا، وفِعَالًا صيغة مبالغة من فاعل، أي يكون كثير الفعل، فيكون المؤمن عاملاً كثير العمل .

والدّين يحتاج إلى أفعال وأعمال من جميع المؤمنين، وفي عصر الغيبة الكبرى توجد تكاليف على الإنسان المؤمن، ولا بدّ من أن يعرف هذه التكاليف؛ حتّى يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وفي زماننا كما نحن ننتظر الإمام عليه السّلام هو ينتظرنا أيضًا، فهو مُنْتَظَرٌ مُنْتَظَرٌ، نحن ننتظره حتّى ينشر العدل في العالم، وهو ينتظرنا حتّى نكون من المؤمنين حقًّا، ونكوّن له الأنصار، ونمهد له أرضية الظهور حتّى يظهر، وهذا يحتاج إلى فعل وعمل، لذلك تقول الرواية بأن يكون فِعَالًا أي عاملاً كثير العمل، ولا يكفي بمعرفة الدّين فقط، فالمعلومات بحدّ ذاتها لا تحرك الإنسان المؤمن، فالمطلوب من

المؤمن في زماننا مجموعة من التكاليف والمسؤوليات، ولا بدّ أولاً من معرفة المؤمن لهذه التكاليف، وهذا يحتاج إلى مجموعة من المحاضرات حتى يمكننا بيان "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى" .

ومن هذه التكاليف أنّ المؤمن لا بدّ من أن يشعر بالمسؤولية تجاه الدين، وأن يصعد درجة إخلاصه لله ولنبيه وإمامه ولدينه، فيشعر بالمسؤولية تجاه الدين ويصعد من درجة إخلاصه، أي يقوم بالعمل تقرّباً إلى الله فقط وفقط، ولا يريد شيئاً آخر من خلال العمل .

والمؤمن أولاً لا بدّ من أن يكون عنده علم بأحكام الدين، وثانياً لا بدّ من أن يكون مطبّقاً لأحكام الدين، وثالثاً لا بدّ من أن يكون ناشراً لهذه الأحكام بين الناس، فيكتسب العلم ويعمل به وينشره .

قد يقول شخص : أنا أكتفي أن أتعلّم وأصلي وآتي بالعبادات .
نقول له : إنّ هذا المقدار لا يكفي، نعم تكليفك أن تصلي، وتكليفك أيضاً أن تعلّم الآخرين كيفية الصلاة، وتعلّم أحكام الدين للناس، فرسالتنا رسالة عالمية، فلا بدّ من أن ننشر أحكام الدين في العالم، فكما أنّك تصلي تريد أن يصلي ذلك الإنسان في الشرق والغرب حتى من يعيش في أدغال أفريقيا، ولا يكون الإنسان أنانياً في دينه، فالجنة تتسع لجميع الناس من أبينا آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة .

والشخص الذي يصلي وحده كأنه يقول : أنا فقط أريد أن أدخل الجنة، ولا شأن لي بباقي الناس .

وتكليفنا ليس فقط أن نأخذ الدين، بل أيضاً أن ننشر الدين، فمن مسؤولية المؤمن أن يساهم في نشر الدين في العالم .

إذا كان عند المؤمن القدرة على العمل فهو يعمل على نشر الدين، ومؤمن آخر يتبرع بالأموال لنشر الدين، فالعالم يؤلف الكتب، ويحتاج إلى أموال لطباعة مؤلفاته، والعالم يريد أن ينشر الدين، والمؤمنون يساهمون في طباعة كتبه حتى ينتشر الدين .

وإذا ألقى العالم محاضرات لنشر الدين فكما أنه يوجد محاضر فلا بد من وجود أشخاص يستمعون للمحاضر، فتكليف المحاضر أن يتكلم، وتكليف المؤمنين أن يحضروا للاستماع إلى المحاضر، فيكتسبون العلم ويعملون به وينشرونه .

ونشر العلم يحتاج إلى وسائل، والآن توجد وسائل حديثة لنشر العلم في العالم عن طريق القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت، ويستفيد المؤمن من جميع الوسائل لنشر الدين في العالم، والمؤمنون يكونون كخليّة النحل يعملون معاً لنشر الدين، فيكتسبون العلم ويعملون به وينشرونه في العالم، والمفروض أن لا يوجد مؤمن كسول، فالمؤمن يكون نشيطاً عاملاً فعّالاً، ولا يُقبل أن يكون متهاوناً في عمله، وإذا كان الشخص كسولاً فإنّ كسله يمتدّ إلى كلّ عمل، فتجده كسولاً حتى في المدرسة، ونرى كثيراً من الطلبة المؤمنين كسولين في مدرستهم، والمؤمن لا يكون كسولاً، فالمؤمن إذا عمل عملاً فإنه يتقنه، وإتقان العمل تكليف على المؤمن، والتكليف تارة يكون على نحو الوجوب

وتارةً أخرى على نحو الاستحباب، فالمطلوب من المؤمن أن يكون متحرِّكًا عاملاً فعَّالاً، والمؤمن الكسول لا بدّ من أن يراجع إيمانه؛ لأنّ الدّين يدعو إلى العمل، ونجد في الآيات القرآنيّة في خمسين آية تقريباً "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" .

لا فقط أنّه مؤمن، بل لا بدّ من أن يكون عنده العمل بالصّالحات أيضاً، فلا يكفي أن يقول الإنسان بأنّه مؤمن، بل لا بدّ من أن يأتي بالأعمال الصّالحة، والمطلوب أيضاً من المؤمنين أن يتعلّموا العلم لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون، وهذا أيضاً تكليف من تكاليف المؤمنين .

إذن :

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أوّلاً لا بدّ من أن يعرفها، وثانيًا لا بدّ من أن يعمل بها، وثالثًا لا بدّ من أن يساهم في نشرها لأجل أن يعرفها المؤمنون، ويقومون بالعمل على أساسها، ومن التكاليف أن يشعر المؤمن بالمسؤوليّة تجاه هذا الدّين، ولا يكفي أن يكون مؤمنًا فقط، بل لا بدّ من أن ينشر الإيمان في العالم، وكذلك لا بدّ من أن يصعد درجة إخلاصه تجاه إمام زمانه عليه السّلام .

إنّ نشر الدّين يحتاج إلى عمل، والدّورات الشّبائيّة على مدار السنّة وخاصّةً في فصل الصّيف وسيلة من وسائل نشر الدّين، والتّحرك الاجتماعيّ مطلوب من جميع المؤمنين كلّ على حسب طاقته وقدرته، فمؤمن يؤلّف الكتب، ومؤمن آخر يُدرّس، ومؤمن ثالث يساهم بماله،

ومؤمن رابع يوفّر الوسائل لهؤلاء الشّباب العاملين، فكلّ مؤمن له دور في نشر الدّين في العالم، ولا بدّ من أن يقوم كلّ مؤمن بتكليفه عن طريق التّحرّك الاجتماعي، ويراجع نفسه ليرى كيف يمكنه أن يساهم في نشر الدّين في العالم .

إنّ التّحرّك الاجتماعيّ لا بد من أن يكون قائمًا على أساس الإخلاص، بمعنى أنّ المؤمن يعمل ولا يكون هدفه إلاّ الله عزّ وجلّ فقط و فقط، ولا يبحث عن شهرة أو منصب أو رئاسة أو سمعة أو مال أو أي شيء آخر، ويكون نظره إلى الله تعالى فقط، ونظره إلى إمام زمانه عليه السّلام، وأنت موجود تحت نظر الإمام عليه السّلام، وكلّ مؤمن يكون تحت نظر إمامه، والإمام عليه السّلام حينما يختار أنصاره يرى المؤمنين ويعرف أحوالهم، فيختار بعض المؤمنين ليكونوا أنصارًا وأعاونًا له .

ولو سألنا كلّ مؤمن : هل تريد أن تكون من أنصار الإمام عليه السّلام ؟

يأتي الجواب بلا أيّ تردد : نعم .

ولكن هذا الأمر لا يتحقّق عن طريق كلمة "نعم" فقط، وإتّما يتحقّق عن طريق العمل .

مؤمن يأتي إلى المسجد ويصليّ صلاة الجماعة ويذهب إلى البيت، ويظنّ بأنّ القضية تنتهي عند هذا الحدّ، ومؤمن آخر يكون من المصلّين ومن العاملين، والإمام عليه السّلام يريد المؤمنين المصلّين

العاملين؛ لأنّ دور الإمام عليه السلام هو نشر العدل في العالم، ونشر العدل في العالم يحتاج إلى عمل، وليس من المعقول أن يختار الإمام عليه السلام أشخاصاً كسالى لا يتحرّكون ولا يعملون، فالإمام عليه السلام يحتاج إلى أناس عاملين، ونشر الدّين يحتاج إلى عمل، وبعد أن تستتبّ الأوضاع في دولة الإمام عليه السلام يحتاج إلى المؤمنين العاملين لأجل نشر الدّين في العالم، فالإمام يختار المؤمن المخلص الذي يشعر بالمسؤوليّة ويكون من العاملين .

وفي التّحرّك الاجتماعيّ يحتاج المؤمن إلى الإخلاص، ويحتاج أيضاً إلى مجموعة من الصّفات، فهو يعلم بأحكام الدّين، ويعرف أيضاً كيفية العمل .

لذلك يوسف عليه السلام يقول في الآية الكرّمة :

" قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمِ " (١) .

يوسف عليه السلام عنده الأمانة، ولكن عنده أيضاً العلم بما يريد أن يعمل، لذلك حينما أراد أن يحفظ القمح كان يحفظه مع سنبله حتّى لا يفسد القمح، فالإنسان حينما يريد أن يقوم بأيّ عمل من الأعمال لا بدّ من أن يعرف تفاصيل العمل، ويعرف أيضاً كيفية أداء العمل، وفي أيّ عمل وفي أيّ موقع لا بدّ من أن يعرف المؤمن تفاصيل هذا الموقع، وحينما يكون في وظيفة معيّنة لا بدّ من أن يعرف تفاصيل هذه الوظيفة، والطّالب في مدرسته المفروض أن يقوم

(١) يوسف : ٥٥ .

بوظيفته ويدرس جيّدًا، وهذا هو تكليفه .

والإنسان حينما يقول : "أنا مؤمن"، فمعناه أنني مستعدّ لتحمل المسؤولية، فالإيمان ليس فقط عبارة عن كلمات تقال، نعم من تشهد الشهادتين فهو مسلم بحسب ظاهره، ولكن لنفرض أنّه لا يصلي ولا يصوم ولا يأتي بأيّ واجب فهو مسلم عاصٍ، فإسلامه إسلام ظاهريّ، ويطلق عليه مسلم بحسب ظاهره، ولكي يكون مسلمًا حقيقيًا لا بدّ من أن يكون باطنه مسلمًا، فيكون بحسب باطنه مسلمًا أمره إلى الله تعالى، والإنسان إذا أراد أن يكون مسلمًا حقيقيًا فإنّه لا يكتفي بأن ينطق بالشهادتين فقط، وفي الدّنيا نتعامل معه على أساس أنّه مسلم .

والسؤال المهمّ هو : كيف يُحشّر الإنسان يوم القيامة ؟

إنّ الله تعالى لا ينظر إلى الشهادة اللّسانية، فلا يقول : أنت نطقت بالشهادتين فتفضّل إلى الجنّة .

إن أول ما يحاسب الله تعالى الإنسان في الفقه العمليّ على الصّلاة، فالصّلاة عمود الدّين من حيث الفقه العمليّ، فإذا قُبلت قُبل ما سواها من الأعمال، وإذا رُدت رُدّ ما سواها من الأعمال .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إنّ عمود الدّين الصّلاة، وهي أول ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نُظر في عمله، وإن لم تصح لم يُنظر في بقية عمله" ^(١) .

^(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٢٧ ح ٥٤ .

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، فَإِنْ قُبِلَتْ قَبْلَ مَا سِوَاهَا، إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ بِيَضَاءِ مَشْرِقَةِ، تَقُولُ : حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا بِغَيْرِ حُدُودِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ سُودَاءُ مَظْلَمَةٍ، تَقُولُ : ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ" (١) .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : "أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا قُبِلَتْ قَبْلَ سَائِرِ عَمَلِهِ، وَإِذَا رُدَّتْ عَلَيْهِ رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ" (٢) .

إِنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ عِبَارَةً عَنِ الصَّلَاةِ الظَّاهِرِيَّةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ هُوَ فِي الْوَاقِعِ لَا يَكُونُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، نَعَمْ أَتَى بِمَحْرَكَاتٍ وَأَقْوَالٍ الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ لَا نَقُولُ عَنْهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَقَامَ الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ نَتِيجَتُهَا الْإِنْتِهَاءُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَرِاجِعَ نَفْسَهُ لِيَرَى أَنَّ صَلَاتِهِ صَلَاةٌ حَقِيقِيَّةٌ أَوْ صَلَاةٌ ظَاهِرِيَّةٌ فَقَطْ، وَلَكِي يَعْرِفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى النَّتِيجَةِ، هَلْ هُوَ يَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ لَا يَنْتَهِي؟

فَإِذَا كَانَ لَا يَنْتَهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْمَعْصِيَةِ فَنَقُولُ لَهُ بِأَنَّ يَرِاجِعَ صَلَاتِهِ، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ لَيْسَتْ صَلَاةً حَقِيقِيَّةً، وَالصَّلَاةُ غَيْرُ

(١) بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٢٥ ح ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٩ ص ٢٣٦ ح ٦٤ .

الحقيقيّة لا تكون مقبولةً من الله تعالى، وتوجد علامات للإيمان، ومنها إقامة الصّلاة بحدودها وفي أوقاتها، والاهتمام بالصّلاة علامة من علامات الإيمان .

شخص يقول : أنا لا أدري أنّ عمالي مقبولة أو غير مقبولة، وأنّ صلاتي مقبولة أو غير مقبولة .

نقول له : راجع الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة التي تحدّث عن قبول الأعمال، فإذا أردت أن تعرف أنّ عملك مقبول طبّق شروط قبول العمل، فيمكنك معرفة أنّ عملك مقبول أو غير مقبول، وأنّ صلاتك مقبولة أو غير مقبولة .

ولا بدّ للمؤمن من أن يعرف شروط قبول الأعمال؛ لكي يقيم أعماله، فيقدّم الصّلاة إلى الله تعالى وهو متيقّن بأنّها مقبولة منه عزّ وجلّ، وهذا يحتاج إلى علم قبل أن يعمل، فالعلم قبل العمل، فإذا أراد أن يصلّي فلا بدّ من أن يعرف واجبات الصّلاة وأجزائها وشروطها ومقدّماتها حتّى يمكنه أن يصلّي، ولكنّه قد يبدأ بالصّلاة وهو لا يعرف واجباتها، وهذه الصّلاة إذا لم تكن صلاة صحيحة فحتمًا لا تكون مقبولةً عند الله تعالى .

والمؤمن لا بدّ من أن يتقن عمله، والإتقان في العمل يجري في كلّ شيء، حتّى في الأعمال الدنيويّة، وفي الأعمال الدنيويّة المطلوب أيضًا من الإنسان أن يتقن عمله، ومن صفات المؤمن إتقان العمل في أيّ موقع يكون .

إذن :

نحتاج إلى التحرك الاجتماعي، وكلّ مؤمن يساهم في التحرك الاجتماعي بما يكون تحت قدرته واستطاعته، قد يكون بالوقت أو الجهد أو المال أو بأيّ طريق آخر ولو عن طريق التشجيع، وتكليفه أن يشجع؛ لأنّه لا يمكنه القيام بأكثر من ذلك .

والمطلوب من المؤمن أن يتحرك ويعمل، وأن يعلم بما يريد أن يتحرك فيه، ولكن بشكل عامّ أوضاع المؤمنين ليست هكذا، نعم نريد من المؤمنين الحركة، وكلّ مؤمن يتحرك ويعمل على حسب طاقته، ولو أنّ المؤمنين كانوا يعملون بتكليفهم في عصر الغيبة الكبرى لظهر الإمام المهديّ عليه السّلام، وعاكس هذه القضية، ولكنّ الإمام عليه السّلام لم يظهر فمعنى ذلك أنّ المؤمنين لم يقوموا بالتكليف المطلوبة منهم .

ويحتاج الأمر إلى عمل كثير من المؤمنين؛ لكي يمهدوا الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، فالمؤمنون بين قصور أو تقصير، والبعض يتحرك، ولكن نسبة المؤمنين الذين يتحركون ويعملون نسبة قليلة، ولو كانت النسبة كبيرة لانتشر الدّين في العالم، نعم هذا الدّين ينتشر في العالم ببركة الله تعالى لا بجهود المؤمنين، ولو كنّا نعمل على أساس جهودنا فتأكدوا أنّ هذا الدّين كان سيعمّ العالم؛ لأنّ أحكام الإسلام قائمة على أساس العقل، والإنسان الكافر يتقبّل إذا كانت الأمور قائمة على العقل، ولا تأتي إلى الكافر وتقول له بأنّ القرآن يذكر أنّ خالق الكون إله واحد، بل تأتي إليه عن طريق العقل .

لو سأل الملحد : ما هو الدليل على وجود خالق للكون ؟
تقول له : انظر إلى الكون هل يُعقلُ أنّ الكون بنى نفسه بنفسه ؟
الجواب البديهيّ أنّه غير معقول، فالعقل يقول بأنّ كلّ شيء
ممكن يحتاج إلى صانع، مثلاً هذا المسجد يستحيل أنّه قد قام بنفسه
بدون صانع، فلا بدّ من وجود عمّال بنوا المسجد، فإذا هذا الأمر
الصغير لم يَبْنِ نفسه قطعاً الكون الكبير لم يَبْنِ نفسه، بل يحتاج إلى
خالقٍ وصانعٍ ومنشئٍ .

تأتي إلى الكافر عن طريق العقل، ومصادر استنباط الأحكام هي
القرآن والنبيّ صلّى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السّلام
والإجماع والعقل، ونعتقد في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أنّها تمثّل
الإسلام الحقيقيّ، فالعقل من أساسيات الإسلام، فيمكنك أن
تتحدّث عن طريق العقل مع جميع النّاس وبجميع مستوياتهم الدّهنيّة
حتّى الطّفّل، فيمكنك الدخول إلى عالم الطّفّل عن طريق العقل،
فالطّفّل حينما يفقد لعبته يقول : أين لعبتي ؟

لماذا يسأل عن لعبته ؟

لأنّه يعلم أنّ اللّعبة لا تتحرّك بنفسها، وإمّا هناك شخص حرّك
اللّعبة من مكانها .

كذلك الإنسان الكبير نسأله : هل يوجد خالق للكون ؟

ويأتي الجواب بالبديهية : نعم .

نسأل : ما هو الدليل ؟

يأتي الجواب : إنّ العقل يقول بوجود خالق للكون .
وهذا الدليل العقليّ يقبله جميع الناس وبمختلف مستوياتهم الذهنيّة .
النتيجة :

المؤمنون لا بدّ من أن يقوموا بالعمل، وعلى أساس عملهم وجهودهم يمكن أن ينتشر الدّين في العالم، ولا نريد تقصيراً من المؤمنين، والإنسان القاصر يمكنه أن يساهم في نشر الدّين في العالم، مثلاً شخص أعمى، ولكنّه يمكنه أن يشجّع المؤمنين حينما يعملون، فالتكليف الموجود عليه أن يشجّع المؤمنين العاملين، وشخص عاجز لا يستطيع أن يشارك في العمل، ولسانه يتحرّك، فيمكنه أن يشجّعهم بكلمات لطيفة، فيقول : أحسنتم، واعملوا أكثر .

وهذا هو تكليفه، والشخص الذي أعطاه الله الصّحة والعافية المطلوب منه أن يكون عاملاً متحرّكاً، والغنيّ يمكنه أن يساهم في نشر الدّين بأمواله، والمطلوب من جميع المؤمنين أن يساهموا في نشر الدّين كلّ واحد بحسب طاقته ووسعه، ولا يكلف الله نفساً إلّا وسعها، ولكن يوجد قصور وتقصير من أغلب المؤمنين بحيث إنّ الدّين لحدّ الآن لم ينتشر في العالم، نعم بعض المؤمنين يقومون بتكليفهم، فينشؤون قناة فضائيّة أو قناة على اليوتيوب أو موقعاً على الإنترنت أو يقيمون الدّورات الشّباييّة، ولكن أغلب المؤمنين لا يشاركون ولا يساهمون في هذه الأعمال، بل تجدد بعض المؤمنين يثبّطون العاملين، فيقولون بأنّه لا توجد فائدة من هذه الأعمال .

وهناك مجموعة من الأسباب لعدم تحرك كثير من المؤمنين، ولا توجد عندهم الهمة الكافية في نشر الدين، ونشر الدين يحتاج إلى همة بحيث إن كل مؤمن يبذل قصارى جهده وأقصى طاقته، وإذا تحرك جميع المؤمنين فإن ظهور الإمام عليه السلام يكون قريباً، ولكن إذا تقاعس المؤمنون فلا نعلم متى يظهر الإمام عليه السلام، ولنفرض أن الإمام عليه السلام ظهر فالمهم أنك كم ساهمت في ظهوره عليه السلام .

ولا تقل : صحيح أنني لا أعمل، وإن شاء الله المؤمنون يساهمون ويعتدون العدة ويمهدون الأرضية لظهور الإمام عليه السلام .
المهم هو أنك كم ساهمت في ظهوره عليه السلام، وتكليفك أن تساهم في الظهور، وتريد أن يختارك الإمام عليه السلام لتكون من أنصاره .

فتوجد مجموعة من الأسباب لعدم تحرك المؤمنين التحرك الكافي، وأسباب عدم تحرك المؤمنين وكيفية علاج ذلك ستأتي في محاضرات قادمة إن شاء الله تعالى .

والمشكلة هي أن المؤمنين لا توجد عندهم الهمة الكافية في تحركهم وعملهم، ولا بد من أن يبذلوا قصارى جهودهم في نشر الدين في العالم وتمهيد الأرضية لظهور الإمام المهدي عليه السلام .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(١٩)

الجوانب النظرية والعملية للأَنْصار^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السّلام عليك يا سيّدي ومولاي يا صاحب الزّمان، عجلّ الله تعالى فرجك وسهّل مخرجك وجعلنا من أنصارك وأعوانك .

توجد تكاليف على المؤمن في عصر الغيبة الكبرى حتّى يمكنه أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وهذه التكاليف لا بدّ من أن يعرفها المؤمن وهو في عصر الغيبة، وهذه التكاليف مفروضة على المؤمن، وبدون معرفة التكاليف لا يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

ودور المؤمنين أن يعرفوا هذه التكاليف؛ لكي يمكنهم أن يطبّقوها

(١) أُلقيت هذه المحاضرة بمناسبة مولد الإمام المهديّ عليه السّلام في ديوانيّة في دولة الكويت منطقة القرين، الأحد ١٥ شعبان ١٤٣٢ هـ ،
٢٠١١/٧/١٧ م .

على حياتهم، ولكن قبل ذلك لا بدّ من أن تكون عندهم تصوّرات عن الإسلام، وهذه التّصوّرات لا بدّ من أن تكون التّصوّرات التي يريدّها الله عزّ وجلّ، فالأفكار التي نعتقد بها ونحملها لا بدّ من أن تكون انعكاسًا للإسلام الحقيقيّ، لا أن نعيش تصوّرات خاصّة شخصيّة وننوّهم بأنّها هي الإسلام، بمعنى أنّ النّاحية النّظرية ضروريّة للمؤمن قبل الدّخول في الجانب العمليّ حتّى يمكنه أن يتحرّك تحرّكًا صحيحًا، والإنسان في أيّ قضية من قضايا حياته أوّلًا يرجع إلى أفكاره وتصوراته الدّهنيّة، وبعد ذلك يبدأ العمل بناءً على هذه التّصوّرات .

مثلاً الطّالب في المدرسة عنده تصوّر بأنّه يريد أن يكون طبيبًا أو مهندسًا، فهناك جوانب نظريّة لا بدّ من أن يعرفها حتّى يمكنه أن يصبح طبيبًا أو مهندسًا، ولا بدّ من أن يبذل جهده في الدّراسة حتّى يمكنه أن يحصل على درجة الامتياز، وفي ذهنه أن يذهب إلى كليّة الطّبّ أو الهندسة، فالجانب النّظريّ لا بدّ من أن يكون تحت نظره حتّى يمكنه أن يطبّق هذا الجانب النّظريّ في النّاحية العمليّة، وهناك خطوات عمليّة لا بدّ من اتّباعها لأجل أن يكون طبيبًا أو مهندسًا .

والمؤمن الذي يريد أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام لا بدّ أوّلًا من أن يعرف الخلفيّة النّظرية لمواصفات أنصار الإمام عليه السّلام؛ لأجل أن يأخذ هذه المواصفات ويطبّقها من ناحية عمليّة، وبالتّطبيق العمليّ للجانب النّظريّ يمكنه أن يصل إلى مرتبة الأنصار،

والقضية ليست عشوائيةً وليست من باب حظك يا نصيب بأن يصبح من الأنصار، فالمؤمن الذي يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى حتى يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السلام .

إذن :

الجانب النظريّ جانب مهمّ جدًّا، وهو معرفة المؤمن لتكاليفه في عصر الغيبة الكبرى .

وفي هذه المحاضرة القصيرة لا يمكن بيان جميع التكاليف، ودور المؤمنين أن يعرفوا تكاليفهم، ويطبّقوها من ناحية عمليّة، وإذا عرف المؤمن تكاليفه أولًا، وطبّق هذه التكاليف وعمل بها ثانيًا - فهذا المؤمن سيصل حتمًا إلى مرتبة الأنصار، وأمّا إذا كانت أعماله بطريقة عشوائية، فيصلّي ويصوم ويحجّ ويذهب إلى الزيارة، ويعرف أنّ أصول الدّين خمسة، وفروع الدّين عشرة، ولم يكن هناك رابط بين هذه الأعمال - فلا يمكن أن يصل إلى تلك المرتبة المرجوة، نعم قام بمجموعة من الأعمال، ولكنه لا يؤدّيها على أساس أنّه يريد أن يصبح من الأنصار، فهو يصلّي قرينةً إلى الله تعالى، ولكنه لا يعرف علاقة الصّلاة بالصّيام وعلاقتها بالحجّ وبمختلف أعمال الدّين، وهذا الرّابط بين الأعمال لا بدّ من أن يكون واضحًا عند المؤمن، فالطالب الذي يريد أن يصبح طبيبًا حينما يدرس مادّة وينتقل من مادّة إلى مادّة - يعرف أنّه سيكون طبيبًا في نهاية المطاف، والمؤمن لا بدّ من

أن يعرف الخطوات العمليّة، وينتقل من عمل إلى عمل ومن خطوة إلى خطوة، ويعلم أنّه سينتهي إلى أن يكون واحدًا من الأنصار، والعمليّة ليست عشوائية، فكما أنّه يوجد برنامج دراسي في الجامعة لكي يصبح الطّالب طبيبًا، كذلك يوجد برنامج ديني يسير من مرحلة الطفولة إلى أن يصبح المؤمن بالغًا وكهلاً وشيئًا ليصل بعد ذلك من خلال هذا التدرّج إلى مرتبة الأنصار عن طريق تطبيق هذا البرنامج .

والإنسان يحتاج إلى عمل وحركة، وفي الوضع الحالي نرى أنّه يستيقظ صباحًا ويذهب إلى وظيفته ثم يرجع ويتغدى وينام ثم في الليل يذهب إلى الديوانيّة ثم يرجع بعد منتصف الليل إلى بيته وينام، طبعًا مع المحافظة على الصلوات اليوميّة، وهكذا تدور عجلة حياته الرّوتينيّة في كلّ يوم، ولكنه بهذه الطّريقة الحياتيّة لا يمكن أن يصل إلى مرتبة الأنصار، فالمؤمن يحتاج إلى عمل وحركة، والمنهج والبرنامج الذي يسير عليه خلال اليوم لا بدّ من أن يكون واضحًا عنده حتّى يصبح من الأنصار، والعمليّة تحتاج إلى برنامج دقيق، ولا بدّ من أن يعمل المؤمن ويتحرّك ضمن برنامج معيّن .

والجانب الفكريّ للدين ضروريّ للمؤمن، وفي العقائد لا يكفي أن يقول إنّ أصول الدّين خمسة، فنأتي إلى أوّل أصل من أصول الدّين، وهو أصل التّوحيد، ونسأل : ما هو التّوحيد ؟

نعم كلّ مؤمن عنده فكرة معيّنة وتصور معيّن عن التّوحيد، ولكنّ الفكرة الضّبابيّة والتّصور المجمل عن التّوحيد لا تكفي، بل لا بدّ من

أن تكون عنده فكرة تفصيلية وتصوّر تفصيلي عن التوحيد؛ حتى يمكنه أن يتواصل مع الله تعالى، وكيف يكون تحرّكه على أساس التوحيد، ونحن نعرف أنّ الله واحد لا إله إلا هو، وهو فرد صمد حيّ قيوم، ولكنّ هذا المقدار من المعرفة لا يكفي، فلا بدّ من أن يعرف كيف يكون علاقةً مع الله سبحانه، وكيف تكون علاقته بالله تعالى .

ويوجد توحيد نظريّ، والمؤمن تكون عنده المعلومات، ولكن هذا التوحيد النظريّ لا بدّ من أن ينقلب إلى عمل، فيكون التوحيد عند المؤمن توحيداً نظرياً وتوحيداً عملياً، والمؤمن يحتاج إلى التوحيد النظريّ والتوحيد العمليّ، والتوحيد ينقلب إلى عمل، وإذا كان التوحيد راسخاً في قلب الإنسان فالإنسان ينقلب التوحيد عنده إلى عمل بلا تكلف ولا تصنع، ولكن إذا كان التوحيد وأصول الدين مستودعة عند الإنسان كما في الآية الكريمة : "فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ" (١) - فإنّ هذه العقيدة لا تتحوّل إلى عمل، وإذا لم يرسخ العقائد في قلبه فإنّه بمجرد ما يموت يفقد هذه العقائد، وينتقل إلى عالم البرزخ بدونها .

سؤال : كيف نعرف أنّ العقائد مستقرّة في قلب الإنسان ؟

الجواب :

نعرف أنّ العقائد مستقرّة في القلب حينما يطبق الإنسان المعلومات ويأتي بالجوانب العملية المترتبة على الجوانب النظريّة، فيعرف التكاليف المطلوبة منه، وحينما تتحوّل الجوانب الفكرية للدين إلى أعمال مبنية

(١) الأنعام : ٩٨ .

على هذه الجوانب الفكرية، والجوانب الفكرية مهمة للإنسان المؤمن، ولا بد من أن يعرف الجوانب الفكرية للدين، وبمجرد أن يعرف الرسالة العملية لا يمكنه أن يتحرك تحركاً كاملاً، فهذا هو الجانب العملي من الدين، ويوجد الجانب العقائدي والجانب الأخلاقي أي الصفات القلبية .

المؤمن يصلّي، ولكن السؤال المهم هو : كيف يمكن أن يتأثر بالصلاة ؟

وهذا يحتاج إلى معرفة، فبمجرد ما أن يؤدي الإنسان عملاً خارجياً فهذا العمل الخارجي لوحده لا يؤثر على قلب الإنسان، بل لا بد من أن يعرف كيفية تأثير الأعمال على القلب، مثلاً يظهر تأثير القلب بالصلاة حينما ينتهي عن الفحشاء والمنكر، فإذا انتهى عن الفحشاء والمنكر يعلم أنه قد تأثر بصلاته، ولكن إذا صلى شخص وكان يعصي الله تعالى فهذا الشخص لم يتأثر قلبه بالصلاة، هو أتى بأقوال وحركات الصلاة فقط بدون أن يتأثر تأثيراً قلبياً بالصلاة، وهكذا في بقية الأعمال .

والله تعالى لماذا فرض الصلاة ؟ وماذا يريد الله من الإنسان ؟ وإلى أين يريد الله من الإنسان أن ينتهي ؟

وحينما فرض الله عزّ وجلّ الصيام ماذا يريد الله من الإنسان ؟ وما هو الهدف من الصيام ؟

إنّ الغاية هي ما تقوله الآيات الكريمة :

غاية الصلّاة هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر :
"اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" (١) .

وغاية الصيام هي الحصول على التقوى :
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٢) .

وغاية الحج هي البراءة من المشركين والحصول على التقوى :
"وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ . . ." (٣) .

"الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" (٤) .

إنّ الله تعالى فرض العبادات لغايات معيّنة، وليس المطلوب هو
أداء العبادة فقط، بل المطلوب أيضًا التأثير القلبي بها، ولا بدّ من أن

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) البقرة : ١٨٣ .

(٣) التوبة : ٣ .

(٤) البقرة : ١٩٧ . الرّفث : بالأصل هو الكلام المتضمّن لذكر الأمور
القييحة، ثمّ أصبح كنايةً عن الجماع . الفُسُوق : الذّنْب والخروج من
طاعة الله تعالى . الجِدَال : الكلام المقرون بالنزاع .

يظهر الأثر عليه، وإذا لم يظهر عليه أي أثر فمعنى ذلك أنه أتى بحركات وأقوال فقط، ولم يتأثر بالعمل .

وكيفية التأثر بالعمل لا بدّ من أن يعرفها المؤمن؛ حتى يمكنه أن يتأثر، والعملية لا تحصل صدفةً، فلا بدّ من أن يعرف كيف يمكنه أن يتأثر بالأعمال الخارجية، وهذا التأثر يكون على أساس التوحيد، فالتوحيد له أثر على حياة الإنسان، فلا بدّ من أن يعرف كيف يتأثر بالتوحيد، وكيف يتأثر بأصول الدين، وما هي علاقته بالنبوة، وما هي علاقته بالإمامة، وأن يعرف الجوانب الفكرية للإمامة، وكيفية التأثر العملي بالإمامة .

وهذه كلّها عناوين تحتاج إلى تفاصيل، وتوجد مواضيع كثيرة تصبّ في هذه العناوين، والخلفية الفكرية لكيفية تأثر الإنسان بالعمل تحتاج إلى بيان، وكذلك علاقة المؤمن بالأئمة عليهم السلام .

إنّ الدين يحتاج إلى عمل من المؤمنين، والإنسان المؤمن لا بدّ من أن يكون عاملاً فعّالاً .

عن الإمام الباقر عليه السلام قال لجابر بن عبد الله الأنصاري :

"يا جابر، أيكثفي من يَنْتَحِلُ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ؟

فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، . . . حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ

يقول : أَحَبَّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَعَّالًا" (١) .

"فعّال" صيغة مبالغة من "فاعل" .

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ . يَنْتَحِلُ : يَدَّعِي .

المؤمن لا يكون إنساناً خاملاً كسولاً، وإثماً يكون في نشاط دائم وعمل دؤوب، والمؤمنون يكونون في حركة دائمة مثل خلية النحل .
والمؤمن حينما يعرف الخلفيات الفكرية للدين، ويعرف العمل الخارجي، ويعرف كيفية التأثير القلبي بالعمل - فهذا الإنسان يتكامل، وإذا تكامل يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السلام، والتكامل يحتاج إلى عمل، والإنسان بروتينه اليومي الذي يعيشه في حياته لا يمكن أن يتكامل، فتجده مرةً يطيع الله تعالى ومرةً يعصي الله عز وجل، ومرةً يتكامل ومرةً يتسافل، ولا يمكن للمؤمن أن يتسافل، ولا يكون إلى نقصان، وإثماً يكون في تكامل دائم .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى التقصان أقرب، ومن كان إلى التقصان أقرب فالموت خير له من الحياة" (١) .

لا توجد عند المؤمن أيام متساوية؛ لأنه في حركة تصاعديّة دائماً، حتى أنه أثناء نومه يتكامل حينما يتوضأ وينام، فينقلب الفراش إلى مسجد، فهو أثناء نومه في عبادة ما دام أنه توضأ ونام، فينام على وضوء ففراشه يكون مسجداً له، وعنده حركة تكاملية أثناء النوم، فالمؤمن يكون في حركة دائمة .

والمؤمنون بحاجة إلى همّة، والهمّة ضرورية أولاً في معرفة الجانب

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٧٣ ح ٥ . استوى : تساوى .

الفكريّ النَّظريّ للدِّين، وهذا يحتاج إلى أن يقرأ المؤمن، ويتابع القنوات الفضائيّة ومواقع الإنترنت المفيدة، ويستمع إلى المحاضرات النّافعة، ويحضر عند العلماء الذين يقدّمون المواضيع الفكرية، ونحتاج إلى البحوث التّاريخيّة، ومن الضّروري أن نعرف ما جرى على أهل البيت عليهم السّلام، ولكن لا نكتفي بالتّاريخ، وإمّا نحلّل الأحداث التاريخيّة؛ لنستفيد من الجوانب الفكرية في تاريخ أهل البيت عليهم السّلام، فالإمام عليه السّلام كان يتحرّك على أساس تكليفه الشرعيّ، ومن أقوال وأفعال المعصومين عليهم السّلام يستنبط الفقيه الأحكام الشرعيّة، وحينما نقول الأحكام الشرعيّة فليس المقصود الأحكام في الرّسالة العمليّة فقط، فالأحكام تنقسم إلى أحكام عقائديّة وأحكام أخلاقيّة وأحكام عمليّة، ولا يكتفي المؤمن بالأحكام في الرّسالة العمليّة لوحدها، بل يجب أن يعرف الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ والجانب العمليّ في الدِّين، وبواسطة هذه الجوانب الثلاثة يتحرّك المؤمن ويتكامل .

مثلاً التّصفيق الذي انتشر في الحسينيّات والمجالس في أفراس أهل البيت عليه السّلام، وقد يقال بأنّه إذا لم يكن التّصفيق مناسباً لمجالس أهل الطّرب فإنّه يجوز، والبعض يستشكل في التّصفيق في الحسينيّات؛ لأنّه لا يتناسب مع جوّ الحسينيّة، وعليه فيجوز فقط في الدّيواتيات والمجالس غير الحسينيّات .

سؤال : هل يتناسب مع شخصيّة الإنسان المؤمن أن يصفّق ؟

الجواب :

التّصفيق لا يتناسب مع شخصيّة المؤمن؛ لأنّه يتناسب مع شخصيّة أهل الطّرب، وإذا افترضنا بأنّه يجوز بناءً على الفقه العمليّ، ولكنّ المؤمن لا يكتفي بحكم العمل الخارجيّ فقط؛ لأنّ الأعمال الخارجيّة لها تأثير قلبيّ على الإنسان وخاصّةً الأطفال، فالطفّل الذي يعيش ضمن جوّ التّصفيق وقد تتناسب الألحان مع ألحان أهل الطّرب هذا الطّفّل يكبر ولا يمكنه التّفريق بين الأغنيّة وغيرها، والشّخص الذي يصقّق في المجالس تجده يعيش حالة الطّرب .

سؤال : ما هو تأثير هذا الطّرب على قلب الإنسان ؟

الجواب :

بدل ما يرتبط بأهل البيت عليهم السّلام قلبياً من خلال الشّعير يحصل له تأثير عكسيّ على قلبه، والقلب يتهيأ للاستماع إلى الأغاني وهو غير ملتفت إلى ذلك، ومن الأفكار المنتشرة أنّه نكتفي بالرسالة العمليّة في أعمالنا، فإذا قيل إنّ هذا العمل جائز فيعمل به، ولكن من ناحية عقائديّة ومن ناحية قلبيّة أخلاقيّة هناك أفعال لا تتناسب مع شخصيّة المؤمن الذي يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وأنصار الإمام عليه السّلام لا يأتون بالسّفاسف من الأمور، وشخصيّة أنصار الإمام عليه السّلام شخصيّة فوق شخصيّة النّاس العاديّين، فلا يرضى لنفسه أن يكون إنساناً عادياً كباقي النّاس الذين لا يكون نظرهم إلى أنصار الإمام عليه السّلام، ومن يريد أن يكون

من أنصار الإمام عليه السّلام فإنّه لا يجري خلف الأمور التّافهة، فهم يعرفون التّأثيرات القلبيّة التي تنشأ من الأعمال الخارجيّة .

سؤال : الإنسان في حالة التّصفيق هل يتذكّر الله أو يكون غافلاً عن الله عزّ وجلّ ؟

الجواب :

يغفل عن الله تعالى؛ لأنّه يعيش جوّاً مشابهاً لجوّ أهل الطّرب، والإنسان في جميع أعماله يريد أن يرتبط بالتّوحيد، فيكون ذاكراً لله عزّ وجلّ في جميع أعماله، ولا يغفل عن الله تعالى إذا أراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمن يؤدّي العمل على أساس الرّسالة العمليّة، ولكنّه لا بدّ من أن ينظر إلى تأثير العمل على قلبه وعلاقة هذا العمل بالتّوحيد، وكذلك علاقة العمل بالنّبوة والإمامة والمعاد .

سؤال : إذا كان الإنسان يعتقد بالمعاد ويوم القيامة فما هو تأثير المعاد على حياته ؟

الجواب :

من يعتقد بالمعاد عنده قاعدة، وهي أنّ "الدّنيا مزرعة الآخرة" .
"مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ" (١) .

المؤمن في الدّنيا يزرع؛ لأجل أن يحصد في الآخرة، وإذا كان الإنسان يزرع الدّنيا من أجل الدّنيا فهو غافل عن الجانب العقائديّ، ولا

(١) الشّورى : ٢٠ .

تكون العقائد راسخةً في نفسه، فإذا نزل إلى القبر فإنه يفقد العقائد غير الراسخة، وفي القبر لا تنزل الألفاظ مع المؤمن، فالروح تنتقل إلى عام البرزخ بدون اللسان، والروح تتكلم على أساس حقيقتها وواقعها، ولا تستطيع أن تكذب، وفي الدنيا يمكن للإنسان أن يكذب ويتصنع الإيمان .

وفي الرواية أنّ بعض الناس في الدنيا يعتبرون من المؤمنين، ولكنهم عند الله كفار .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : " . . . فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر . . . " (١) .

هم ظاهرهم في الدنيا أنهم من المؤمنين، ولكنّ العقائد لم تنتقل معه إلى البرزخ ويوم القيامة، فهو في واقعه يعيش حالة الكفر، ويدّعي بلسانه أنّه يعتقد بعقائد معيّنة، ولكن عقائده متزلزلة غير راسخة في قلبه، فيفقدوها حينما يذهب إلى البرزخ والقيامة، ولكي تنتقل معه لا بدّ من أن يرسّخها في قلبه ، فتكون مستقرّةً ثابتةً حتّى تنتقل معه إلى قبر الروح، وبدون عمل لا يستطيع الإنسان أن يرسّخ العقائد، واللسان قد يكذب، فيقول أصول الدين خمسة وفروع الدين عشرة، ولكن السؤال المهمّ هو :

ما هي علاقة الإنسان بأصول الدين وفروعه ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩ ح ٨ .

وعلى قمة الأصول يتربع التوحيد، فلا بد من أن يعرف كيف يبني علاقته بالله تعالى، وعلى أساس التوحيد يتحرك المؤمن، وبدون أن يعرف جوانب الدين العقائدية والأخلاقية والعملية بتفاصيلها لا يمكن أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهدي عليه السلام .

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ ابْنَ الْحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا وَتَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالْمُجَاهِدِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٠)

كيف يصل المؤمن إلى مرتبة الأنصار؟^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام عن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، ووجودنا في عصر الغيبة يفرض علينا بعض التكاليف الإضافية، والمؤمن لا بد من أن يعرف هذه التكاليف؛ حتى يمكنه أن يتحرك ويصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهدي عليه السلام، والمؤمن في عصر الغيبة عليه أن يمهّد الأرضية لظهور إمامه عليه السلام، وعملية التمهيد للظهور عملية ليست سهلة، وكما أنّ المؤمن يتحرك على نفسه كذلك يتحرك على مجتمعه بل على العالم كله؛ لأنه يريد أن يصعد الآخرين حتى يكونوا من الأنصار، وبذلك يتهيأ المجتمع المسلم لظهور الإمام عليه السلام، ويصل الأفراد إلى مرتبة الأنصار؛ حتى يمكنهم أن يمهّدوا

(١) أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ، ١٦/٣/٢٠١٢ م .

لظهوره عليه السّلام، وقبل التّحرّك والعمل يحتاج المؤمن إلى معرفة الخلفيّة التّظريّة للعمل؛ لكي يبدأ الحركة .

وأيّ إنسان يريد أن يتحرّك في أيّ موضوع لا بدّ من أن توجد في ذهنه أفكار مسبقة :

أولاً :

يحدّد بدقّة الهدف الذي يسعى إليه .

ثانيًا :

يحدّد بدقّة الطّريق الذي يوصله إلى ذلك الهدف، والطّريق لا بدّ من أن يكون واضحًا عنده حتّى يتحرّك عليه، وإذا لم يعرف الطّريق فإنّه يصبح من الضالّين، فيضلّ عن هدفه ولا يمكن تحقيقه .

ثالثًا :

يحدّد بدقّة الوسائل التي توصله إلى تحقيق الهدف .

فلا بدّ من أن يحدّد بدقّة الهدف والطّريق والوسائل، وهذه هي الجوانب التّظريّة للحركة نحو تحقيق الهدف، وهذه الجوانب أمور ذهنيّة لا بدّ من وجودها عند الإنسان قبل البدء بالحركة العمليّة .

مثلاً شخص يريد أن ينتقل من منطقة إلى منطقة أخرى، فأولاً هدفه أن يصل إلى المنطقة الأخرى، وتقع في الشّمال مثلاً، وثانيًا يسلك الطّريق الأقصر أو الأفضل الذي يوصله إليها، ولا بدّ من أن يكون الطّريق واضحًا لديه، ومن الممكن أن يوجد أكثر من طريق فيختار طريقًا منها تكون له مواصفات خاصّة، وثالثًا يحدّد الوسيلة

المناسبة للانتقال بحسب ظروفه وزمانه، وفي زماننا وفي بلدنا لا أحد يختار الانتقال على ظهور الحيوانات، وإنما يستعمل السيّارة؛ لأنّها الوسيلة الأفضل والأسرع، فأوّلًا حدّد هدفه بدقة وأنّه يريد أيّ منطقة، وثانيًا حدّد الطّريق الأفضل، وثالثًا حدّد وسيلة الانتقال، وهذه الأمور النّظرية الثلاثة يحدّدها في ذهنه قبل العمل، وبعد أن يحدّدها بدقة يبدأ الحركة باتجاه المنطقة الأخرى .

والإنسان الذي يريد أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام يحتاج إلى مجموعة من النّظريّات، ولا بدّ من أن يكون الهدف والطّريق والوسائل واضحةً لديه؛ حتّى يصل إلى تحقيق تلك المرتبة، وهذه الأمور الذهنيّة يحوّلها إلى جانب عمليّ، ولا يمكن للإنسان أن يتحرّك في العمل بدون التّواحي النّظرية .

مثلاً من يريد أن يصلّي لا بدّ من أن يتعلّم كيفيّة الصّلاة من شروط ومقدّمات وواجبات وأجزاء وارتباطها بالتّاحية العقائديّة والتّاحية الأخلاقيّة القلبيّة، ويحيط علمًا بهذه الجوانب حتّى إذا صلّى فإنّه يعلم يقينًا بأنّ صلاته مقبولة، وإذا لم يتعلّم الجوانب النّظرية للصّلاة فإنّه يصلّي صلاةً ظاهريّةً لا روح فيها، وقد يأتي بصلوات باطلة وهو يظنّ بأنّه قد صلّى بطريقة صحيحة .

إذا صلّى شخص سبعين سنةً بلا وضوء فإنّ جميع صلواته باطلة؛ لأنّها وقعت بلا طهارة، فلا بدّ من أن يتعلّم الجوانب النّظرية أوّلًا، وبعد ذلك يأتي بالصّلاة عمليًّا .

وفي الناحية العملية حينما يقول : "أصليّ قربةً إلى الله تعالى" - لا بدّ من أن يعرف الله تعالى، والله سبحانه بالتّسببة له لا بدّ من أن يكون واضحًا، وحينما نقول الله تعالى فمعناه عقيدة التّوحيد، وهذه العقيدة لا بدّ من أن تكون واضحةً عنده، وحينما يريد أن يتقرّب إلى الله فلا بدّ من أن يتقرّب فعلاً إليه تعالى لا إلى غيره، أي يطرق باب الله لا باب غير الله، فإذا أراد الإنسان بيتًا معيّنًا فإنّه يطرق بابه لا باب الجار، وإذا لم يعرف باب الله سبحانه فإنّه يضلّ عن الطريق، فبدل أن يتّجه إلى الله فمن الممكن أن يدخل في الشّرك بالله أو الكفر بالله، فيتّخذ إلهاً شريكاً مع الله أو إلهاً من دون الله، فيجب أن تكون عنده عقيدة التّوحيد، فقبل أن يصلّي يعرف التّوحيد، ويعرف الأمور الأخرى المتفرّعة على هذه العقيدة من النّبوة والإمامة والمعاد وغيرها من العقائد التي يجب أن يعتقد بها، وجميع هذه العقائد لا بدّ من أن يضبطها المؤمن، ولا يمكن أن يضبط هذه العقائد بلا دراسة مع أستاذ، وإذا قرأ لوحده بدون دراسة مع أستاذ فقد لا يصل إلى العقائد الصّحيحة، ولا بدّ من أن يكون بإشراف أستاذ متخصص في العقائد .

وحينما يصلّي يريد أن تكون صلاته مقبولةً عند الله تعالى، والقبول غير مترتب على الناحية العملية فقط، بل بالإضافة إلى ذلك يترتب على الناحية العقائديّة والناحية القلبيّة ، فلا بدّ من أن يعرف الجوانب المتعلّقة بالناحية العقائديّة والناحية القلبيّة، وهذه الجوانب تشكّل علم

العقائد وعلم الأخلاق، فقبل الدّخول إلى الصّلاة يحتاج إلى دراسة علم العقائد وعلم الأخلاق وعلم العمل، فيحتاج إلى الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، وبشكل عامّ حينما يريد المؤمنون أن يتعلّموا أحكام الدّين فإنّهم يدرسون الرّسالة العمليّة فقط، وكأنّ الدّين يساوي الرّسالة العمليّة فقط، ويظنّون بأنّ دراسة الرّسالة العمليّة تكفي دون دراسة العقائد والأخلاق، وإذا عرضت كتاباً في العقائد وكتاباً في الأخلاق وكتاباً في الفقه العمليّ فإنّ المؤمنين يأخذون كتاب الرّسالة العمليّة ويتركون كتاب العقائد وكتاب الأخلاق، مع أنّ التّرتيب الطبيعيّ هو البدء بدراسة أحكام العقائد أولاً ثمّ أحكام الأخلاق ثانياً ثمّ أحكام العمل ثالثاً، والمؤمنون تعودوا على سؤال يجوز أو لا يجوز، فإذا كان جائزاً فإنه يفعله، وإذا كان حراماً لا يفعله، وأحياناً قد يتجاوز البعض على الحرام، ويسأل عن الحيل الشرعيّة للتخلّص من الواجب أو الحرام، والدّين لا يحتوي على الحيل الشرعيّة، والبعض قد يتغاضى عن الحرام إذا رأى في ارتكابه مصلحةً شخصيّةً كأن يكتسب مالاً، فمن ناحية اكتساب الأموال قد يتغاضى عن بعض الأمور المحرّمة، وتكلّمت كثيراً عن الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ في مناسبات مختلفة، وبيّنت العلاقة بين الأنواع الثلاثة من الفقه .

سؤال :

إذا أراد المؤمن أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام فما

هي الجوانب الفكرية النظرية التي يحتاجها حتى يصل إلى تلك المرتبة ؟
الجواب :

لا بدّ من أن يعرف الإمام عليه السّلام، ويعرف ماذا يريد منه الإمام عليه السّلام وهو في عصر الغيبة، والآن الإمام عليه السّلام غائب، ويختلف الوضع حينما يكون الإمام عليه السّلام حاضراً، فيحتاج المؤمن إلى تحديد علاقته بالإمام الغائب عليه السّلام، فهذه العلاقة كيف تُكوّن ؟

والمؤمن يحتاج إلى مجموعة من الأمور الفكرية النظرية حتى يمكنه أن يتحرّك، وطرحنا في المحاضرات السابقة جوانب مختلفة من الموضوع، وهذه الجوانب من الضروري أن يعرفها المؤمن قبل أن يقول : أريد أن أصبح من الأنصار .

كم من السنوات يحتاج لمعرفة الجوانب النظرية لغيبة الإمام عليه السّلام قبل أن يحدّد التكاليف المطلوبة منه ؟

يبدأ من ولادة الإمام المهديّ عليه السّلام، ويدرس التاريخ المتعلّق بالإمام عليه السّلام، ويحتاج إلى تحليل هذا التاريخ، وأنّه لماذا غاب الإمام عليه السّلام ؟ وما هي عوامل ظهور الإمام عليه السّلام حتى يساهم في التمهيد لظهوره ؟

والجوانب النظرية كثيرة، وقبل أن يقول المؤمن : "أريد أن أتحرّك لأن أصبح من الأنصار" - لا بدّ من معرفة هذه الجوانب بأن يسمع من العلماء أو يقرأ الكتب عن هذا الموضوع، ويطلع على هذه الجوانب

حتى يمكنه أن يصل إلى درجة الأنصار، ويعلم أنه قد وصل إلى هذه الدرجة، والعملية ليست عشوائيةً أو تقع صدفةً، فالمؤمن يعمل على نفسه جيّدًا، فعنده الهدف وهو أنه يريد أن يصبح من الأنصار، ولا بدّ من أن يكون هذا الهدف واضحًا لديه، ولا بدّ من أن يعرف الطّريق الذي يؤدّي به إلى تحقيق هذا الهدف، ولا بدّ من أن يعرف الوسائل التي بواسطتها يتحرّك إلى تحقيق الهدف .

وهذا موضوع طويل وعميق، وأحد الأشخاص يقول : اعطني خلاصةً لجميع المحاضرات السابقة في دقيقة واحدة .

نقول : إنّ هذا غير ممكن، فبعض المواضيع لا يمكن تلخيصها ضمن هذا الوقت القصير، بل يحتاج للاستماع إلى جميع المحاضرات؛ لأنّ بعض المواضيع تحتاج إلى تفصيل، وتوجد جوانب عقائدية وجوانب أخلاقية وجوانب عملية مرتبطة بها .

وأحد الإخوة طلب أن يُطرح موضوع عن آيينا آدم عليه السّلام ومسيرة البشريّة في دقيقة، ف قيل له إنّ آدم عليه السّلام عاش قبل سبعة آلاف سنة تقريبًا فهل يمكن تلخيص هذه السّنوات الطويلة في دقيقة واحدة؟! .

إنّ من يريد أن يكون من الأنصار عليه أن يحدّد الهدف والطّريق والوسائل بدقّة، ويبحث عن المعلومات التي يحتاجها حتى يمكنه تحقيق الهدف، وتلاحظون بأنّ المؤمنين بشكل عامّ بحسب الاستقرار الناقص لا يوجد عندهم هذا الاهتمام، فقليل من المؤمنين يهتمّون بالجوانب

الفكرية من الدين، وهو مستعد أن يدرس الرسالة العملية، ولكن لا يوجد عنده استعداد لدراسة العقائد والأخلاق والجوانب الفكرية إلا القليل من المؤمنين .

والتمهيد لظهور الإمام عليه السلام يحتاج إلى أعمال كثيرة من جميع المؤمنين، وإذا تحرك البعض فإنهم يصلون إلى مرتبة الأنصار، ولكن عملية التمهيد للظهور تحتاج إلى جميع أفراد المجتمع، فقادة الإمام عليه السلام عددهم ٣١٣، وعدد الجنود قد يكون ٧٠٠٠، وقد يصل إلى ٧٠٠٠٠، وعدد سكان العالم ستة مليارات تقريباً، فبالنسبة لعدد سكان الأرض عدد الأنصار قليل جداً، وتكليف المؤمنين أن يكونوا من هؤلاء القلة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ" (١) .

وتوفير عدد الأنصار هو من وظيفة المؤمنين، والرواية التي تقول بأن عدد القادة هو ٣١٣ تخبر عن واقع لا أهما تؤسس واقعا، فالواقع هو أن عددهم ٣١٣، ولو أن المؤمنين كانوا يعملون أكثر فمن الممكن أن العدد يكون أكبر، فالمؤمنون الذين يريدون أن يكونوا من الأنصار يعملون، والقلة منهم هم الذين يصلون إلى مرتبة القادة، وعادة من يكونون في القمة هم قلة من الناس .

(١) الواقعة : ١٠-١٤ .

إذن :

معرفة الجوانب النظرية الفكرية في الدين مهمة جداً للمؤمن قبل أن يبدأ بالعمل والحركة .

إنّ من صفات أنصار الإمام عليه السلام أنّ درجة الإخلاص عندهم تكون درجةً عاليةً، وحينما يتحرّكون يكون نظرهم إلى الله فقط و فقط، وهذه العملية ليست سهلةً .

يقول : "أصليّ قرينةً إلى الله تعالى، وأعمل لله تعالى"، ولكنه حينما يدخل إلى المجتمع يريد أن يعمل لله تعالى بدون دخول عوامل الرّياء في عمله، والشخص حينما يراه الآخرون فمن الصّعب أن يكون نظره إلى الله فقط، وهذا يحتاج إلى عمل ومجاهدة للنفس من المؤمن، والشيطان يتدخّل في هذه الأمور، وإذا كان الشخص في غرفته لوحده فيمكنه أن يصلّي بكلّ إخلاص، ولكنه حينما يكون في المسجد أمام الناس فالشيطان يبدأ بالوسوسة بأنّ الناس يرونك فلا بدّ من أن تضبط صلاتك أكثر حتّى يقال عنك إنّك مؤمن، ودور الشيطان هو الوسوسة فقط، ويعمل بكلّ جهده على هذا الشخص، والشيطان يوسوس لجميع الناس، ولكنّ المهمّ هو أن ينتصر الإنسان على الشيطان، والانتصار يحتاج إلى مقدمات مسبقة، مثل الإنسان الرياضيّ الذي يحمل أثقالاً بمقدار ٢٠٠ كيلو جرام، وهو أوّل ما بدأ بحمل الأثقال بدأ بحمل الحديد فقط، وتدرّجياً يزيدون له الأوزان حتّى يصل إلى ٢٠٠ كيلو جرام، ولا يستطيع الشخص أن يرفع ٢٠٠

كيلو جرام بدون تدريب مستمرّ وتدرّج بحمل الأثقال، وإذا حمل الثقل بدون تدريب فإنّ ظهره سينكسر .

والتدريب والتدرّج ضروريّان في الرياضة الجسديّة، وكذلك هما ضروريّان في الرياضة الرّوحيّة والقضايا الأخلاقيّة، فالرياضة الرّوحيّة تحتاج إلى مجاهدة النّفس وتدريب وممارسة مسبقة، وحينما يدخل إلى ميدان العمل يكون قد استعدّ سابقًا، والمؤمن في حرب مستمرّ مع الشّيطان، والشّيطان يوسوس لجميع النّاس، ويزيّن لهم الأعمال السيّئة، والقليل من النّاس يقولون للشّيطان : لا .

ومعظم النّاس يعملون بما يوسوس لهم الشّيطان، ودور الشّيطان أن يحرف الإنسان ويضلّه عن طريق الحقّ والهدى، وقد أخذ على نفسه عهدًا بذلك، وهو سيرّ بعهدة، وهذا هو الأمر الوحيد الذي صدق فيه .

" . . . وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيْنَتْهُمْ وَلَا مَرَنَتْهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعْدُهُمْ وَيَمْنِيْنَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا" (١) .

ويحتاج الأمر إلى جهاد وعمل مسبق، فالمؤمن يريد أن يصعد من درجة إخلاصه عن طريق جعل العمل لله فقط، والإخلاص الكامل لا

(١) النّساء : ١١٧-١٢١ .

يكون بالتّفكير في الجنّة والنار، وإمّا يريد الحصول على رضا الله تعالى فقط بدون أن يكون تحت نظره دخول الجنّة أو الابتعاد عن النّار، والأمثلة هم النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام وأصحابهم المقرّبين، فليست نظرهم عبادة التّجار ولا عبادة العبيد، بل عبادة الأحرار، فهم يرون الله تعالى أهلاً للعبادة فيعبودونه .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "إنّ قومًا عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التّجار، وإنّ قومًا عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار" (١) .

وعنه عليه السّلام : "ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" (٢) .

وهذه العبادة درجة عالية لا يمكن الوصول إليها بسهولة، فيقول : يا ربّي، أنا أصليّ لك فقط، وأتقرّب إليك بصلاّتي، ولا أنظر إلى الجنّة والنّار، بل أعبدك لأنّك أهل للعبادة .

وإذا أراد المؤمن الوصول إلى هذه الدّرجة فلا بدّ من أن يعمل ويسعى ويجاهد نفسه، ولا يسير خلف رغباته ومشتهياته، والبعض كلّما رغب في شيء سعى إلى تحصيلها بدون أن يفكر في تأثير هذه الرّغبة على نفسه وعلى عبادته، والسعي خلف الرّغبات ينتج من كثرة الأموال بأيدي النّاس، بل ويريدون المزيد من المال .

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ ح ٤ .

(٢) المصدر السّابق ج ٦٧ ص ١٨٦ .

ولو سألنا : لماذا تريد المزيد من المال ؟

يجيب : أريد أن أوسع على نفسي أكثر وأسافر أكثر .

هل هناك من يفكر بأن تزداد أمواله ليقوم بأعمال خيرية أكثر

ويتصدّق على المحتاجين أكثر ؟

يريد أموالاً أكثر؛ لأنّه يريد أن يصرف على دنياه أكثر، ومن يسعى خلف رغباته دائماً فلا يمكن أن يصل إلى رتبة الأنصار، فرتبة الأنصار رتبة عالية، ويحتاج إلى عمل على النفس، وليس كلّما خطرت في ذهن الإنسان فكرة لا بدّ من أن يسعى إلى تحقيقها، بل لا بدّ من أن يقيسها بالمقياس الفقهيّ العقائديّ والمقياس الفقهيّ الأخلاقيّ والمقياس الفقهيّ العمليّ، فينظر إلى أن هذه الفكرة هل تناسب مع عقائده وكونه إنساناً مؤمناً أو لا تناسب، وبعد ذلك يعمل بها أو لا يعمل بها، لا أنّ الرّغبة تدعوه، والشيطان يوسوس له بأن يذهب وراء هذه الرّغبة، والمؤمن عنده مقاييس يتحرّك على أساسها، فإذا لم يضبط الجوانب العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة في سابقاً فمن الطّبيعيّ أنّه سيسعى وراء الرّغبة، فيحتاج في رتبة سابقة إلى أن يضبط أموره؛ لكي تكون المقاييس بيده، وإذا كانت مضبوطةً عنده فإنّه يمكنه قياس الرّغبات عليها، فينظر إلى أنّ هذه الرّغبة هل تناسب مع شخصيّة المؤمن أو لا تناسب، وضبط المقاييس تكون في رتبة سابقة قبل العمل والحركة، ويومًا بعد يوم تصبح هذه المقاييس عنده أضبط وأفضل وأوضح وأدقّ، فيضبط الجانب العقائديّ أولاً، فهو مع الله عزّ

وجلّ، فهذه الرّغبة هل تتناسب مع اعتقاده بالله أو لا تتناسب، وفي مجتمعنا لا تشعر بالفارق الكبير في طرق المعيشة بين المؤمن وغير المؤمن إلاّ أنّه يتواجد في المسجد والحسينيّة، ولكن في حياته العاديّة لا تجد الفرق الكبير بينهما، فلماذا لا يوجد هذا الفرق مع أنّ المفروض أن يوجد فارق في العمل بين المؤمن وغير المؤمن؟

فالمؤمن عنده أئمّة عليهم السّلام، والأئمّة عليهم السّلام عاشوا بطريقة معيّنة، والمؤمن يسعى لتحقيق هذه الطّريقة في حياته؛ لكي يصل إلى مرتبة الأنصار، ويستحيل أن يصل الإنسان إلى رتبة الأنصار وهو منكبّ على الدّنيا ويطلب متع الدّنيا فقط، بل لا بدّ من أن يكون طالباً لله تعالى وساعياً إلى الآخرة، وتدرّجياً يصعد إلى الله سبحانه، فيصبح من الأنصار، والمؤمن الذي لا يلتزم بالعبادات بشكل دقيق لا يصل إلى هذه الرّتبة، ويمكن أن نستقرئ حياة الصّحابة المقرّبين من النّبّي صلّى الله عليه وآله وأصحاب الأئمّة عليهم السّلام، وخاصّةً أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، وصفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام هي صفات أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، كالأستعداد للتّضحية بكلّ ما يملكون، وهل يوجد شيء أكثر قيمة من الحياة والنّفس؟!

إنّ من يريد أن يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام عليه أن يتحلّى بصفات أنصار الإمام الحسين عليه السّلام، ولو كان في زمان الإمام الحسين عليه السّلام لضحّى بنفسه وحياته وأولاده وكلّ

ما يملك، وأصبح من أنصار الحسين عليه السّلام، وأنصار الإمام الحسين عليه السّلام نماذج وأمثلة للمؤمنين، وعندهم درجة عالية من الاستعداد للتّضحية .

وعلى المؤمن أن يراجع نفسه ويسألها : لو كنت في زمان الإمام الحسين عليه السّلام فهل أنا مستعدّ للتّضحية بنفسي وأهلي ومالي ؟
والإنسان أدرى بنفسه، ويعرف نفسه جيّدًا أنّه في وقت المصائب والبلاءات هل ينجح أو لا ينجح، وإذا نجح في البلاءات الصّغيرة وتدرّج وجاهد نفسه ثمّ نجح في البلاءات الكبيرة فإنّه يمكنه أن يصل إلى تلك المرتبة، فيحتاج إلى تصعيد درجة الإخلاص، ويحتاج أيضًا أن يعمّق شعوره بالمسؤوليّة .

وقد يعيش الإنسان في دائرة صغيرة مكوّنة من زوجته وأولاده فقط، وليس له اهتمام بأيّ أحد آخر، فيعيش في دائرة ضيّقة، والإنسان الذي يعيش ويكون اهتمامه ضمن الدّائرة الضيّقة فقط لا يوجد عنده شعور بالمسؤوليّة تجاه الدّين والمؤمنين، والدّين لا يقول بأنّ تهتمّ بزوجتك وأولادك فقط، ومن يشعر بالمسؤوليّة يكون عنده مسؤوليّة تجاه العالم، ويشعر بأنّه مسؤول عن هداية كلّ إنسان سواء كان في الشّرق أم في الغرب، فإذا كان يحمل هذا الهمّ ويهتمّ بالدّين فالآثار العمليّة لا بدّ من أن تظهر عليه، والإنسان الذي عنده همّ واهتمام فإنّ ذلك يظهر عليه، وهذا الهمّ والاهتمام يكون دائمًا متواصلًا معه، وقد يرى الإنسان في التّلفاز بعض المناظر في أفريقيا، فيرى شخصًا

نحيقًا وجلده على عظمه فيتأثر تأثرًا لحظيًا، وبمجرد ما يغلق التّلفاز يذهب هذا التّأثر ويزول عنه، والمؤمن لا يكون عنده التّأثر اللحظيّ والهموم اللحظيّة، فهو يعيش هذا الهمّ دائمًا، ويودّ أن يفعل شيئًا للفقراء في العالم، ويريد أن ينشر العدل في العالم، والحروب منتشرة في أرجاء الأرض، وقد يشاهد ويتأدّى من وجود الحروب، ولكن لا بدّ من أن نسأل أنفسنا : ماذا نستطيع أن نفعل حتّى نوقف هذه الحروب وننشر العدل في العالم ؟

ولا بدّ من أن يشعر الإنسان بالمسؤوليّة، وهذا هو دور المؤمن في عصر الغيبة، يريد أن ينشر العدل في العالم، ويؤمن بهذا الأمر كنظرية، ويسعى لتحقيق هذه النظريّة، ويبدأ بنفسه إذا كان إنسانًا عادلاً، وينشر العدالة داخل بيته، فإذا تعارك اثنان من أولاده وكان عادلاً فإنّه يمارس دور القاضي الذي يريد أن يطبّق العدالة، فيستمع إلى الطرفين لا أن يميل إلى ولده الذي يحبّه أكثر من الآخر، ويفضّله دائمًا، ويقدمه على أخيه؛ لأنّه مدلّل لديه، هذا الشّخص لا يطبّق العدالة، ولا ينشر العدل في بيته، ومن لا ينشر العدل في بيته لا يكون مؤهلاً لنشر العدل في العالم .

إذن :

يحتاج المؤمن إلى تعميق شعوره بالمسؤوليّة وتصيد درجة الإخلاص، ولا بدّ من أن يحمل الهمّ والاهتمام بالدين؛ لأجل أن يساهم في ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام .

وإذا أراد أن يصل إلى رتبة الأنصار فأولاً لا بدّ من أن يكون متمسّكا بالأحكام الشرعيّة، وإذا قلنا "أحكام شرعيّة" فإنّ ذهن المؤمن يقفز مباشرةً إلى الرّسالة العمليّة، ولكنّ المراد من الأحكام الأعمّ من ذلك، فالأحكام الشرعيّة شاملة للأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة، وهذه الأنواع الثلاثة من الأحكام لا بدّ من أن يضبطها المؤمن ضبطاً تامّاً .

والمؤمن يتعلّم هذه العلوم الثلاثة أولاً، وثانياً يتمسّك بها، وثالثاً يعمل بها، ورابعاً بعد ذلك يقوم بنشر الأحكام، لا أن يتعلّم ويظلم العلم لنفسه فقط، وإتّما يحاول أن ينشر هذا العلم ويبيّنه بين النّاس، ونشر الدّين من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وهذا الأمر تكليف في كلّ زمان، ولكن في زمان الغيبة الكبرى لا بدّ من الاهتمام بالعلم ونشر الدّين أكثر؛ لأنّنا نريد أن نساهم في صعود الآخرين وتكاملهم، فالمؤمن يصعد ويتكامل، ويأخذ معه بعض المؤمنين؛ لأجل أن يصلوا معه إلى رتبة الأنصار .

وهذا يحتاج إلى العمل الاجتماعيّ الممنهج، وقبل التّحرّك الاجتماعيّ لا بدّ من أن يضبط المؤمن نفسه، ويضبط أحكام عقائده وأخلاقه وعمله، ومن يريد أن يتصدّى للعمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يكون مسيطراً على نفسه، وإذا لم يكن مسيطراً على نفسه فهو غير مؤهّل للتّصدّي، ومن الممكن أن ينشر الضّلال في المجتمع بدل من أن ينشر الهداية .

إنَّ المتصدّي اجتماعيًا لا بدّ من أن يكون مؤهلاً للتصديّ، ويكون عنده تعلّم الأحكام الشرعيّة والعمل بها ونشرها، فهو يتصدّى لا لأجل منصب ومركز اجتماعي فقط .

فمن يريد أن يكون نائبًا في مجلس الأمة ما هو هدفه ؟
ومن يريد أن يكون رئيس قسم أو مديرًا أو وكيل وزارة أو وزيرًا ما هو هدفه ؟

ومن يريد أن يكون مديرًا لمؤسسة دينيّة ما هو هدفه ؟
إنّ الهدف هو أن يساهم في هداية النّاس، وقبل المساهمة في هداية الآخرين لا بدّ من أن يكون الشّخص مهتمديًا، فالمهتمدي يمكنه أن ينشر الهداية، ومن يفقد الهداية لا يمكن أن ينشرها، فهو يحتاج إلى من يعطيه الهداية، ففاقد الشّيء لا يعطيه، أي لا يعطي هذا الشّيء .
يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" . . . أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" (١) .

والمشكلة أنّه قد توجد مؤسسات دينيّة، ولكنّ المشرفين والمتصدّين لإدارة هذه المؤسسات ليسوا بالمستوى المطلوب، لذلك تحدث المشاكل داخل نفس المؤسسة، والمشاكل مع الجماعات الأخرى، مع أنّ هدف جميع الأطراف خدمة الدّين، وإذا كان الهدف واحدًا فلماذا يقع الاختلاف بين الأطراف والجماعات !؟

(١) يونس : ٣٥ .

وما دام أنّ الهدف واحد فالمفروض أنّهم يسعون جميعاً لتحقيق هذا الهدف، ووقوع الاختلاف معناه أنّ خدمة الدين ليست هي الهدف الحقيقيّ لكلا الطرفين أو لأحدهما، بل لهما أو له أهداف أخرى من وراء لبس قميص الدين .

وما معنى أنّ هذا الطّرف أو ذاك الطّرف يريد أن يسيطر على السّاحة إذا كان الهدف واحداً ؟

لماذا حينما يعمل في منطقة معيّنة لا يقبل وجود طرف آخر يعمل في نفس المنطقة مع أنّ الهدف واحد والمنطقة أو البلد ليست ملكاً لأحد منهما ؟

وهذا يدلّ على وجود أهداف أخرى غير خدمة الدين، ومثل هؤلاء لا يكونون مؤهلين لنشر الدين، نعم ينشرون الدين بالمنشار .
والأتباع يكون عندهم نفس أفكار التّيار، ويعملون بنفس الطّريقة، وبدل أن يساهموا في الهداية يساهمون في الضّلال والإضلال .

سؤال : لماذا لا نرى الهمة والاهتمام عند المؤمنين بشكل عامّ بالدرجة المطلوبة ؟ وما هي الأسباب والعوامل التي تجعل المؤمنين لا يعيشون همّ الدين والاهتمام به ؟

ونرى أنّ قليلاً من أفراد المجتمع يحملون همّ الدين ويهتمّون بأمور الدين، ويفكّرون ليلاً ونهاراً في كيفية خدمة الدين والمؤمنين بل خدمة جميع النّاس، ويكون عندهم التّفكير المتواصل بالمؤمنين والإنسان بشكل عامّ .

وستأتي في المحاضرات القادمة بعض الأسباب التي من خلالها يمكن معرفة هذه العوامل، وعلى أساسها يمكن تلافي هذه الأسباب لمن عنده اهتمام بمثل هذه المواضيع، وبعض الأشخاص لا يهتمون بالتواحي الفكرية للدين، ويكتفون بتطبيق الرسالة العملية فقط، ولكنهم يفتقدون الجوانب العقائدية والأخلاقية، ومن يكتفي بتطبيق الرسالة العملية لوحدها دون الناحية العقائدية والأخلاقية والفكرية لا يمكن أن يصل إلى درجة الأنصار، فقد يصلي كثيراً، ويأتي بظاهر الصلاة فقط، ولكنه لا يعرف كيفية التقرب إلى الله تعالى بواسطة العبادات، وكيفية التأثير القلبي بها، وكيفية التقرب إلى الله والتأثير القلبي بالعبادات من الضروري أن يعرفها من يريد أن يصبح من الأنصار، وبدون التقرب إلى الله تعالى والتأثير القلبي بالصلاة تكون الصلاة بلا روح، ولا قيمة لها من حيث القبول؛ لأن الصلاة يُقبلُ منها بقدر ما يُقبلُ المؤمن بقلبه عليها .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "إن من الصلاة لما يُقبلُ نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإن منها لما يُلفُّ كما يُلفُّ الثوب الحلقُ فيضرب بها وجه صاحبها، وإنما لك من صلاتك ما أقبَلت عليه بقلبك" (١) .

قد يأتي الإنسان بعمل، ولكن العمل يكون خاوياً بدون باطن، ولا بد من أن يعرف الإنسان باطن العمل، فالعمل له ظاهر وباطن، فإذا

(١) بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٦٠ ح ٥٩ . الثوب الحلق : الثوب البالي .

صلّى فالمفروض أنّه بعد الصلاة يصبح إنساناً آخر، فيدخل إلى الصلاة ويخرج منها بتكامل، فيكون شخصاً آخر، ولا يرتبط بالدنيا من خلال الصلّاة، فتحصل عنده حالة التّكامل، والتّكامل يحتاج إلى معرفة الجوانب العقائديّة والأخلاقيّة، بالإضافة إلى معرفة الجوانب العمليّة، والإنسان مهما صلّى وصام وحجّ لا يتكامل إذا اكتفى بظاهر الأعمال، ونرى أنّ أوضاع المؤمنين بشكل عامّ أوضاع ثابتة مع أنّ المؤمنين يقومون بجميع الأعمال العباديّة سنويّاً .

سؤال : لماذا لا يحدث التّغيير في أوضاع المؤمنين وأوضاع المجتمع ؟
الجواب :

لأنّ الاهتمام منصبّ على ظواهر الأعمال، ولا يلتفتون إلى بواطن الأعمال، ولكي يتأثّر المؤمن بباطن العمل يحتاج إلى معرفة النّواحي النّظريّة في كفيّة التّأثير القلبيّ بالعمل، وإذا لم يعرف النّواحي النّظريّة فلا يمكنه الاستفادة من العبادات ولا من الأعمال الأخرى، فيؤدّي العمل، ولكنّه عمل فارغ من المضمون والمحتوى، وفي الاستفادة يحتاج المؤمن إلى معرفة الجوانب النّظريّة للدين قبل الدّخول في أيّ عمل من الأعمال .

والمسلمون يدّعون أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، وصالح للقضايا الفرديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، والآن محور المسلمين في الدين هو الجوانب الفرديّة فقط، وأمّا الأحكام المتعلّقة بالمجتمع والاقتصاد والسياسة فلا يوجد عندهم الاهتمام الكافي بها،

ولا توجد بحوث كافية عنها، فما هو علم الاجتماع الإسلامي؟ وما هو علم الاقتصاد الإسلامي؟ وما هو علم السياسة الإسلامية؟ وهذا كله يحتاج إلى بحوث؛ لكي يكون عند المؤمن الاطلاع على الجوانب النظرية للدين، فيعرف النواحي النظرية قبل البدء بالحركة والعمل، وهذه المعرفة تحتاج إلى سنوات من الدراسة والاطلاع .
والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢١)

محورية قضية المهدي عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أي إنسان حينما يؤمن بقضية ما فإنّ هذه القضية يتفاعل معها ويتحرك على أساسها على حسب أهميتها عنده، فبقدر أهمية القضية يتحرك، ونحن نعتقد بقضية الإمام المهدي عليه السلام، وهذه القضية لو كانت مهمة عند المؤمن بدرجة كبيرة فالمفروض أن يكون جهده وتحركه وعمله بقدر أهمية هذه القضية .

وهذا أمر وجدائي بأن الإنسان إذا اهتم بأمر ما كمشكلة مثلاً فإنه يفكر طوال اليوم بهذه المشكلة، ويحاول أن يحلّها؛ لأنها تعتبر قضية مهمة جداً عنده، لذلك ينشغل تفكيره طوال الوقت بهذه المشكلة وهذه القضية .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ ، ٢٣/٣/٢٠١٢ م .

والآن بالنسبة لنا كمؤمنين نحن نعتقد بغيبة الإمام المهديّ عليه السلام .

سؤال : ما هو مقدار أهميّة هذا الموضوع عند المؤمنين ؟

الجواب :

طبعاً من ناحية نظريّة لا يوجد أحد يشكك في أنّ الموضوع مهمّ جداً عند كل إنسان مؤمن، ولكن يوجد أفراد قليلون من المؤمنين يتحرّكون على أساس الناحية النظريّة التي يعتقدون بها، وقد يشكّل هؤلاء أنصار الإمام عليه السلام، ولكن هل يوجد تحرّك عند المؤمنين كمجموعٍ بمستوى أهميّة هذه الناحية النظريّة ؟ وهل الظاهر العامّ للمؤمنين بحسب الاستقراء أنّهم يعملون ويتحرّكون على أساس اعتقادهم النظريّ بغيبة الإمام عليه السلام ؟

بحسب الاستقراء نرى بأنّ تحرّك المؤمنين ليس بالمستوى المساوي لاعتقادهم بغيبة الإمام عليه السلام، فطريقة معيشة المؤمنين اليوم لا تعبّر عن الاعتقاد القويّ بقضيّة الإمام المهديّ عليه السلام، وهذا ليس أمراً خافياً، فالمؤمنون لا يعملون بمقدار أهميّة هذا الموضوع، وكلامنا على نحو المجموع لا على نحو الأفراد، وإذا كانت هذه القضية مهمّةً جداً عند المؤمنين على نحو المجموع فلا بدّ من أن يسعى كلّ فرد فرد إلى أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام، وهذا يحتاج إلى عمل وجهد، فهل الآن عمل المؤمنين يتناسب مع كونهم يعتقدون بالإمام عليه السلام وأنّهم يريدون أن يكونوا من أنصاره ؟

نرى أنّ الشخص يستيقظ فجرًا ويصليّ ثمّ يذهب إلى العمل ويرجع إلى البيت ويصليّ الظهرين ويتغدى وينام ويستيقظ عصرًا ويشرب الشاي ويصليّ العشاءين ويذهب إلى الدّيوانيّة مساءً أو يجلس مع عائلته، وهذه هي الحياة الرّوتينيّة للإنسان، فهل طريقة الحياة هذه تعبّر عن إنسان يعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام ويريد أن يكون من أنصاره ؟

نعم يوجد بعض المؤمنین الملتفتين إلى أهميّة هذه القضية، وتشكّل محورًا في حياتهم، ويتحرّكون على أساسها، ويريدون أن يكونوا من الأنصار، ولكن ليس جميع المؤمنین ملتفتين إلى أهميّة الموضوع .

وهذا الموضوع يحتاج إلى اهتمام من كلّ فرد فرد من المؤمنین حتّى يكون عملهم متناسبًا مع أهميّة الموضوع، وإذا لم يعملوا بمستوى أهميّة الموضوع فمعنى ذلك أنّ هذا الموضوع ليس أمرًا مهمًّا عندهم، ولا يشكّل محورًا في حياتهم، فظهور الإمام عليه السّلام وعدم ظهوره لا يؤثّر عليهم بشيء .

وإذا كان الموضوع مهمًّا فمعنى ذلك أنّه لا بدّ من التّمهيد لظهور الإمام عليه السّلام، والتّمهيد يحتاج إلى علم وعمل، وبلا علم وعمل لا يمكن للمؤمن أن يمهد لظهور الإمام عليه السّلام، فكلّ فرد فرد من المؤمنین لا بدّ من أن يراجع نفسه ليعرف أنّه يعطي أهميّة كافية للموضوع أو لا، وهل عمله يتناسب مع أهميّة الموضوع أو لا، والجوانب العمليّة لأيّ إنسان تعكس الجوانب النّظريّة التي يعتقد بها

حقيقةً، وهي المعتقدات الحقيقية الباطنية القلبية للإنسان لا المعتقدات اللسانية التي يتظاهر بها .

وإذا كان الموضوع مهمًا عند الإنسان فإنه يهتم به كثيرًا، ويتحدث به دائماً، ويعمل على أساسه، وكل إنسان يعمل ويتحرك بنظرياته واعتقاداته الحقيقية .

مثلاً زيادات المعاشات الشهريّة تجد أنّ أحاديث رواد الديوانيات كلّها عن الزيادات، فلماذا يتحدث الناس عن هذا الموضوع ؟ لأنّه موضوع مهمّ جدًّا لهم، وأيّ موضوع عن الأموال تجد أنّ جميع الناس يتحدثون عنه، ويرون بأنّ المال يشكّل محورًا في حياتهم، والناس مستعدّون للخروج في مظاهرات والإضراب عن العمل؛ لأجل زيادة المعاشات، ومعنى ذلك أنّ هذا الموضوع يعطونه قيمةً كبيرةً جدًّا .

سؤال : هل غيبة الإمام عليه السّلام تشكّل محورًا في حياة جميع المؤمنين ؟

على كلّ مؤمن أن يجيب عن هذا السؤال لنفسه؛ لكي يعرف نفسه .

هل كلّ مؤمن يهتمّ بقضية الإمام المهديّ عليه السّلام بحيث يعتبرها محورًا في حياته ؟

إذا كانت قضية الإمام المهديّ عليه السّلام مهمّة عنده فحركته تكون حول هذا المحور، وتحركه يكون متناسبًا مع محورية القضية التي يعتقد بها، كما أنّ الطاحونة تدور حول محورها، وكذلك المؤمن يدور

حول محورِيّة قضِيّة الإمام المهديّ عليه السلام، كأنّه كوكب يدور حول الشّمس، وكلّ حركة تبدر من المؤمن تكون مع النّظر إلى غيبة الإمام عليه السّلام، وتكون غيبته عليه السّلام تحت نظر المؤمن دائماً، والمؤمن يقوم بالعمل؛ لأنّه يريد أن يساهم في ظهور الإمام عليه السّلام .

سؤال : هل المؤمنون الآن بهذا المستوى بحيث يتحرّكون ونظرهم يكون إلى محورِيّة قضِيّة الإمام المهديّ عليه السّلام في حياتهم ؟

وكلامنا على نحو المجموع أي مجموع المؤمنين، نعم يوجد أفراد يتحرّكون على أساس هذه القضِيّة، وهم قلة من المؤمنين الذين يحاولون الوصول إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام .

والآن يبلغ عدد سكّان العالم ستّة أو سبعة مليارات إنسان، ولكن يصل منهم ٣١٣ شخص فقط إلى مرتبة القيادة في جيش الإمام عليه السّلام، ونرى أنّ نسبة أنصار الإمام عليه السّلام إلى عدد سكّان العالم نسبة قليلة جدّاً، وعدد الجنود ٧ آلاف أو عشرة آلاف أو ٧٠ ألفاً، ولنفرض أنّ عدد الجنود يصل إلى مليون مؤمن، ونسبة مليون في مقابل سبعة مليارات نسبة قليلة .

والمؤمنون الذين يلتفتون إلى قضِيّة الإمام المهديّ عليه السّلام ويشكّل الإمام عليه السّلام محوراً في حياتهم سيصلون إلى مرتبة الأنصار باختلاف درجات الأنصار في قربهم من الإمام عليه السّلام، والمؤمن عليه أن يسعى سعياً حثيثاً، وأن تكون حركاته مضبوطة .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلا
وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

يستحيل أن يتحرك الإنسان بطريقة صحيحة بلا علم ومعرفة، وفي
كل حركة لا بد من أن تكون عند الإنسان الخلفية النظرية التي يتحرك
على أساسها .

مثلاً شخص يذهب إلى الحوزة أو العمل ما هي الخلفية النظرية
التي تحركه ليدرس أو ليعمل ؟

هل الإمام عليه السلام يشكل محوراً بالنسبة له بحيث إنه يريد أن
يمهد لظهور الإمام عليه السلام وأن يخدم الدين سواء كان طالب
حوزة ووصل إلى مرتبة علماء الدين أم كان موظفاً ووصل إلى منصب
في الدولة ؟

وبعض الأشخاص الذين يذهبون إلى الحوزة إذا سألتهم : لماذا
تذهب إلى الحوزة ؟

يجيب : أريد أن أهدي الآخرين إلى الدين .

نقول : أول هدف للذهاب إلى الحوزة هو أنك تريد أن تهتدي .
وإذا صار مهتدياً فالنتيجة الطبيعية هي أنه يمكنه أن يساهم في
هداية الآخرين .

ألا يوجد علماء دين انخرفوا عن جادة الصواب مع أنّ لديهم كمّيةً
هائلةً من المعلومات ؟!

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

إنّ هؤلاء العلماء لم يضبطوا أمورهم من البداية، فمن البداية ماذا كان هدفهم من اكتساب العلم؟

إذا كان الهدف هو التّقرب إلى الله تعالى والحصول على الهداية فهذا الهدف لا بدّ من أن يكون متواصلًا مستمرًا مع طالب العلم؛ لكي لا يغفل عن الهدف الذي ذهب من أجله إلى الحوزة .

وكذلك بالنّسبة للموظّف، ما هو هدفه من ذهابه إلى العمل؟ إذا كان الهدف هو المعاش في آخر الشهر فيصبح المعاش الشّهري هو المحور والمحرّك .

نسأله : ما هو الهدف من المعاش الشّهري؟ ويستمرّ السّؤال بـ "ما هو الهدف؟" إلى أن نصل إلى محور حياته . والمال لا بدّ من أن يجعله في اتجاه معيّن، فإذا كان الاتجاه هو الإمام عليه السّلام فالمؤمن لا يكون حرّاً في التّصرّف في ماله حرّيّة تامّة، وإمّا هناك محور في حياته تدور حوله جميع الأعمال التي يقوم بها، ولذلك يجعل بعض المؤمنين نسبةً من أموالهم في خدمة الدّين، فهم ملتفتون إلى هدفهم، وأمّا إذا كان الشّخص يأخذ معاشه ويصرفه على بيته وزوجته وأولاده فقط بدون النّظر إلى هذا المحور، ولا يفكر بالفقراء من إخوانه المؤمنين، فمثل هذا الشّخص لا يكون مؤهلاً لأن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، فمن المستحيل أن يصل الإنسان المادّي الأنانيّ إلى هذه المرتبة، وهو من ناحية نظريّة يقول بأنّه يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ولكن من ناحية عمليّة

لا تتناسب أعماله مع النظريات والاعتقادات التي يدعيها .
ولا بدّ من أن تكون أعمالنا متناسبة مع الأفكار التي نحملها، فمن
يريد أن يعمل يحتاج أولاً إلى الجانب النظري، فيحتاج إلى الفكر
الديني، لا يستطيع المؤمن أن يتحرك بلا نظريات دينية إسلامية،
لذلك لا بدّ من أن يكون مطلعاً على النظريات الدينية والفكر
الإسلامي، وإذا لم يمتلك النظريات والفكر فإنه يتحرك بشكل
عشوائي، وفي كلّ حركة يريد أن يقوم بها يحتاج إلى معرفة، وقبل أيّ
خطوة يريد أن يخطوها لا بدّ من أن يسأل نفسه : ما هي النظريات
التي أعتمد عليها في هذه الخطوة والحركة ؟

ولا بدّ من أن يكون الجواب واضحاً عنده، لا أن تكون الفكرة
ضبابية غير واضحة، ولا بدّ من أن تكون الفكرة دقيقة، وعلى
أساسها يتحرك، وقبل أن يتحرك لا بدّ من أن يضبط حركته على
أساس الدين، فجميع جزئيات الدين هي المحركة، وتكون بيده لكي
يتحرك حركة مضبوطة، فإذا أراد أن يكون متديناً لا بدّ من أن يرجع
إلى الدين؛ لكي يعرف كيف يكون الإنسان المتدين، فمن ناحية
نظرية ما هي النظريات التي لا بدّ من أن يعتقد بها حتى يكون إنساناً
متديناً، فالتدين ليس عبارة عن شكل من الحية وخاتم ومسباح،
والشكل لوحده لا يعبر عن الإيمان، فيمكن للكافر أن يظهر بهذا
المظهر، والمهم أن باطن الإنسان كيف يكون .

والجانب الفكري الذي يحمله الإنسان بالإضافة إلى الجانب القلبي

والحركة الخارجيّة هذه الثلاثة تعبّر عن شخصيّة الإنسان، فشخصيّة الإنسان تكمن في أفكاره وقلبه وعمله، وإذا أردت أن تقيّم أيّ إنسان فاسأل عن الأفكار التي يحملها وعن باطنه وعن الأعمال التي تتناسب مع هذه الأفكار ومع باطنه، وهنا تكمن شخصيّة الإنسان، فإذا كان يحمل مائة فكرة فلا بدّ من أن تكون أعماله متناسبةً مع هذه الأفكار المائة، ولكن عادةً معلومات الإنسان تكون أكثر من عمله، فالإنسان يحمل معلومات كثيرة، ولكن عمله لا يتناسب مع هذه المعلومات .

ولا بدّ للمؤمن من أن يستقي نظريّاته وأفكاره من الدين، وأن لا يوجد عنده خلط بين الأفكار الدنيويّة والأفكار الشّخصيّة، وفي كثير من الأحيان يعمل الإنسان بناءً على استحساناته الشّخصيّة ويقول بأنّ هذا الأمر من الدّين، وهو يعلم قطعاً أنّه ليس من الدّين، وقد يخالف بعض النّظريّات والأحكام الدّينيّة التي يتبنّاها، ويبدأ بالتّبرير، مثلاً يقول إنّ هذه المسألة خاصّة بزمان النّبّيّ صلى الله عليه وآله، وإنّها لا تناسب زماننا، أو بالعكس يوجد حكم خاصّ بذلك الزّمان ويريد أن يسريه إلى زماننا، ويكون قوله بلا دليل شرعيّ، نعم بعض الأحكام قد تكون أحكاماً زمنيّةً خاصّةً بزمان النّبّيّ صلى الله عليه وآله أو بزمان معيّن من أزمنة الأئمّة عليهم السّلام، فتكون مقيّدةً بعنصر الزّمان، ولا يمكن تسريتها إلى زماننا، وبعض الأحكام مطلقة غير مقيّدة بعنصر الزّمان، فتمتدّ إلى زماننا الحاليّ .

سؤال : من الذي يعرف أنّ هذا الحكم خاصّ بزمان معيّن أو مطلق عامّ شامل لجميع الأزمنة ؟

الجواب :

الفقيه هو الذي يدرس الأدلّة الشرعيّة، ويصل إلى أنّ هذا الحكم خاصّ بزمان معيّن أو مطلق شامل لجميع الأزمنة، وبعض المؤمنين يقرأ روايةً في كتاب ويريد أن يستدلّ لها، وقد يطرح أحد المراجع مسألةً، فيعترض على المرجع ويقول بأنّه توجد رواية تدلّ على خلاف رأي المرجع، وهو يريد أن يستنبط حكمًا شرعيًّا من آية واحدة أو رواية واحدة، وكأنّ كلّ الدّين يدور حول هذه الآية الواحدة أو الرواية الواحدة .

مثلاً الآية الكريمة :

"وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (١) .

يبدأ بالاستنباط من هذه الآية الواحدة، فيقول بأنّه لا بدّ من أن يظهر الإنسان النعمة أمام الآخرين .
أو الرواية الشريفة :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "إنّ الله جميل يحبّ الجمال، ويحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده" (٢) .

ويبدأ بتبرير إظهار الدّنيا أمام النّاس على أساس هذه الآية الواحدة

(١) الصّحى : ١١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٢٩٩ .

وهذه الرواية الواحدة، ولا يلتفت بأنه توجد آيات وروايات أخرى تدور حول نفس الموضوع .

لنقرأ بعض الآيات الكريمة لنعرف ما هي النعمة وما هو أثر النعمة :

"يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" (١) .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ ءِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (٢) .

" . . . وَلِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (٣) .

" . . . إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" (٤) .

"وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" (٥) .

" . . . وَرَزَقْنَاكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (٦) .

(١) سبأ : ١٣ .

(٢) البقرة : ١٧٢ .

(٣) المائدة : ٦ .

(٤) البقرة : ٢٤٣ .

(٥) الأعراف : ١٠ .

(٦) الأنفال : ٢٦ .

"فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (١) .

" . . . وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (٢) .

ونقرأ بعض الروايات الشريفة :

عن فضل البقباق : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (٣) . قال : "الذي أنعم عليك بما فضلك، وأعطاك، وأحسن إليك" . ثم قال : "فحدّث بدينه، وما أعطاه الله، وما أنعم به عليه" (٤) .

عن أبي عبد الله عليه السلام : "ذكر النعمة أن تقول : الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن، ومَنَّ علينا بمحمد صلى الله عليه وآله" (٥) .

عن أبي عبد الله عليه السلام : "شكر النعمة اجتناب المحارم . . ." (٦) .

عن أبي عبد الله عليه السلام : "يا سدير، ما كثر مال رجل قطّ إلا

(١) التّحل : ١١٤ .

(٢) إبراهيم : ٣٧ .

(٣) الضّحى : ١١ .

(٤) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٨ ح ٦ .

(٥) المصدر السابق ج ٦٨ ص ٣٠ .

(٦) المصدر السابق ج ٦٨ ص ٤٠ ح ٢٩ .

عظمت الحجة عليه، فإن قدرتم تدفعونها على أنفسكم فافعلوا" .
فقال له : يا ابن رسول الله، بماذا ؟ قال : "بقضاء حوائج إخوانكم
من أموالكم" (١) .

عن أبي عبد الله عليه السلام : "نحن - والله - نعمة الله التي أنعم
بها على عباده، وبنا يفوز من فاز" (٢) .

سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية : "ثُمَّ
لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" (٣) . فقال عليه السلام : ما النعيم عندك
يا نعمان ؟ قال أبو حنيفة : القوت من الطعام والماء البارد . فقال
عليه السلام : "لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتى يسألك عن
كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه" . قال : ما
النعيم جُعِلْتُ فداك ؟ قال عليه السلام : "نحن أهل البيت النعيم
الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتملوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا
ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخوانًا بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم
الله للإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم
الذي أنعم الله به عليهم، وهو النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَتَرْتَهُ عَلَيْهِم
السّلام" (٤) .

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٤٧ ح ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ج ٢٤ ص ٤٨ .

(٣) التكاثر : ٨ .

(٤) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٤٩ .

سؤال : ما هي النعمة ؟

الجواب :

النعمة هي كلّ ما أعطاه الله تعالى لعباده، ومنه الطعام والشراب، ولكنّ النعمة الحقيقيّة هي هدايته للإسلام وتعليمه القرآن الكريم والمنّ برسوله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام .

سؤال : ما هو أثر النعمة ؟

الجواب :

أثر النعمة هو الشكر باللسان والعمل، والشكر اللسانيّ هو أن يحمد الله تعالى على جميع نعمه، وخاصّة الهداية للإسلام وتعليمه القرآن ومعرفة الرّسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام، والشكر العمليّ هو استعمال النعم الظاهرة والباطنة في الطّاعة، وعدم استعمالها في المحارم والمعاصي، وإيصال ما أنعم الله تعالى عليه إلى عباد الله عزّ وجلّ، وقضاء حوائج إخوانه المؤمنين .

وهكذا بالجمع بين الآيات والرّوايات يعلّمنا العالم مطالب الدّين، وهذا هو دور عالم الدّين في فهم الآيات والرّوايات والجمع بينها حتّى يصل في النهاية إلى رأي الدّين في المواضيع المختلفة، وبعد جهد وعناء يقدّم للعوام المسألة الجاهزة، والفكر الدّينيّ الذي يقدّمه العلماء يقوم على أساس النّظريّات الدّينيّة المستنبطة من الآيات والرّوايات، ودور عالم الدّين ليس دوراً سهلاً، فمراجع وعلماء خطّ المرجعيّة الرّشيدة يدرسون جميع الآيات والرّوايات التي تدور حول موضوع

واحد، وبعد ذلك يعطوننا النتيجة النهائية، وقد توجد روايات متعارضة، ودور الفقيه أن يحلّ مشكلة التعارض بين الروايات، وكيفية حلّ تعارض الأدلة يدرسها طلبة الحوزة في علم أصول الفقه .
إذن :

لا بدّ من أن يتناسب عمل الإنسان مع النظريات التي يعتقد بها، وبمستوى علوّ شأن النظريات لا بدّ من أن يتناسب عمله مع هذا المستوى من العلوّ، فإذا كان الإنسان يعتقد بقضية الإمام المهديّ عليه السّلام وكانت هذه القضية تشكّل محوراً في حياته فلا بدّ من أن يتناسب عمله مع أهميّة هذه القضية .

سؤال : هل المؤمنون بشكل عامّ عندهم هذه الهمة العالية بحيث إنّ أعمالهم تتناسب مع أهميّة قضية الإمام المهديّ عليه السّلام ؟
الجواب :

لا، ليس عند المؤمنين بشكل عامّ الهمة العالية، ولو كان أعمال المؤمنين تتناسب مع أهميّة القضية لظهر الإمام عليه السّلام، ولكن يوجد تقصير عند المؤمنين، نعم هم موالون ومحّبون، ولكنّ القضية تحتاج إلى عمل، فالمطلوب من كلّ مؤمن مؤمن أن يساهم في الظهور، وأمّا إذا عاش المؤمن وهو يحمل قضية بيته وزوجته وأولاده فقط فهو لا يمهّد لظهور إمامه عليه السّلام .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ :
"يا جابر، أيكثف من يَنْتَحِلُ التَّشْيِعَ أن يقول بَجَبْنَا أهل البيت ؟

فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، . . . حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ
يقول : أَحَبَّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَّاهُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فِعَالًا" (١) .

"فَعَالٌ" صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ بِمَعْنَى "كَثِيرُ الْفِعْلِ"، فَإِذَا كُنَّا مِنَ الْمُؤَلِّينَ لِأَهْلِ
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَنَتَّخِذُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامًا لَنَا فَمَعْنَى
ذَلِكَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَكُونَ عَامِلِينَ فَعَالِينَ، فَنَعْمَلُ لِتَقْوِيَةِ الدِّينِ
وَالْتَمَهِيدِ لظُهُورِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَسْتَوَى الْعَمَلِ لَا بَدَّ
مِنْ أَنْ يَتَنَاسَبَ مَعَ مَسْتَوَى النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي نَعْتَقِدُ بِهَا، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ
نَكُونَ فِي خِدْمَةِ الدِّينِ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعَجَّلَ فِي ظُهُورِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَلَا بَدَّ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْمَلَ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي يَجِبُ
عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا هِيَ مَا طَرَحْنَاهُ ضَمَّنَ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ مِنَ
الْمَحَاضِرَاتِ، مَا طَرَحْنَاهُ سَابِقًا، وَمَا سَنَطْرَحُهُ لَاحِقًا، وَتَوْجَدُ كَثِيرٌ مِنَ
الْأُمُورِ سَنَطْرَحُهَا تَدْرِيجِيًّا حَتَّى تَتَبَلُورَ عِنْدَنَا قَضِيَّةَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ كَأَفْكَارٍ وَنَظَرِيَّاتٍ، بِحَيْثُ تَتَنَاسَبُ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ هَذِهِ
الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ، وَطَرَحْنَا مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَفْكَارِ خِلَالَ الْمَحَاضِرَاتِ
السَّابِقَةِ، وَسَتَأْتِي أَفْكَارٌ جَدِيدَةٌ فِي الْمَحَاضِرَاتِ الْقَادِمَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى .

ونحتاج إلى أن نعمل، وأن نكون عاملين فعالين في خدمة الدين،
والدين يقدم لك الجنة، وتكون خالدًا في جنات الله تعالى، وإذا أردت
أن تحصل على الجنات فلا بد من أن تكون عندك أعمال تتناسب

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ . يَنْتَجِلُ : يَدَّعِي .

مع جنّات الخلود، والله تعالى يريد أن يعطيك الجنّة بكلّ ما فيها من نعم مع الخلود، وخلال ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ سنة تعمل، وهذه السنوات القليلة تكون في مقابل الخلود، وخلال ١٢٠ سنة - وهي أقصى ما يصل إليه الإنسان من عمر - ما الذي يقدمه للدين حتّى يعطيه الله الخلود؟

ولا بدّ من أن يفكّر الإنسان، مثلاً شخص يقول لك بأنّه يعطيك مليون دينار ويطلب منك بعض الأعمال البسيطة، لا بدّ من أن تفكّر كيف تأتي بهذه الأعمال البسيطة حتّى تكسب هذا المليون، وإذا سمع الناس عن المال فهم جميعاً سيفكّرون، ولكن إذا قلنا : "جنّات الخلد" فالناس نظرياً يعتقدون بالمعاد، ولكن هذه العقيدة إذا لم تحرك الإنسان فمعنى ذلك أنّ هذه العقيدة ضعيفة عنده أو أنّه واقعاً لا يعتقد بهذه العقيدة كحقيقة، نعم من ناحية الفكرة في حينّ الذهن وفي عالم التّصوّرات عنده تصوّر عن العقيدة، كما هي الصّور الذهنيّة الأخرى الموجودة في ذهنه، كما ترى ما حولك وتتحوّل في ذهنك إلى صور، فترى السّماء والبحر والجبال والأشخاص فتنتطبّع لها صور في الذهن، وتصبح الجنّة مجرد صورة ذهنيّة، والصّورة الذهنيّة لا تحرك الإنسان إلّا إذا تحوّلت إلى أمر قلبيّ باطنيّ عقيدتيّ، فإذا نزلت من عالم الذهن إلى عالم القلب يبدأ الإنسان بالحركة، وأمّا إذا بقيت صورة في عالم الذهن فقط فلا تحرك الإنسان، والإنسان من أوّل ما يستيقظ من النّوم صباحاً إلى أن ينام ليلاً تنطبّع في ذهنه آلاف

الصّور، وبعض الصّور تحرّكه، وكثير من الصّور لا تؤثّر فيه، والصّور التي تحرّك الإنسان معناها أنّها تحوّلت إلى نظريّة وعقيدة، والنّظريّة والعقيدة لها جانبان : جانب قلبي وجانب عمليّ .

وعلى الإنسان أن يراجع ذهنه ليرى ما هي الأفكار والنّظريّات التي يعتقد بها، وما هي الأفكار التي تظلّ في عالم التّصوّر وتأخذ حيّزاً من الدّهن بدون أن يكون لها ثمرة عمليّة، والإنسان مسؤول عمّا يملأ به ذهنه؛ لأنّ الدّهن صفحة مكشوفة أمام الله تعالى، فلا بدّ من أن يملأ هذه الصّفحة المكشوفة بمجموعة من الأفكار والنّظريّات، والله تعالى يعلم بالأفكار والتّصوّرات الموجودة في أذهاننا .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " يا أبا ذر، إنّ الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" ^(١) .

ومن قلب الإنسان وباطنه صفحة الدّهن المكشوفة أمام الله تعالى، وأنت تفكّر الآن بفكرة والله يعلم بها، والإنسان يكون جالساً بجسده في مكانه، ولكن فكره ينتقل إلى أماكن أخرى، ولا بدّ من أن يراجع الإنسان أفكاره ليرى ما هي الأفكار التي يعتقد بها والتي تحرّكه، وبعض الأفكار قد يعتقد بها الإنسان، ولكنّها أفكار تحرّكه بأنّحاء الدّنيا، وتربطه بالدّنيا بدل الآخرة، وهو يعتقد بها، وهو غير ملتفت إلى ضررها على دينه، والأفكار التي يحملها المؤمن لا بدّ من أن تكون

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٨٨ .

عنده الأدلة الشرعية على إثباتها، وتكون مستقاة من الدين، لذلك يحتاج المؤمن إلى معرفة الدين، وإذا عرف دينه وعمل به صار انعكاساً للدين، ولو رآه الآخرون لقالوا عنه إنه إنسان متدين، ومتدين يعني أنّ كل ما يقوم به عبارة عن انعكاس للدين، وبعض الأشخاص عندهم أفكار مختلطة من الدين ومن غير الدين، وخاصةً في عصرنا عصر الفضائيات، والدول الغربية تعمل على حرف الإنسان المسلم، ونرى الجهود الجبارة التي تُبذل على مناطق المسلمين، وترون كثرة المشاكل في مناطقنا، ولا يذهبون إلى مناطق أخرى؛ لأنهم يدركون أنّهم الآن في صراع مع الإسلام، فلا بدّ من أن يشوّهوا صورة الإسلام عند المسلمين والشباب بالخصوص، وبعض الفضائيات تحارب الإسلام باسم الإسلام، ويحاولون حرف المسيرة الإسلامية، ولكن هيئات، فإنهم لا يستطيعون مهما عملوا، كم حاربوا الإسلام، ولكن الإسلام بدأ يغزوهم في عقر دارهم شرقاً وغرباً، والجهود المبذولة على مناطق المسلمين ليست قضية عشوائية، والجيوش تأتي إلى منطقتنا لأنهم يعلمون أنّ الإمام المهديّ عليه السّلام سيظهر هنا، لذلك يبذلون الجهود الكبيرة على منطقتنا بسبب هذا الأمر، ونحن نعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام، وهم يعرفون أنّه سيظهر عاجلاً أو آجلاً، ويقضي على من يحارب الدين من الكفار والمشركين وأتباعهم من المنافقين، ونرى أنّ أعداء الدين عملهم يتناسب مع مستوى ما يعتقدون به من أفكار .

ماذا يفعل المسلمون في مقابل الجهود التي يبذلها أعداء الإسلام ؟
وماذا يفعل المؤمنون لأجل التمهيد لظهور إمامهم عليه السلام ؟
وهل عملنا يتناسب مع عملهم فنحن لا نصل إلى ١% مما يبذلونه
من أموال وجهود ؟

أعداء الدّين عندهم أفكار وأهداف واعتقادات، وعلى أساس
أفكارهم وأهدافهم وعقائدهم يتحرّكون، والمسلمون عندهم مجموعة من
الأفكار والأهداف والعقائد، ولكن عملهم لا يتناسب مع أفكارهم
وأهدافهم وعقائدهم .

وإذا أردنا أن نعجّل في ظهور الإمام المهديّ عليه السلام فلا بدّ
من أن يراجع المؤمنون أنفسهم؛ حتّى يمكنهم مواجهة أعداء الإسلام،
وأوّل ما يواجهونه هو الغزو الثقافيّ، فالشّابّ الذي تراه بقصّة شعر
معيّنة أو لباس معيّن متأثر بالغزو الثقافيّ، وهذا الشّابّ لا يربط بين
قصّة الشّعّر واللبّاس وبين الغزو، وأعداء الإسلام يربطون هذا الشّابّ
برموز من عندهم من مطربين وممثّلين، ويرتبط الشّباب بهؤلاء الرّموز،
وهؤلاء الرّموز يصبحون أئمّةً لهؤلاء الشّباب، والعمل كلّه منصبّ على
طبقة الشّباب، ويحاولون حرف هذه الطبقة؛ لأنّ المجتمعات تعتمد
على شبّانها، فإذا انحرف الشّباب فإنّ الانحراف ينتشر في المجتمع،
والمعادون للإسلام يطرحون أئمّةً للكفر والضّلال والنفاق، ولكنّنا
نعتقد بأئمّة الهدى عليهم السلام، ويوجد صراع مستمرّ عبر التاريخ
بين أئمّة الهدى وأئمّة الكفر والضّلال والتّفاق .

إذن :

أعمال المؤمنين لا بدّ من أن تتناسب مع الأفكار التي يعتقدون بها؛ حتى يمكنهم المساهمة في التمهيد لظهور الإمام عليه السّلام، وعلى كلّ فرد فرد من المؤمنين أن يسعى لأن يكون من الأنصار، والمؤمنون يدعون الله تعالى أن يكونوا من المقاتلين تحت لواء الإمام عليه السّلام والمستشهادين بين يديه، والمؤمن الذي يريد أن يصل إلى مرتبة الأنصار يحتاج إلى عمل مسبق؛ لكي يتهيأ لأن يكون من الأنصار ضمن جيش الإمام عليه السّلام، ومن يريد أن يكون بهذا المستوى لا بدّ من أن يعمل كثيراً، ويكون جاداً في جميع أعماله .

خلاصة الموضوع :

نحن نعتقد بفكرة ونؤمن بقضيّة، وهي اعتقادنا بالإمام المهديّ عليه السّلام، وهذه الفكرة والقضيّة لا بدّ من أن تكون محور حياتنا، وأعمالنا لا بدّ من أن تصبّ في هذا المحور بحيث إنّ كلّ عمل نقوم به يكون على أساس هذا المحور، فإذا صارت قضيّة الإمام المهديّ عليه السّلام محوراً في حياة المؤمن كفرد ومحوراً في حياة المؤمنين كمجموع فالمؤمنون يصبحون كواكب تدور حول الإمام المهديّ عليه السّلام، ولا توجد في الظهور مشكلة من جهة الإمام عليه السّلام، والمشكلة موجودة في المؤمنين؛ لأنهم غير متهيّئين لحدّ الآن لظهور الإمام عليه السّلام، وإذا وصلوا إلى مرتبة الأنصار ومهدوا لظهوره عليه السّلام وكان الفرد مهتدياً وساهم في هداية الآخرين واعتقد بهذه الفكرة وآمن

بِهذه القضية ونقلها إلى الآخرين فتدرّجياً يمكن لمجموع المؤمنين أن
يمهدوا لظهور إمامهم عليه السلام .

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ فِي
هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا
حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا وَتَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِهِ
وَأَعْوَانِهِ وَالْمُجَاهِدِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
وآله الطيبين الطاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاج سلمان الحداد :

نحن نعتقد بظهور الإمام المهديّ عليه السلام وأنه يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً، وأنّ الإمام عليه السلام موجود وخائف، ولكنّ البعض
يحدّد ويقولون إنّ الإمام عليه السلام سيظهر بعد سنة أو سنتين .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

عن عبدالرحمن بن كثير قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ
دخل عليه مهزم الأسديّ فقال : أخبرني جعلت فداك متى هذا الأمر
الذي تنتظرونه ؟ ، فقد طال . فقال : " يا مهزم، كذب الوقتون،
وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإلينا يصيرون" ^(١) .

لا يمكن التّوقيت؛ لأنّه لا أحد يعلم بوقت ظهور الإمام عليه

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣-١٠٤ ح ٧ .

السّلام، وتكليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى أن يعمل ويتحرّك،
والإمام عليه السّلام يظهر في الوقت المناسب بأمر الله تعالى .

الأستاذ مسلم غازي :

من خلال المحاضرة فهمت أنّ سبب ظهور الإمام عليه السّلام هو
أنّه إذا التزم المؤمنون بهذه القضية نظرياً وعملياً فإنّ الإمام عليه السّلام
سيظهر، فهل سبب تأخّر الظهور هو عدم اهتمام المؤمنين أو يوجد
موعد معيّن من الله تعالى بأنّه سيظهر في يوم معيّن وسنة معيّنة ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

الإمام المهديّ عليه السّلام سيظهر والله عزّ وجلّ يعلم بالوقت،
ولكن هذا الوقت مترتب على مقدّمات يوقّرها المؤمنون، والله يعلم
بجميع الأحداث، ولكن علم الله ليس علّة لوقوع الحدث، مثلاً الله
تعالى يعلم بأننا سنأتي إلى هذا المكان، ولكن علم الله ليس هو العلّة
والحرّك لحيثنا إلى هذا المكان، والحرّك هو إرادتنا، ولأننا نريد أن نأتي
إلى هذا المكان فالله تعالى يعلم، ولكن علمه سابق على مجيئنا، والله
تعالى يعلم بالمستقبل، فعلم الله ليس علّة لتحرك الإنسان، والعلم هو
انعكاس لأمر خارجيّ، والله تعالى يعلم بأنك ستأتي إلى هذا المكان،
والله عزّ وجلّ يعلم متى يظهر الإمام عليه السّلام، ولكنّ الظهور
مترتب على مقدّمات بأيدي المؤمنين، ومتى ما وقر المؤمنون هذه
المقدّمات فظهور الإمام عليه السّلام يتحقّق، والله يعلم في علمه
السابق أنّ الظهور متى يكون، وظهور الإمام عليه السّلام قد يكون

قابلاً للبداء؛ لأنّ المؤمنين لم يوقروا جميع المقدمات، والمفروض أنّ المؤمنين يعملون لتحقيق الظهور، نعم التوقيت النهائي للظهور يعلمه الله تعالى، وهذا مثل موت الإنسان حيث توجد مقدمات للموت، والله تعالى يقول بأنّه إذا رمى الإنسان نفسه من شاهق فإنه يموت، وإذا لم يرم نفسه من شاهق فإنه لا يموت، فتوجد عدّة اختيارات، والله تعالى لا يكتب عليه الموت كتاباً إجبارياً، فكتب الله عليه الموت؛ لأنّ الإنسان اختار أن ينتحر، ولو لم ينتحر لما مات .

مثلاً ترى شخصين مصابين بالمرض الخبيث، والمريضان يأخذان نفس الدواء، فهما أخذا بنفس المقدمات، ولكن أحدهما مات والآخر عاش، نعم الله تعالى يعلم بأنّ هذا مات؛ لأنّ الدواء لا يؤثّر فيه، والآخر عاش؛ لأنّ الدواء أثر فيه، والله تعالى لا يجبر الإنسان على الموت، فالموت له أسباب إذا تحققت تحقق الموت، فالمريض الذي عاش أخذ الدواء وجسمه كان متهيئاً للاستجابة للعلاج؛ لأنّه لم يكن يأكل الوجبات السريعة والمشروبات الغازية، والوجبات السريعة والمشروبات الغازية تساهم في نقص مناعة الجسم، والمريض الآخر كان يأكل الطّعام الطّبيعيّ، فجسده تقبّل العلاج، والآخر جسده رفض العلاج، فهناك أسباب طبيعيّة للموت .

ومقدمات الظهور إذا قرّها المؤمنون فإنّ الإمام عليه السّلام سيظهر، وإذا كانت المقدمات تامّة والأنصار متهيئين فالإمام عليه السّلام سيظهر، ولا توجد مشكلة من جهة الإمام عليه السّلام؛ لأنّ

الإمام عليه السّلام مستعدّ دائماً، ولكنّ العيب فينا، ولا بدّ من أن يكمل المؤمنون التّواقص؛ لأجل أن يظهر الإمام عليه السّلام، وبدون توفير المقدّمات لا نعلم متى يظهر الإمام عليه السّلام، وقد تطول المدّة وتمتدّ لآلاف أو ملايين السنين، نعم توجد علامات للظهور، وبعض العلامات تحققت، ولكنّ العلامة لا تعني التّوقيت إلّا إذا كان للعلامة وقت وتعيّن مدّة الظهور بعدها .

مثلاً في شهر رمضان قبل الظهور توجد صيحة في السّماء، أو بعد قتل النّفس الرّكيّة بأسبوعين يظهر الإمام عليه السّلام، ولو قُتل مؤمن في الحرم المكيّ، وتوقّعنا أنّه هو النّفس الرّكيّة، ولم يظهر الإمام عليه السّلام، فتطبيقنا كان خاطئاً، ومن العلامات أنّ شخصاً يُقتل مع سبعين في ظهر الكوفة، والبعض طبّقها على أحد العلماء مع مجموعة من أتباعه، ومصادق هذه العلامة قد لا يكون هذا العالم وأتباعه، نعم العلامة موجودة، ولكنّ التّطبيق قد يكون خاطئاً، وهذه العلامة قد تتحقّق في المستقبل، والبعض يطبّق العلامات دائماً، وهذه التّطبيقات قد لا تكون صحيحةً، وبعض العلامات يمكن تطبيقها كالصّيحة في السّماء بأنّ جبرئيل عليه السّلام ينادي باسم الإمام المهديّ عليه السّلام، وهناك صيحة في الأرض وهي صيحة إبليس وأتباعه، ويمكن تمييز بعض العلامات لمن عنده اطلاع عليها، وبعض العلامات لا يمكن تطبيقها، ولا تعطينا التّوقيت .

والمشكلة موجودة فينا، ونحن لا بدّ من أن نهَيء المقدّمات؛ لكي

يظهر الإمام عليه السلام، والشّرط الناقص الآن بالنسبة للمؤمنين هو شرط توقّر الأنصار، وهناك مشاكل كثيرة تحدث في العالم، ولا بدّ من توفير الأنصار، بالإضافة إلى التّهيئة العالميّة بحيث إنّ العالم بعد أن يجرب النظريّات الشّرقية والغربيّة ييأس من جميع النظريّات، فإذا ظهر الإمام عليه السلام فالنفوس تكون متهيّئة لقبول النظريّة التي تدعو إلى تطبيق العدالة في العالم .

والمشاكل من فقر وجوع وحروب يريد جميع الناس الحلّ لها، والنظريّة الشّرقية سقطت، والآن بداية سقوط النظريّات الغربيّة حتّى في عقر دارهم، وقد خرج الناس في مظاهرات ضدّ الرأسماليّة، وأصبحت الرأسماليّة مصدر لمشاكل الغربيّين، وبعد أن كانوا يعتقدون بالنظريّة الرأسمالية بدأت الآن هذه النظريّة بالفشل، وستفشل أكثر وأكثر، وسوف تسقط النظريّة الرأسماليّة، بل جميع النظريّات ستسقط، وكلّ من يدّعي أنّه يملك الحلّ لمشاكل العالم ويريد أن يصلح العالم نظريّته ستبوء بالفشل .

والنفوس ستتهيّأ تدريجيّاً لظهور الإمام المهديّ عليه السلام، ويوجد جزء من العمل على المؤمنين، وجزء من العمل سيقوم به أعداء الإسلام، وأعداء الدّين سيساهمون في تمهيد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السلام وهم لا يشعرون، فهم يحاربون الإسلام بنظريّاتهم، ونظريّاتهم ستفشل، ويهيّئون الأرضيّة بحيث إنّ نفوس الناس في العالم تتهيّأ للظهور، وسينتظر جميع الناس من جميع الأديان والمذاهب

والأطراف ظهور المصلح العالمي، ومقدمات الظهور لا بد من أن
تتوقّر؛ لكي يظهر الإمام المهديّ عليه السّلام .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٢)

عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قضية الإمام المهدي عليه السلام من محاور الإسلام باتفاق المسلمين، وهذه القضية تعبر عن حاكمية الإسلام في العالم، وانتشار العدل في العالم، وهو حلم الأنبياء عليهم السلام، والبشرية كلها من بداية آيينا آدم عليه السلام وإلى هذا اليوم لم ينتشر العدل فيه في جميع أرجاء العالم، والإمام المهدي عليه السلام سيحقق الأمل المنشود عند كل البشرية، وهذه القضية ما دام أنها قضية عالمية والإسلام رسالة عالمية فمعنى ذلك أننا في عصر الغيبة الكبرى أمامنا مهمة عالمية، وهذه المهمة العالمية التي سيقوم بها الإمام عليه السلام تتطلب منا التمهيد لظهوره عليه السلام، وما دام أنّ القضية عالمية فالجهد

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٧ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ ، ٣٠/٣/٢٠١٢ م .

المطلوب من المؤمنين لا بدّ من أن يكون جهداً عالمياً، ويحتاج من المؤمنين أولاً الالتفات إلى أهميّة قضية الإمام المهديّ عليه السّلام، وبعد ذلك تمهيد الأرضيّة لظهوره عليه السّلام، ولا بدّ من أن يلتفتوا إلى عالمية المهمّة، وعلى قدر هذه المهمّة تكون الهمة، ويكون عطاؤه بقدر أهميّة القضية .

هل المؤمنون ملتفتون إلى أهميّة هذه القضية العالميّة ؟
وبأيّ مقدار يعطون أهميّة للقضية بحيث يكون الإمام المهديّ عليه السّلام محوراً في حياة كلّ فرد من المؤمنين ؟
وما دام أنّها محور فمعنى ذلك أنّ حياة المؤمن تدور حول هذا المحور، فكلّ حركة يقوم بها المؤمن لا بدّ من أن يكون ملتفتاً فيها إلى الإمام عليه السّلام، فلا يقوم بأيّ عمل إلاّ أن يكون موافقاً لما يريد الإمام عليه السّلام، والعملية صعبة بأنّ الإنسان في كلّ تحرك يقوم به يكون على أساس ما يرضي الإمام عليه السّلام، وما يرضي الإمام عليه السّلام يجب أن يعرفه المؤمن حتّى ينسّق حركته مع إمامه عليه السّلام وإن كان الإمام غائباً، فالأحكام الشرعيّة موجودة، والمؤمن حينما يلتزم بالأحكام الشرعيّة الفقهيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعملية فإنّه ينسّق حركته مع إمامه عليه السّلام في جميع الأحكام، وبذلك يحصل على رضاه عليه السّلام .

في هذه المحاضرة أريد أن أعرض العوامل التي تؤدّي بالمؤمنين إلى عدم إعطاء الأهميّة المناسبة والكافية لقضية الإمام المهديّ عليه

السّلام، ونظرنا إلى الحالة العامّة ومجموع المؤمنين لا أفراد المؤمنين، نعم يوجد أفراد من المؤمنين يكونون من أنصار الإمام عليه السّلام، ولكن لأجل تمهيد الأرضيّة نحتاج إلى تحرك مجموع المؤمنين، وليست القضية فردية .

والآن نأتي إلى ذكر العوامل التي بسببها لا يلتفت المؤمنون إلى أهميّة قضية الإمام المهديّ عليه السّلام :

العامل الأوّل : الغفلة عن وجود إمام الزّمان عليه السّلام :

على كلّ مؤمن أن يسأل نفسه : كم من الوقت خلال اليوم يكون ملتفتًا إلى وجود الإمام عليه السّلام ؟

ويحسب الوقت من بداية استيقاظه من النّوم صباحًا وإلى أن ينام ليلاً، قد تجد النّسبة قليلة جدًّا، يستيقظ صباحًا ويصليّ ثم يذهب إلى العمل وهو غير ملتفت إلى الإمام عليه السّلام، ويرجع إلى البيت ويصليّ ويتغدّى ثمّ ينام ثمّ يستيقظ من النّوم ثمّ يذهب إلى المسجد ويذهب إلى الدّيوانيّة ويتعشّى ويرجع إلى البيت وينام، وفي جميع هذه الحالات لا يكون ملتفتًا إلى الإمام عليه السّلام، مع أنّه يعلم أنّ الإمام عليه السّلام غائب، والإمام الغائب يحتاج لأجل ظهوره إلى وجود الأنصار بالكمّ والكيف المناسبين، فإذا كان المؤمن غافلاً عن وجود الإمام عليه السّلام فكيف يمكنه أن يهيئ نفسه للظهور !؟

وهو يتعامل في جميع حياته كأنّ الإمام عليه السّلام غير موجود، وتسير حياته بدون الالتفات إلى وجود الإمام عليه السّلام .

وترون أنّ النَّاس يخرجون في مظاهرات لأجل الحصول على زيادة في المعاش الشَّهريّ، قد تكون الزَّيادة خمسين دينارًا أو أكثر، وهذه الحركة تكون لأجل الحصول على مقدار من المال، وهناك حركة قلبيةّ عند هؤلاء النَّاس، وهذه الحركة القلبيةّ تتحوّل إلى حركة خارجيّة . هل هذه الحركة القلبيةّ موجودة عند المؤمنين تجاه إمامهم الغائب عليه السَّلام ؟

إذا لم توجد هذه الحركة القلبيةّ فهي مصيبة، وعدم حضور الإمام عليه السَّلام هو سبب وقوع المشاكل في العالم . ونرى أنّ الإنسان يريد الحصول على زيادة في المعاش الشَّهريّ، ولكن هل يفكّر أن يجعل جزءًا من هذه الزَّيادة في خدمة الدِّين حتّى يعجّل في ظهور إمامه عليه السَّلام أو يأخذ المال ويصرفه في أموره الدُّنيوية وينتهي الأمر عند هذا الحدّ ؟

الإنسان الذي نظره إلى الدُّنيا فقط لو أعطيته الدُّنيا وأقاليمها السَّبعة فهذا المال لا يكفيه؛ لأنّ تفكيره دنيويّ فقط، وإذا كان عنده مال فإنّه يشتري بيتًا مساحته ٣٠٠ متر مربع، وإذا زادت أمواله فكّر ببيع بيته وشراء بيت أكبر، وكلّما زادت أمواله فكّر بأن يشتري بيتًا أكبر من البيت السَّابق، ولكنّ السَّؤال المهمّ هو : لماذا اشترت بيتًا أكبر؟ ما هو هدفك من شراء البيت الأكبر ؟

إذا كان النّظر للدُّنيا فقط فهو يريد أن يوسّع على زوجته وأولاده، ولكن ماذا بعد ذلك ؟ وما هي النّتيجة الدُّنيوية المترتبة على ذلك ؟

والإنسان حينما يأتي بالأعمال الدنيوية الكثيرة عملاً بعد عمل
هذه السلسلة من الأعمال لماذا يأتي بها ؟

لا بدّ من أن تنتهي السلسلة إلى الله تعالى، وتنتهي إلى الإمام
عليه السلام؛ لأنّه مظهر من مظاهر الله تعالى، وفي جميع الأمور لا بدّ
من أن نلتفت إلى نهاية السلسلة، فإلى أين تنتهي هذه السلسلة ؟

إذا كانت الأمور تنتهي إلى الدنيا فقط فهو اشترى بيتاً ووسّع على
زوجته وأولاده - فهو قد حصل على دنيا أكبر وأكثر، ولكنّ
الحصول على دنيا أكبر معناه حساب أكثر من قبل الله تعالى، وكلّما
أعطى الله الإنسان مالاً أكثر كلّما كان الحساب أكبر؛ لأنّ المسؤولية
تكون أكبر، ولو فكّر الإنسان بعقله بأنّ المال الأكثر معناه حساب
أكبر فمن الممكن أن يرفض هذا المال الأكثر، طبعاً مع الحصول على
مقدار حاجته بحيث إنّ جميع حاجاته الدنيوية تكون مقضيةً ويكتفي
بذلك .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " لا تزول قدما عبداً يوم القيامة
حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن
ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت " (١) .

فالمسؤولية أكبر، ولو فكّر الإنسان بالمسؤولية لقال : أكتفي بالمبلغ
الذي يقضي حاجاتي، وبيتي الذي أسكن فيه يكفي حاجتي وحاجة
زوجتي وأولادي .

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٨٠ ح ٣٢ .

ومن يوسّع الله عليه في دنياه سيحاسبه تعالى حساباً أكبر، ولكنّه إذا جعل أموالاً أكثر في خدمة الدّين وخدمة المؤمنين فحسابه يكون أخفّ بل يحصل على الثّواب بسبب اكتساب المال الأكثر، فيكون عنده هدف أخرويّ من اكتساب المال الأكثر، ويعيش الهدف الأخرويّ في جميع الأعمال التي يقوم بها، ولكنّ أغلب النّاس لا يفكّرون بهذه الطّريقة، فهم يريدون الحصول على أموال أكثر حتّى يوسّعوا دنياهم أكثر، ولو كانت نظرة المؤمنين بشكل عامّ إلى الهدف الدّينيّ والأخرويّ وكانت غايتهم في أعمالهم غاية أخرويّة لظهر الإمام عليهم السّلام منذ مئات السّنين، ولكن لأنّ مجموعة قليلة من المؤمنين يعيشون الهدف الدّينيّ والأخرويّ، لذلك لا يظهر الإمام عليه السّلام؛ لأنّ المشكلة موجودة فينا نحن المؤمنين .

إذن :

العامل الأوّل من عوامل تأخّر الظّهور هو الغفلة عن وجود الإمام عليه السّلام .

العامل الثّاني : التغافل عن المسؤوليّة تجاه الإمام عليه السّلام :

قد يلتفت المؤمن إلى وجود الإمام عليه السّلام، ولكن وجود الإمام عليه السّلام ليس عبارة عن صورة ذهنيّة فقط، والإنسان من ناحية ذهنيّة قد يكون ملتفتاً إلى وجود الإمام عليه السّلام، ولكنّ الأمر ليس مجرد صورة ذهنيّة، والدّهن فيه الكثير من الصور، وضمن الصّور الذهنيّة يوجد تصوّر عن الإمام عليه السّلام، وهو يعلم بوجود الإمام

عليه السّلام، وهو ملتفت إلى وجود صورة الإمام عليه السّلام في الذّهن، ولكنّ المطلوب ليس مجرد الالتفات الذّهنيّ إلى وجود الإمام عليه السّلام، وإمّا توجد مسؤوليّات مترتبة على اعتقاده بوجود الإمام عليه السّلام، وهدف الالتفات هو الوصول إلى معرفة المسؤوليّات الملقاة على عاتق المؤمن في عصر الغيبة الكبرى .

وقم باستقراء بين المؤمنين وأسألهم : ما هي مسؤوليّات وتكاليف

المؤمن في عصر الغيبة الكبرى ؟

سيعطونك أجوبةً عامّةً، مثل أصليّ وأصوم وأحجّ، ولكن هذه تكاليف عامّة في كلّ زمان، مثلاً إذا كان المؤمن في زمان الإمام الصّادق عليه السّلام فتوجد عليه تكاليف عامّة، وهي تكاليف لجميع الأزمنة، وتوجد تكاليف خاصّة للمعاصرين للإمام الصّادق عليه السّلام، وكذلك مع سائر الأئمّة عليهم السّلام توجد تكاليف عامّة؛ لأنّ الصّلاة والصّوم والحجّ مطلوبة في كلّ زمان، وهناك تكاليف خاصّة للمعاصرين لكلّ إمام عليه السّلام، ووجود المؤمن مع إمام معيّن يلقي عليه مسؤوليّات وتكاليف خاصّة بسبب معاصرته لهذا الإمام عليه السّلام، والمؤمن الذي يعاصر الإمام الكاظم عليه السّلام الذي كان مسجوناً لسنوات طويلة عليه مسؤوليّات وتكاليف معيّنة، ووجود المؤمن في زمان الإمام العسكريّ عليه السّلام يلقي على عاتقه تكاليف خاصّة، ونحن الآن نعيش في عصر الغيبة الكبرى، فما هي المسؤوليّات والتكاليف الخاصّة بالمؤمنين في زمان الغيبة ؟

هل المؤمنون الآن عندهم معرفة بالتكاليف الخاصة الملقاة على عواتقهم؟

أولاً لا بدّ من أن يعرفوا هذه المسؤوليات والتكاليف، وثانياً المطلوب منهم العمل بهذه التكاليف، فالمطلوب معرفة المسؤوليات والتكاليف وتحديدتها بدقة، والعمل والتحرّك لتنفيذها والعمل بها .

فهل يوجد عند المؤمنين بشكل عامّ الحرص على معرفة مسؤولياتهم وتكاليفهم في عصر الغيبة الكبرى؟

نعم قد يكون عند المؤمنين في بعض البلدان اهتمام أكبر بتكاليفهم من بعض البلدان الأخرى .

مثلاً حبّ طلب العلم في بلدنا قليل، ومجالس العلماء يحضر فيها قلة من المؤمنين حتّى أنّ أئمة المساجد يشكون من ذلك، نعم الكثير من المؤمنين يحضرون لصلاة يوم الجمعة، ولكن لو جعل إمام المسجد الخطبة بعد صلاة العصر كم شخص منهم سيقم للاستماع إليه؟ نرى أنّ العدد قليل جدّاً، قد يتراوح بين خمسين إلى مائة مؤمن مع أنّ الحاضرين قد يصل عددهم إلى ألفي شخص .

إن اهتمام المؤمنين لمعرفة تكاليفهم العامّة فيه تقصير أو قصور، فما بالك بمعرفة المسؤوليات والتكاليف الخاصة في زمان الغيبة الكبرى والتي يكون الاهتمام بها قليلاً جدّاً؟

لا بدّ من المؤمن حينما يلتفت إلى وجود الإمام عليه السّلام من أن يلتفت إلى مسؤولياته وتكاليفه تجاه الإمام عليه السّلام .

فما هي تكاليف المؤمن الذي يعتقد بقضية الإمام المهدي عليه السلام ؟

وقضية الإمام المهدي عليه السلام لا بدّ من أن تحرّكنا لمعرفة تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى .
إذن :

الكثير من المؤمنين غافلون عن إمامهم عليه السلام، وليس المطلوب فقط الالتفات الذهني إلى وجود الإمام عليه السلام، بل المطلوب أيضاً معرفة التكاليف في عصر الغيبة الكبرى .

العامل الثالث : عدم العمل بالتكاليف :

إذا التفت المؤمن إلى وجود إمامه عليه السلام، وعرف تكاليفه، فكم من هذه التكاليف يطبقها في حياته ؟

والإنسان عادةً ما يكون عمله أقلّ من علمه، فالإنسان عنده معلومات كثيرة، ولكن عمله لا يتناسب مع علمه، فالعمل عادةً ما يكون قليلاً نسبةً إلى العلم الموجود عنده .

مثلاً جميع المسلمين يعرفون استحباب الصدقات، ولكن كم من المسلمين يعملون بهذا الاستحباب ؟ ولماذا يوجد فقراء في بلدان المسلمين ؟

لو كان جميع المسلمين يتصدّقون لما بقي فقير مسلم، ولنفرض أنّ عدد المسلمين مليار، فلو تصدّق كلّ مسلم دينار في الشّهر لأصبح مبلغ الصدقات مليار دينار في الشّهر، وبهذا المبلغ لا يبقى فقير في

بلدان المسلمين، فوجود الفقراء دليل على أنّ المسلمين لم يقوموا بتكليفهم تجاه الفقراء .

ولا يستطيع أيّ مسلم أن يقول : أنا لن أحاسب؛ لأني لا أعلم بوجود الفقراء في بلدي .

المسلمون مقصرون في أداء تكليفهم تجاه الفقراء، ولا يحقّ لأحد أن يقول بأنّ المؤسّسات الدنيّة فقط هي المسؤولة عن الفقراء، فانت كإنسان مسلم تعرف بوجود الفقراء في بلدك، فعليك أن تقوم بتكليفك تجاههم، وليس لك شأن بأنّ الآخرين يقومون بتكليفهم أو لا يقومون، إنّ السعي في قضاء حوائج الناس من المستحبات المؤكّدة، ويعادل سبعين حجّة .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : " . . . ولئن أعول أهل بيت من المسلمين وأشبع جوعتهم وأكسو عريهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّةً وحجّةً وحجّةً وحجّةً" حتّى انتهى إلى عشرة، "ومثلها ومثلها" حتّى انتهى إلى سبعين (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجّةٍ وحجّةٍ وحجّةٍ وحجّةٍ" حتّى عدّ عشر حجج (٢) .

مؤمن يحرص على الدّهّاب إلى الحجّ والعمرة، ولكنّه لا يحرص على العمل الذي يعادل سبعين حجّة؛ لأنّ في أذهان المؤمنين بعض

(١) بحار الأنوار ج ٩٦ ص ٥ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٩٦ ص ٣ ح ١ .

الأفكار، وهذه الأفكار تحركهم، وهم لا يلتفتون إلى تقييم الأعمال من خلال الآيات والروايات، والذين يبيّن تقييم الأعمال، فيقول إنّ هذا العمل يوازي كذا من ذلك العمل، مثلاً الصلّاة في المسجد أو في المسجد الحرام تعادل كذا من الصلّوات .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "الصلّاة في الحرمين تعدل ألف صلاة" (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة ألف صلاة" (٢) .

عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال لأبي حمزة الثمالي : "المساجد الأربعة : المسجد الحرام ومسجد الرّسول صلّى الله عليه وآله ومسجد بيت المقدس ومسجد الكوفة، يا أبا حمزة، الفريضة فيها تعدل حجة، والنافلة تعدل عمرة" (٣) .

عن الإمام عليّ الرضا عليه السّلام : "إنّ الصلّاة في المسجد الحرام أفضل من الصلّاة في غيره ستين سنة وأشهر" (٤) .

عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السّلام : ما يروي الناس أنّ الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرّجل وحده بخمس وعشرين .

(١) بحار الأنوار ج ٩٦ ص ٢٤٠ ح ٣ .

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ١ ص ١٦٧ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣ .

(٤) بحار الأنوار ج ٩٦ ص ٢٤٠ ح ٤ .

فقال عليه السلام : "صدقوا" . . . (١) .

المؤمنون يحضرون إلى الصلّاة في ظهر يوم الجمعة ويملاؤون المساجد، ولكن لماذا لا يحرصون على الصلّاة في المسجد في باقي الأيام ؟
المحرّك الذي يحرك المؤمن إلى الصلّاة في المسجد ظهر الجمعة هذا المحرك لماذا لا يوجد في باقي الأيام بالطبع مع عدم وجود العذر ؟
وتكون الصلّاة في المسجد في يوم الجمعة مثل العادة، فيذهب إلى المسجد بسبب وجود عادة عنده، ولكنه لم يعتد على الذهاب إلى المسجد في باقي الأيام مع أنّه يصلّي في البيت ويمكنه الوصول إلى المسجد في دقائق معدودة .

هو لا يلتفت إلى النية التي تحركه يوم الجمعة، ومن المفروض أنّ هذه النية تحركه أيضاً في باقي الأيام، والنتيـتان غير مفصولتين عن بعضهما البعض، فلا توجد نية في يوم الجمعة، ونية أخرى في باقي الأيام، فلا بدّ من أن توجد عنده نية واحدة، والصلّاة في المسجد جماعةً مستحبة في جميع الأيام لا في يوم الجمعة فقط .

والمؤمنون لا يلتفتون إلى تقييم الأعمال من خلال الدّين، وتقييم الأعمال ليس تقييمًا شخصيًا مزاجيًا، فالدّين يعطي كلّ شيء حكمًا معيّنًا، ولكنّ المؤمنين لا يلتفتون بسبب قلّة اطلاعهم على أحكام الدّين، والمقصود من أحكام الدّين الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة، والفقهاء يتكوّنون من الفقهاء العقائديّ والفقهاء

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٧١ ح ١ .

الأخلاقيّ والفقهِ العمليّ، والمؤمنون بشكل عامّ ينظرون إلى العمل الخارجيّ فقط، ولا ينظرون إلى العمل القلبيّ الباطنيّ، والنّيّة مرتبطة بباطن الإنسان وقلبه، نعم النّيّة لها ثمار خارجيّة، وإذا قام الإنسان بعمل معيّن فإذا كانت النّيّة موجودةً فالمفروض أنّ نفس هذه النّيّة تعطي الإنسان عملاً باطنيّاً يسير مع العمل الخارجيّ، والناس يطبّقون النّيّة على العمل الخارجيّ، ولا يطبّقونها على العمل الباطنيّ القلبيّ .

إذن :

المفروض على المؤمن أوّلاً أن لا يكون غافلاً عن وجود الإمام المهديّ عليه السّلام، وثانيّاً إذا كان ملتفتاً فلا بدّ من أن يعرف المسؤوليّات والتكاليف الملقاة على عاتقه، وثالثاً إذا كان يعرف التكاليف فعليه أن يعمل بهذه التكاليف، والتكاليف هي التي تحرك المؤمن في زمان الغيبة الكبرى .

العامل الرّابع : عدم الإحساس بالمسؤوليّة :

المؤمن إذا كان يعرف تكاليفه فلا بدّ من أن يشعر بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقه كمؤمن يعيش في عصر الغيبة الكبرى، والمسؤوليّة لا تقع على عالم الدّين فقط، بل تقع على كلّ مؤمن، والمطلوب من كلّ مؤمن أن يكون إنساناً متديّناً، وذلك بأن يأخذ الأحكام من الدّين، وأن يتولّد عنده شعور بالمسؤوليّة، وهذا الشّعور بحسب الاستقراء ليس موجوداً عند المؤمنين بالمقدار المطلوب، فالمطلوب من كلّ مؤمن أن يشعر بهذه المسؤوليّة، ويعرف بوجود المسؤوليّة عليه، ولا بدّ من أن

يعرف المؤمن أنّ المطلوب منه في عصر الغيبة الكبرى مجموعة من التكاليف، وفي المحاضرات السابقة ذكرنا بعض التكاليف، وسنذكر تكاليف أخرى في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

العامل الخامس : عدم العلم بالتكليف الاجتماعي :

هل المؤمنون الآن عندهم العلم الكافي بالتكاليف الملقاة على أعتاقهم ؟

تارةً يوجد عمل فرديّ، وتارةً أخرى يوجد عمل اجتماعيّ، والموجود الآن في أذهان المؤمنين بشكل عامّ أنّ المطلوب هو العمل الفرديّ فقط كالصلاة والصيام والحجّ وغيرها .

سؤال : هل تكليف المؤمن في كلّ زمان - وخاصةً في زمان الغيبة الكبرى - هو العمل الفرديّ دون العمل الاجتماعيّ ؟
الجواب :

لا، ففي كلّ زمان المطلوب من كلّ مؤمن العمل الفرديّ والعمل الاجتماعيّ، والقرآن الكريم يركّز عليهما معاً .

"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" (١) .

"تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" (٢) .

(١) البقرة : ٢-٣ .

(٢) لقمان : ٢-٤ .

"وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ" (١) .

إقامة الصلّاة مصداق للعمل الفرديّ، والإنفاق وإيتاء الزّكاة والصّدقات مصاديق للعمل الاجتماعيّ، ولا يوجد فصل بين العمل الفرديّ والعمل الاجتماعيّ، فالمؤمن ينطلق من الأعمال الفرديّة؛ لأجل الوصول إلى الأعمال الاجتماعيّة، والزّكاة مصداق للاقتصاد الإسلاميّ في محاولة القضاء على الفقر في المجتمعات الإسلاميّة بل في المجتمعات العالميّة، فالزّكاة حلّ إسلاميّ للقضاء على الفقر في العالم .

سؤال : لماذا يخرج المؤمن خمس أمواله ؟

الجواب :

لا يكون النّظر إلى الخمس كعمل فرديّ فقط، وإنّما هذه الأموال تساهم في حلّ مشاكل اجتماعيّة للمؤمنين، فلا يوجد فصل بين العمل الفرديّ والعمل الاجتماعيّ، والذين لا يفرّق بين العملين، وفي القرآن الكريم والروايات الشريفة التّركيز على كلا الأمرين .

مثلاً السّعي في قضاء حوائج المؤمنين يعادل سبعين حجّة، والحجّ عمل فرديّ، فالمسلم حينما يذهب إلى الحجّ فإنّه يقوم بعمل فرديّ وإن كان يطوف حول الكعبة مع الجماعة، ولكن حينما يسعى في قضاء الحوائج فكأنّ المقياس هو أنّ العمل الاجتماعيّ يساوي عشرات من العمل الفرديّ، وقد يصل إلى المئات والآلاف، وتقييم

(١) المنافقون : ١٠ .

الأعمال لا بدّ من أن نأخذها من الآيات والروايات، لا أنّ التّركيز يكون على العمل الفرديّ فقط .

مؤمن يريد أن يذهب إلى الحجّ المستحبّ وعنده أموال، ويعلم بوجود عوائل فقيرة، ولا يوجد حلّ لمشاكلهم إلّا عن طريقه، ولا يوجد طريق آخر للحلّ، فأيهما يقدم ؟

حسب نظرة النّاس المقدم هو الذهاب إلى الحجّ المستحبّ، مع أنّ قضاء حوائج المؤمنين بحسب الرواية يساوي سبعين حجّة مستحبة، ويعلم بأنّ مبلغ السّفر يساهم في حلّ مشاكل هؤلاء المؤمنين، فيتعيّن عليه أن يعطي المبلغ لهذه العوائل، والله عزّ وجلّ يعطيه ثواب سبعين حجّة بدل ثواب حجّة واحدة .

النّظرة الدّينيّة في تقييم الأعمال تختلف عن نظرة النّاس، وهذا التّقييم نأخذه من الدّين، لذلك نحتاج إلى الاطّلاع على أحكام الدّين، والاطّلاع اليوم ليس بالمقدار الكافي بحيث إنّ جميع المؤمنين يعرفون تكاليفهم الفرديّة وتكاليفهم الاجتماعيّة، وليس المطلوب من الإنسان منذ أن يستيقظ من النّوم وإلى أن ينام أن يعيش الفرديّة والأنايّة طوال حياته، فيكون نظره إلى بيته وزوجته وأولاده فقط، ولا شأن له بأحد من المؤمنين، ويأتي يوم الجمعة في المسجد ويضع في صندوق الصّدقات دينارًا واحدًا، والبعض يقتصر على ربع دينار، ويظنّ بأنّه قد أسقط تكليفه تجاه المؤمنين، والتّكليف لا يسقط عن المؤمنين إلّا إذا تمّ حلّ جميع مشاكل الفقراء في البلد، وكذلك هو

تكليف الآخرين في البلدان الأخرى، ولو أنّ كلّ مسلم غنيّ في العالم تصدّق لما بقي فقير في بلدان المسلمين .

كم مسلم يلتزم بأن يتصدّق شهرياً بنسبة من معاشه الشهريّ ؟
وكثير من المسلمين عندهم شركات تدرّ أرباحاً كثيرةً خلال السنة،
وقد تصل إلى بضعة ملايين من الدنانير، فكم المبلغ الذي يتصدّقون
به سنويّاً ؟ وكم المبلغ الذي يجعلونه في خدمة الدّين ؟
وهذا السّؤال يجيب عليه أصحاب الشّركات لأنفسهم، وكلّ
شخص يسأل نفسه هذا السّؤال ويجيب عليه ليعرف نفسه .

وكما أنّ المؤمن يهتم بالعمل الفرديّ عليه أيضاً أن يهتمّ بالمؤمنين،
وهذا جزء من تكاليف الإنسان المؤمن في كلّ زمان، وخاصّة في زمان
الغيبة الكبرى، فلا بدّ من أن يكون عندنا اهتمام بهذين الجانبين
الفرديّ والاجتماعيّ .

إذن :

من عوامل تأخّر ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام عدم وجود
العلم الكافي عند المؤمنين بتكاليفهم التي يريدونها إمامهم منهم، فيظنّ
المؤمن بأنّ تكليفه الشّرعيّ يكون على المستوى الفرديّ فقط، ولا
يتعدّاه إلى المستوى الاجتماعيّ، مع أنّ القرآن الكريم والروايات الشريفة
قد تمّ التّركيز فيهما على الجانبين الفرديّ والاجتماعيّ، ولكن قليل من
المؤمنين يتحرّكون في العمل الاجتماعيّ، وقليل منهم يشاركون،
والأكثر متفرّجون أو غير مباليين .

العامل السادس : التّركيز على الأعمال العبّاديّة الخاصّة :

الفكرة الموجودة عند المؤمنين بشكل عامّ هي التّركيز على الأعمال العبّاديّة الخاصّة كالصّلاة والصّيام والحجّ، ويظنّون بأنّها تكفي وأنّها هي المطلوبة منهم، ولا يوجد أكثر من هذا، وإذا أردنا أن ندرس الرّسالة العمليّة فإنّنا نبدأ من التّقليد إلى الطّهارة والصّلاة والصّيام والحجّ، والنّظر يكون إلى الأعمال العبّاديّة المخصوصة فقط، ولا نجد كتاباً يتحدّث عن القضايا الاجتماعيّة المطلوبة من المؤمنين، نعم المسائل الشرعيّة عن القضايا الاجتماعيّة متفرّقة في أبواب الفقه العمليّ، ولكن لا توجد كتب مختصّة بالقضايا الاجتماعيّة المعاصرة وأحكامها إلّا القليل النّادر .

من يريد أن يتصدّى اجتماعيّاً ما هي الأحكام العمليّة التي يحتاجها في تحركه الاجتماعيّ ؟

بالإضافة إلى الأحكام العمليّة ما هي الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة المرتبطة بالعمل الاجتماعيّ ؟

ولا نجد كتباً بهذه العناوين في المكتبة الإسلاميّة إلّا النادر، ونحتاج إلى ربط الأحكام العمليّة بالعقائد والأخلاق، وهذا الرّبط غير موجود، وحتىّ حينما يستفتي المؤمن يأتي الجواب بناءً على الفقه العمليّ فقط، يجوز أو لا يجوز، ولا يجاب على السّؤال بالنّظرة الشموليّة للدّين، ولا يتمّ التّعريض لتأثير العمل على قلب الإنسان، والرّسالة العمليّة لا تبين تأثير العمل الخارجيّ على القلب إلّا بمقدار ما

يرتبط ببطلان العمل كالرياء، فمن يصلى رياءً تبطل صلاته، فالحكم العملي هنا مرتبط بالحكم الأخلاقي؛ لأنّ الرّياء يؤدّي إلى بطلان العمل، ولكن خلف كلّ حكم فقهي عمليّ توجد أحكام عقائديّة وأحكام أخلاقيّة، وهذه الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة لا بدّ من أن تكون واضحةً عند المكلف؛ لأجل أن يتحرّك في جميع أعماله بالنظرة الشموليّة للدين، والنظرة الشموليّة غير موجودة الآن، فالمؤمنون حينما يقرؤون الرّسالة العمليّة يعرفون الحكم العمليّ، ولكنهم لا يعرفون الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة المرتبطة بهذا الحكم العمليّ .

والمؤمن الذي يريد أن يصبح من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام لا يتحرّك على أساس الفقه العمليّ فقط، والفقه العمليّ هدفه أن يحرك الإنسان باطنيّاً، والحركة الباطنيّة مرتبطة بالفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ .

والمؤمن يريد أن يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بعمله، فيحتاج إلى معرفة الله تعالى، فعليه أن يعرف التّوحيد، ويأخذ الحكم من النّبّيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام، فلا بدّ من أن يعرف النّبوة والإمامة، والعمل في الدّنيا له انعكاسات أخرويّة، ويريد المؤمن أن يكون من الفائزين في يوم القيامة، وهذا هو المعاد، وهذه أمور عقائديّة من أصول الدّين، وليس المطلوب أن يعرف العناوين فقط، فيقول إن أصول الدّين خمسة : التّوحيد والعدل والنّبوة والإمامة والمعاد، وإنّ

فروع الدّين عشرة، فيحفظ العناوين فقط، ولا بدّ من أن يعرف المؤمن الارتباط بين أصول الدّين وفروعه، وبينهما يأتي علم الأخلاق وهو علم الباطن والقلب، فهو يريد أن يتكامل باطنياً وقلبيّاً، والتّكامل مرتبط بالجانب الأخلاقيّ، والحساب في البرزخ والقيامة مترتب على عقائد الإنسان وأعماله الباطنيّة القلبيّة وأعماله الخارجيّة، لا على الأعمال الخارجيّة فقط، ولا بدّ من أن تكون جميع الأحكام الدّينيّة وارتباطاتها واضحةً عنده، وإذا لم تكن الأحكام واضحةً عنده فمن المستحيل أن يصل إلى مرتبة الأنصار، فإذا كان يأتي بالعمل الخارجيّ فقط ولا يكون ملتفتاً إلى باطنه فلا يمكنه أن يصل إلى تلك المرتبة، فإذا كان يصلّي وذهنه من بداية الصّلاة إلى نهايتها مشغول بالأموال الدّنيويّة فلا يحصل على فوائد الصّلاة، ويكون فكره كطائر الخيال ينتقل من غصن إلى غصن ويتحرّك من مكان إلى آخر، والأمور التي يكون قد نساها يتذكّرها أثناء الصّلاة، وأوّل ما يبدأ بالأذان يقول "الله أكبر"، فالله أكبر من كلّ شيء، أكبر من كلّ تفكير وصورة ذهنيّة، وإذا كان "الله أكبر" فالمؤمن لا بدّ من أن يلتفت إلى الله فقط و فقط، وإذا جعل فكره أثناء الصّلاة في أيّ شيء فهذا الشّيء يكون أكبر، ضَع شيئاً كبيراً وإلى جنبه شيئاً صغيراً فإنّك تلتفت إلى الكبير ولا تعطي قيمةً للصّغير، ولكن إذا التفت إلى الصّغير وتركت النّظر إلى الكبير فقلبك ينشغل بالصّغير ويغفل عن الكبير .

هل "الله أكبر" موجود في حياتنا ؟

إذا كنّا نبي حياتنا على "الله أكبر" فالمفروض أنّ كلّ تحرّكنا يكون على أساس ما يريد الله تعالى .

فهل جميع حرّكاتنا الآن على أساس "الله أكبر" أو أنّ الأمور الدنيويّة ورغباتنا أكبر ؟

قد يجد الإنسان أنّ أكثر الأمور الدنيويّة تصبّ في اتجاه ما يرغب لا باتجاه ما يريد الله تعالى، فيريد الدّنيا لأجل الدّنيا لا لأجل الآخرة، ولا يأخذ بقاعدة "الدّنيا مزرعة الآخرة"، وعلى المؤمن أن يلتفت إلى أنّ كلّ عمل وكلّ رغبة لها تأثير عقائديّ وتأثير قلبيّ، والآن يأتي الإنسان بالعمل الخارجيّ ويكتفي، ويقول : الحمد لله، لقد صلّيت وصمت وذهبت إلى الحجّ .

ويأتي بالأعمال العباديّة ويبقى على وضعه القلبيّ الباطنيّ، فالمرأة السّافرة التي تذهب إلى الحجّ تتحجّب هناك بالحجاب الشرعيّ، ولكن حينما ترجع من الحجّ تنزع الحجاب بعد انتهاء الأعمال وترجع إلى سفورها ومكياجها، والرّجل الذي بناته سافرات يذهب إلى الحجّ ويرجع وتبقى بناته على السّفور وهو راضٍ عن وضعهنّ، بل هو الذي ربّاهن على ذلك، وقد يكون من المعترضين على لبس الحجاب .

ونسأل : ماذا كان تأثير الحجّ عليكما ؟ ما الذي تغيّر في باطنكما وحياتكما ؟

والله تعالى يريد من المسلم الحجّ كواجب، ويريد أيضًا حجاب المرأة كواجب، ولا يريد الله عزّ وجلّ الفصل بين الواجبات الشرعيّة، وهما

ينظران إلى واجبات الدين على أساس النظرة التجزيئية لا النظرة الشمولية، فيأتي الشخص بواجب ويترك واجباً آخر، ويفصل بين الواجبات العملية في الدين .

والدين يجب أن يؤخذ بجميع أجزائه حتى يكون الشخص ملتزماً بالدين، والإنسان المتدين هو الذي يأخذ بجميع أجزاء الدين، ويلتزم بجميع الأحكام العقائدية والأخلاقية والعملية، وإذا لم يأخذ بجزء واحد فلا يُعتَبَرُ متديناً، والمرأة لا تطبق واجباً من الواجبات الشرعية مع أنها تأتي بالصلاة كواجب شرعي، وتترك الحجاب الشرعي مع أنه واجب أيضاً، وبالنسبة للرجل هو يصلي، ولكنه لا يطبق حكم الحجاب الواجب على بناته، فيقول بأن بنتي لا بد من أن تقتنع بالحجاب حتى تتحجب، ولكنه لا يقول بأن بنتي لا بد من أن تقتنع بالصلاة حتى تصلي، فنراه يأمرها بالصلاة، ولكن لا يأمرها بالحجاب، مع أن كليهما من الأحكام الدينية، والدين يقول بأن وجوب الصلاة ووجوب الحجاب حكمان شرعيان .

وبعض المسلمين لا يقبلون بحكم معين، ويقولون بأن هذا الحكم خاصّ بزمان النبي صلى الله عليه وآله، كالحجاب، مع أنه لا يوجد عندهم دليل شرعي بأن هذا الحكم خاصّ، وإذا ثبت بأن الحكم غير مقيّد بزمان فهو مطلق عامّ يشمل كلّ زمان، ونرى كثرة الآراء الشخصية عند كثير من المسلمين في مقابل أحكام الدين، ومن يريد أن يكون متديناً يجب عليه أن يلتزم بجميع أحكام الدين .

النتيجة :

توجد عوامل تؤدي إلى تأخر ظهور الإمام عليه السلام، منها وجود تقصير من المؤمنين على نحو المجموع، نعم بعض أفراد المؤمنين ملتزمون ولا يوجد تقصير منهم، ولكن تمهيد الأرضية للظهور يحتاج إلى التزام جميع المؤمنين بالدين، فجميعهم يساهمون في التمهيد، وما دام أنّ الإمام عليه السلام لم يظهر فمعنى ذلك أنّ المؤمنين مقصرون، ويستمرّ التّقصير إذا لم يلتفت المؤمنون إلى مسؤولياتهم وتكاليفهم في عصر الغيبة الكبرى .

وأولاً لا بدّ من أن يعرف المؤمنون تكاليفهم، وإذا لم يعرفوا هذه التكاليف فحياتهم تسير كما هي الآن على روتين يوميّ، والأفراد نسخة من الكربون سنةً بعد أخرى، والأمور لا تتطوّر، فأمر المؤمنين بشكل عامّ أمور ثابتة، وقد يحصل التسافل في أمورهم بدل أن تتكامل، وإذا لم يلتفتوا إلى تكاليفهم فمعنى ذلك أنّهم لن يقوموا بمسؤولياتهم في عصر الغيبة الكبرى، وإذا لم يعرفوا تكاليفهم أو عرفوا ولم يقوموا بها فإنّ الإمام عليه السلام يستمرّ في غيبته إلى ما شاء الله تعالى، فالإمام عليه السلام ينتظرنا، والمؤمنون لا بدّ من أن يتحرّكوا؛ لكي يمهّدوا الأرضية لظهوره، ويكونون متهيّئين لنشر العدل في العالم، والعمل ليس هيئناً سهلاً، فإذا كان الإنسان يقوم بعمل عالميّ فإنّه يحتاج إلى جهد عالميّ، وإذا لم يلتفت المؤمنون إلى أنّ جميع الجهود لا بدّ من أن تصبّ في الرّسالة العالمية فإنّ أوضاعهم تظلّ كما هي، ومن

الممكن أنّ الإمام عليه السّلام يظهر، ولكنّ بعض المؤمنين لم يقوموا بالعمل المطلوب منهم، ولم يساهموا في الظهور، فإذا ظهر الإمام عليه السّلام يرى أنّ ذاك المؤمن صار من الأنصار، ولكنّه لم يصبح من الأنصار، نعم ظهر الإمام عليه السّلام، ولكن ليس بجهوده، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يحرص على أن يكون من الأنصار، ويساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، نعم ظهر الإمام عليه السّلام، ولكن أنت ماذا فعلت ؟ وماذا قدّمت ؟

المؤمنون ساهموا في ظهور الإمام عليه السّلام، ولكن هذا المؤمن لم يساهم، وانتشر العدل العالميّ، ولكنّه لم يساهم مع المساهمين في نشر العدل، فلا بدّ من أن يلتفت كلّ مؤمن إلى المسؤوليّات والتكاليف ويعرفها حتّى يمكنه أن يطبّقها على نفسه، ويساهم في ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام .

وسنأتي إلى ذكر باقي العوامل التي تؤخّر ظهور الإمام عليه السّلام في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٣)

تابع عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في الرواية عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . قد سبقه ظهور المهديّ على الأفواه برجال علم يعلمون الناس ما لم يعلموا، يظهرون حُبَّ العلامات لمن جهلوا، يقيم الله بهم الحجّة على من قرأوا، . . . " ^(٢) .

في عصر الغيبة الكبرى هناك علماء يعلمون الناس المخفيّ من العلامات التي تدلّ على ظهور الإمام عليه السلام، ويتكلمون في هذه المواضيع حتى يبينوا للناس ما هو المطلوب منهم، ونسأل الله

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة بيان، الجمعة ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ ، ٦/٤/٢٠١٢ م .

(٢) ماذا قال عليّ عليه السلام عن آخر الزمان - الجفر الأعظم للسيد عليّ عاشور ص ٦ . الحُبَّ : المخبوء والمخفيّ .

تعالى أن يجعلنا من هؤلاء الذين يعلمون الناس دينهم، ويبيّنون لهم علامات الظهور، والتكاليف التي تجب عليهم في عصر الغيبة .

إنّ قضية الإمام المهديّ عليه السّلام محور أساسيّ من محاور حياة الإنسان المؤمن، وحياة المؤمن تدور حول هذا المحور، والآن الشرط الناقص للظهور هو وجود الأنصار بالكمّ والكيف المطلوبين، ودور المؤمنين أن يتهيّأوا لظهور الإمام عليه السّلام عن طريق توفير العدد الكافي من الأنصار، وبواسطة هؤلاء الأنصار سينتشر العدل في العالم، وهناك عوامل لو لم نلتفت إليها فمن الممكن أنّ هؤلاء الأنصار لا يتوفّرون، فتكليف من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة أن يساهموا في توفير الأنصار بالكمّ والكيف، فتوجد كمّيّة أي عدد معيّن للأنصار، وتوجد كميّة أي يكونون بصفات معيّنة، والعدد المذكور في الروايات، ولكن لا بدّ من وجود صفات خاصّة فيهم، فمن يريد أن يكون من الأنصار لا نتوقّع أن يكون فيه صفات عاديّة كما هو المؤمن العاديّ، بل لا بدّ من أن تكون فيه صفات من الدّرجة الأولى؛ فهم سيساهمون في نشر العدل في العالم، فمواصفات الأنصار مواصفات خاصّة .

وكان الكلام عن أنّ المؤمنين بشكل عامّ لا توجد عندهم الهمة الكافية لتوفير أنصار الإمام عليه السّلام، والاستقراء يدلّ على ذلك .

كم من المؤمنين يتحرّكون تحرّكًا اجتماعيًا ؟

ولأجل الحصول على صفات هؤلاء الأنصار لا بدّ من أن يكون عند المؤمن الاهتمام الكافي بالدين، ومن علامات الاهتمام بالدين

طلب العلم؛ لأجل أن يصبح عالماً بأحكام الدين، وليس بالضرورة أن يكون معممًا، فمن الأنصار من يكون صاحب بقالة، يكون متدينًا صالحًا، وعنده العلم الكافي الذي على أساسه يتحرك، فمن يريد أن يصبح من الأنصار لا بد من أن يكون من طلاب العلم أولًا، وثانيًا أن يطبق ما يكسبه من العلم على نفسه، ومن يريد أن ينشر العدل لا بد من أن يكون عادلاً، ومن غير المعقول أن الإنسان غير العادل يساهم في نشر العدل في العالم، فهناك عوامل لو لم تتوفر فمن الصعب أن يصل المؤمنون إلى الكمية المطلوبة من الأنصار مع الكيفية المطلوبة، وطرحنا في المحاضرة السابقة بعض العوامل التي تؤدي إلى تأخير ظهور الإمام عليه السلام، وأذكر ما طرحناه ثم أكمل الموضوع في هذه المحاضرة .

كان العامل الأول هو الغفلة عن وجود الإمام المهدي عليه السلام، والعامل الثاني هو التغافل عن المسؤوليات تجاه الإمام عليه السلام، والعامل الثالث هو عدم العمل بالتكاليف، والعامل الرابع هو عدم الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كمؤمن يعيش في عصر الغيبة، والعامل الخامس هو عدم العلم الكافي بالتكاليف في عصر الغيبة، والعامل السادس هو الاكتفاء بالأعمال العبادية الخاصة، وعدم الإتيان بالتكاليف الاجتماعية، وفي الدين توجد تكاليف على المؤمن على المستوى الفردي، وتكاليف على المستوى الاجتماعي، وهذان النوعان من التكاليف لا ينفصلان عن بعضهما البعض، فالمسلم

يصلّي، وهذا تكليف عباديّ فرديّ، ولكنّه من ناحية اجتماعيّة قد لا يؤدّي تكليفه، والآية الكريمة تقول : " . . . وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" (١) .

والإنفاق على المحتاجين تكليف عباديّ اجتماعيّ، والإنفاق جانب من الجوانب الاجتماعيّة عند المؤمن، لا أنّه يقيم الصّلاة فقط، والقرآن الكريم يذكر العمل الفرديّ والعمل الاجتماعيّ معاً، والإنفاق مصداق من مصاديق العمل العباديّ الاجتماعيّ، ومن يصلّي لا بدّ من أن يهتمّ بأمر المجتمع، ومن يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يأتي بالأعمال العباديّة الفرديّة، ويأتي أيضاً بالأعمال العباديّة الاجتماعيّة المطلوبة منه، وتكون عنده اهتمامات اجتماعيّة، لذلك يرغب في أن يساهم في نشر العدل في العالم، وأمّا إذا كان يصلّي ويظلّ على الأعمال الفرديّة فقط، ولا يهتمّ ما يحدث في المجتمع من أمور، وأمور المجتمع لا تكون تحت نظره، ومن يريد أن يصبح من الأنصار عنده الجانب الفرديّ، ويكون في النواحي العباديّة الفرديّة من الدّرجة الأولى، وكذلك يكون في النواحي العباديّة الاجتماعيّة من الدّرجة الأولى، وتكون جميع حياته عبادة في عبادة، ولا تنفصل عنده العبادة الاجتماعيّة عن العبادة الفرديّة، فعنده اهتمام بأوضاع جميع النّاس في كلّ العالم، والظلم الذي يقع - حتى على الكافر - يهتمّ به؛ لأنّه يريد أن يرفع الظلم عن جميع النّاس من اليهوديّ والمسيحيّ

(١) البقرة : ٣ .

والبوذيّ وحتىّ الملحد، ومهمّة الإمام عليه السّلام نشر العدل في العالم لكلّ الأمم لا فقط أنّه يرفع الظلم وينشر العدل بين المؤمنين الذين يعتقدون به، فدور الإمام عليه السّلام نشر العدل في جميع أرجاء العالم، فلا يبقى أيّ مظلوم في العالم، وهذه مهمّة عظيمة، والعلامة على ذلك أنّ الإنسان يكون مهتمّاً بأمر الناس .

وكثير من الأفراد يظنون بأنّ الأحكام العباديّة العمليّة فقط هي محور حياة المؤمن، فيصليّ ويصوم ويحجّ، وكأنّ هذا فقط هو الدّين، وأنّه لا يوجد أكثر من هذا، فيكون النّظر فقط إلى الأحكام العمليّة العباديّة الفرديّة من الدّين، فيلتزم بالرسالة العمليّة فقط، وكثير من المؤمنين هذا اهتمامهم فقط، فيطبّق الجانب العمليّ من الدّين، لذلك تراه يذهب إلى الحجّ في كلّ سنة، ويعتقد أنّ الدّين هو العمل الخارجيّ فقط، ولا يوجد عنده تصوّر بأنّ المطلوب من المؤمن أكثر من العمل الخارجيّ، وذكرنا بأنّ قليلاً من المؤمنين يتحرّكون اجتماعيّاً، والعدد محدود جدّاً، والمشاركون قليلون جدّاً، وأكثر الناس متفرّجون، وهم الأغليبيّة الصّامّة، فأكثر الناس لا يوجد عندهم اهتمامات، ولو حسبنا الدّورات الشّبائيّة في بلدنا لرأينا أنّ الكوادر التي تدير العمل عددهم محدود، والمشاركون من الطّلبة عددهم قليل نسبةً إلى عدد أفراد الشّباب في المجتمع ، والآباء بشكل عامّ لا يوجد عندهم اهتمام بأولادهم، والأمّهات هنّ اللّاتي يحرصن على مشاركة أولادهنّ في الدّورات الشّبائيّة، وهنّ اللّاتي يسجلن أولادهنّ في الدّورات، ويقيمّن

بتوصيلهم وإرجاعهم إلى البيت، والآباء سلبيون إلا القليل النادر، فالكوادر قليلون، والمشاركون قليلون، وأكثر المؤمنين لا يوجد عندهم التّحرّك الاجتماعي المطلوب، والتّحرّك الاجتماعي علامة على اهتمام المؤمن بأمور المجتمع، وأنّه يريد نشر العدل في العالم .

نأتي الآن إلى بقيّة عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام .

العامل السّابع : الاكتفاء بالأحكام الفقهيّة العمليّة :

يوجد عند المؤمنين اهتمام بالرسالة العمليّة، وهذا أمر جيّد، ولكن يظنّون بأنّ الفقه العمليّ هو المطلوب فقط، ولا يهتمّون بالفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ، وأغلب الأسئلة التي توجّه للعلماء هي عن مسائل الفقه العمليّ، عن التّجاسة والطّهارة والوضوء والصّلاة والصّيام والحجّ، وقليل جدًّا من الأسئلة تكون عن المسائل العقائديّة والمسائل الأخلاقيّة، ولا يطلّعون على الأحكام الشرعيّة العقائديّة والأحكام الشرعيّة الأخلاقيّة، والدّين ليس منحصراً في فقه الرسالة العمليّة، ففي الدّرجة الأولى الفقه العقائديّ لا بدّ من أن يكون عند الإنسان المؤمن، والفقه الأخلاقيّ ثانيّاً، والفقه العمليّ ثالثاً، وإذا أراد المؤمن أن يكون من الأنصار فلا بدّ من أن تكون جوانب الدّين واضحةً عنده، ويعرف العلاقة بين الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ والجانب العمليّ، وفي عدّة محاضرات سابقة تكلمنا عن العلاقة بين الجوانب الثلاثة من الدّين، ولكن أغلب المؤمنين اهتمامهم بالفقه العمليّ فقط، ويطالبون بتدريس الرسالة العمليّة، ولكنهم لا

يهتمون بدراسة العقائد والأخلاق، والآن ضع الرسالة العمليّة وإلى جنبها كتاب عقائديّ وكتاب أخلاقيّ، ستجد أنّ المؤمنين بشكل عامّ يأخذون الرسالة العمليّة فقط، ولا يأخذون الكتاب العقائديّ والكتاب الأخلاقيّ، وتجد إقبال المؤمنين على الرسالة العمليّة فقط، ولكن لا يهتمّون بالجوانب العقائديّة والجوانب الأخلاقيّة، والرسائل العمليّة تتوزّع بالآلاف النسخ، ولكنّ الكتب العقائديّة والأخلاقيّة بال عشرات، والمؤمن لا بدّ من أن يلتفت إلى الجانب العقائديّ أوّلاً، ولا بدّ من أن يضبط العقائد؛ لأنّ حركة المؤمن تبدأ من التوحيد، والرسالة العمليّة مرتبطة بالتوحيد؛ لأنّه في العبادات يقول : "أصليّ قرينةً إلى الله تعالى"، فلا بدّ من أن يعرف الله عزّ وجلّ قبل أن يدخل إلى الفقه العمليّ .

عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قال قوم للصادق عليه السلام : ندعو فلا يستجاب لنا . قال : "لأنّكم تدعون من لا تعرفونه" ^(١) .

الناس عندهم تصوّرات عن الله سبحانه، ولكن هذه التّصوّرات خاطئة، فهم لم يتصوّروا الله بالصّورة التي يريدّها الله تعالى . وإذا أراد الإنسان أن يدعو فلا بدّ من أن يطرق باب الله سبحانه، ولا يطرق أبواباً أخرى؛ لأنّ الأبواب الأخرى لن تفتح له، فلا بدّ من أن يعرف الله حتّى يطرق بابه سبحانه، وباب الله عزّ وجلّ هم رسول

(١) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣٦٨ ح ٤ .

الله صَلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام .

عن ابن نباتة قال : كنت جالسًا عند أمير المؤمنين عليه السلام ف جاء ابن الكوا فقال : يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ : "لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا" (١) ؟ قال عليه السلام : "نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها، ونحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه، فمن بايعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها" (٢) .

إنّ الجانب العقائديّ مهمّ جدًّا بالنسبة للمؤمن، وأنصار الإمام عليه السلام أوّلًا عندهم الجانب العقائديّ مضبوط تمام الانضباط من التوحيد والعدل والنّبوة والإمامة والمعاد، وما يتفرّع عليها من عقائد . ولو سألنا المؤمنين : ما هي العلاقة بينك وبين إمامك عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى ؟

فكم من المؤمنين يمكنهم الإجابة عن هذا السؤال ؟

وإذا كان إمامك عليه السلام غائبًا فكيف تكون علاقتك به ؟ وهذا السؤال يحتاج إلى إجابة دقيقة، والمؤمن على أساس إجابته يتحرّك في علاقته بالإمام عليه السلام .

إنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان يكون على أساس اعتقاداته النظريّة

(١) البقرة : ١٨٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٢٨-٣٢٩ ح ٩ .

والفكرية، فتوجد خلفية عقائدية خلف كل عمل، والمؤمن حينما يتعامل مع الرسالة العملية لا بدّ من أن يعرف الخلفية العقائدية الموجودة خلف الرسالة العملية، والخلفية العقائدية لا بدّ من أن تكون على أساس النظريات الدينية الإسلامية، ولا يخترع من نفسه عقائد، ولا تكون الحركة على أساس نظرياته الشخصية، ولا بدّ من أن تكون الجوانب العقائدية مضبوطةً عند المؤمن؛ لأنّ العمل يُبنى على أساس النظريات العقائدية، وأي عمل يقوم به الإنسان توجد جوانب عقائدية تكون أساسًا للانطلاق للعمل، والجانب العقائديّ الفكريّ لا بدّ من أن يكون بيد المؤمن حينما يريد أن يتحرّك أيّ تحرّك عمليّ، والتحرّك العمليّ يكون مبنياً على الفكر والعلم، وبدون العلم لا يستطيع أيّ إنسان أن يتحرّك أيّ تحرّك صحيح .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

في أيّ حركة يحتاج المؤمن إلى العلم والمعرفة والجانب العقائديّ والفكريّ من الدّين، وهذا الجانب الفكريّ عندما يكون بيد المؤمن فحركته العملية تكون مضبوطةً على أساس الدّين، فالعلم والفكر قبل العمل، وإذا كان الجانب الفكريّ ناقصًا عند المؤمن فإنّه يتحرّك، ولكنّه تارةً يتكامل وتارةً يتسافل، تارةً يصعد ويكون عنده شعور بالكمال وأنّه في قمة الإيمان، وهذا الشّعور وجدائيّ، وفي اليوم التالي

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

يقول : لا أدري ما حصل لي اليوم، فإني لا أشعر بما شعرت به أمس من الكمال .

يشعر بأنّ الجانب الرّوحيّ عنده قد نزل، والمفروض أنّ الإنسان الذي يصعد لا ينزل، ومن يتكامل لا يتسافل، ومن ينزل يكون الجانب الفكريّ غير مضبوط عنده، وحينما صعد وتكامل لا بدّ من أن يعرف كيفيّة المحافظة على المحلّ الذي صعد إليه، فإذا كان الجانب الفكريّ غير مضبوط عنده فإنّه في اليوم التّالي ينزل ويتسافل .
والمثال العرقيّ لذلك هو صعود السّلم، فحينما يصعد خطوةً فإنّه لا ينزل؛ لأنّ الهدف واضح عنده، فهو يعرف إلى أين سيصل، فيصعد باتجاه الهدف .

لذلك أوّلًا لا بدّ من أن يكون الهدف واضحًا عند المؤمن الذي يريد أن يصعد في درجات الكمال، وثانيًا طريق الصّعود إلى الهدف لا بدّ من أن يكون واضحًا، وثالثًا وسائل الحركة على الطّريق لا بدّ من أن تكون واضحة؛ لكي يمكنه الصّعود إلى الهدف، والهدف هو الله سبحانه، فيكون الهدف واضحًا، وطريق الصّعود واضحًا، ووسائل الحركة واضحة، وإذا كانت هذه الأمور الثلاثة واضحةً فإنّه حينما يتكامل ويصعد في درجات الكمال فإنّه لا ينزل ولا يتسافل .

والرّوحية المتذبذبة عند أكثر النّاس تكون بسبب فقد الجانب الفكريّ، والمؤمنون بشكل عامّ لا يوجد عندهم الاهتمام الكافي بالجوانب الفكريّة، والآن القنوات الفضائيّة وغيرها من الوسائل وفّرت

الكثير من المعلومات للإنسان المؤمن، واستقرئ بين المؤمنين الذين تعرفهم وأسألهم : كم فرد منهم يتابع الاستماع إلى العلماء في القنوات الفضائية والمواقع والصفحات على الإنترنت ؟

وستجد أن النسبة قليلة جدًا، وجواب الأكثرية أنهم لا يتابعون العلماء في القنوات الفضائية، وفي زماننا بدل أن تذهب إلى العالم يأتي العالم إليك في بيتك .

وفي فترة الثمانينات حينما كنا نرى إعلانًا لمحاضرة لأحد العلماء في المسجد أو الحسينية كنا نذهب للاستماع إليه، والآن في الفضائيات ترى مئات العلماء، وكلهم يمكنك الاستماع إليهم وأنت جالس في بيتك أمام شاشة التلفاز، والعلماء في الفضائيات والمواقع حجة على المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى، والفرد الذي لا يتابع العلماء يكون عنده جوانب مفقودة من الدين، وحينما يأتي في يوم الحساب لا يستطيع أن يعتذر حيث كان عنده وقت فراغ وفضائية من الفضائيات تعرض هذه المعلومات .

فيقول : أنا جاهل .

فيقال له : أنت في هذا الوقت كنت تتابع فضائيةً تعرض فيلمًا أو مسلسلًا أو تمثيليةً أو برنامجًا غير نافع، وأنت كنت تعلم بأنه يوجد عالم عنده برنامج في فضائية أخرى، وأنت رأيت العالم يتكلم، ولكنك حولت من هذه القناة إلى قناة أخرى .

فكان في معرض إقامة الحجة عليه، وهو ابتعد عن هذه المعلومات

التي كان من المفروض أن يحصل عليها ويعرفها .

ومؤمن يدخل إلى المسجد ويخرج قبل أن يستمع إلى خطبة إمام المسجد، فالحجة تكون قائمةً عليه، ولا يستطيع أن يعتذر فيقول : يا ربّي، أنا جاهل .

فيقال له : أنت جاهل مقصّر لا قاصر، والجاهل المقصّر لا يكون معذورًا، والمعذور هو الجاهل القاصر .

وفي زماننا قامت الحجّة على جميع النَّاس، نعم قبل مائة سنة كان يمكن للمؤمن أن يعتذر بأنّه جاهل قاصر؛ لأنّه لا يوجد عالم في بلده، ولكن هذا العذر لا ينفعه الآن، ويقال له بأنّ العلماء موجودون معك في بيتك، ويمكنك متابعتهم عبر القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت بالصّوت والصّورة، لذلك في زماننا الحاضر لا يوجد جاهل قاصر إلاّ القليل من النَّاس في أماكن معيّنة في العالم حيث لا توجد عندهم الفضائيات ووسائل الاتّصالات الحديثة .

ونرى أنّ مدار أسئلة المؤمنين على الوضوء والصّلاة والصّوم والتّجاسة والطهارة وغيرها من الفقه العمليّ، ولا بدّ من أن يسأل المؤمنون عن مسائل العقائد والأخلاق والجوانب الفكرية في الدّين، والأحكام العمليّة المتعلّقة بالصّلاة والصّيام وغيرها لا بدّ من أن تكون من المسائل البديهية عند المؤمنين، وقد ترى مؤمنًا عمره ستون سنة ولا يعرف كيفية تطهير السّجادة والأرض، والمفروض أنّ هذه المسائل العمليّة درسها منذ أن وصل مرحلة البلوغ، ولا بدّ من أن نصعد إلى

درجات أعلى من العلم والفكر والمعرفة والثقافة، لا أن يظلّ المؤمن إلى آخر عمره في الرّسالة العمليّة فقط، بل لا بدّ من أن يصعد إلى مسائل أكبر وأكبر في مجالات الفكر والمعرفة، فالجانب الفكريّ في الدّين مهمّ جدًّا للإنسان المؤمن، والرّسالة العمليّة لوحدها لا تكفي لحركة المؤمن على درجات الكمال، فالجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ والجانب العمليّ مع الجوانب الفكرية مهمّة جدًّا للمؤمن في حركته باتجاه الله سبحانه .

وإذا كان عنده إتقان لمسائل الفقه العمليّ ففي حركته لا تكفي الرّسالة العمليّة لوحدها؛ لأنّ الرّسالة العمليّة عبارة عن مسائل تتعلّق بالأعمال الخارجيّة، ولكن كفيّة الاستفادة من الصّلاة والعبادات والأعمال لا تتكفّل ببيانها الرّسالة العمليّة، فالأعمال العباديّة عبارة عن وسائل للحركة إلى الله تعالى، وإذا لم يعرف كفيّة الاستفادة من هذه الوسائل فإنّ عمله يكون ناقصًا؛ لأنّه مع حركة الإنسان الخارجيّة توجد حركة باطنيّة قلبيّة تسير مع العمل الخارجيّ، فيوجد عند المؤمن عملاً : عمل خارجيّ وعمل باطنيّ قلبيّ، وإذا لم يعرف كفيّة التّحرك القلبيّ مع التّحرك الخارجيّ فإنّه لا يمكنه أن يستفيد من الأعمال الخارجيّة الاستفادة المطلوبة، نعم هو يصليّ، ولكنّه لا يقيم الصّلاة، فيأتي بالصّلاة كعمل خارجيّ من حركات وأقوال، ولكنّه لا يأتي بالعمل الباطنيّ القلبيّ مع الحركة الخارجيّة، وإذا لم يعرف العمل القلبيّ فإنّه لا يستفيد من الصّلاة والعبادات والأعمال الأخرى، لذلك

تظلّ أوضاع المؤمنين كما هي مع مرور السّنوات، وأوضاع المؤمنين ثابتة تقريبًا، ولا يوجد تكامل في أوضاع المؤمنين بشكل عامّ، نعم يوجد أفراد يتكاملون، فيوجد تكامل للمؤمنين كأفراد، ولكن لا يوجد تكامل للمؤمنين كمجتمع، فأوضاع المؤمنين ثابتة خلال السّنوات، نعم يوجد نتاج قليل، ولكنّ المطلوب التّناج الكثير، وكما يتكامل بعض الأفراد لا بدّ من أن يتكامل المجتمع بمجموع المؤمنين، وتكامل المجتمع ضروريّ؛ لأجل التّمهيد لظهور الإمام عليه السّلام، فالظّهور يحتاج إلى الحركة الفرديّة للمؤمن والحركة الجماعيّة والمجموعيّة والمجتمعيّة للمؤمنين .

لذلك التّفكير فقط بأنّ العمل (يجوز ولا يجوز) بناءً على الفقه العمليّ لا يكفي لأجل التّمهيد للظّهور، وأغلب أسئلة المؤمنين تدور عن (يجوز ولا يجوز)، ولا بدّ من المؤمنين أن يصعدوا إلى التّفكير والسّؤال عن (ينبغي ولا ينبغي)، ويوجد (ينبغي ولا ينبغي) من ناحية علميّة نظريّة، ويوجد (ينبغي ولا ينبغي) من ناحية عمليّة، فلا استحباب والكرهية لا بدّ من أن يكونا تحت نظر المؤمن، ويتحرّك على أساسهما، لا أن تكون الحركة على (يجوز ولا يجوز) فقط، فالمؤمن يبحث دائمًا عن الأفضل، والتحرّك لا بدّ من أن يكون على أساس (ينبغي ولا ينبغي) لا على أساس (يجوز ولا يجوز) فقط .

وترى بأنّ بعض المؤمنين يحفظون نتائج مباريات كأس العالم من سنة صفر، وتساءله عن نتائج مباريات سنة كذا فيقول الفريق الفلانيّ

فاز، وكانت النتيجة كذا، وأمثال هذه المعلومات لا تساهم في حركة المؤمن .

نسال : هل ينبغي أن تكون هذه المعلومات في ذهن المؤمن ؟
نقول بأنه لا داعي لوجود هذه المعلومات في ذهن المؤمن، فهذه المعلومات لا تحرك المؤمن، فهو لا يستفيد من هذه المعلومات لا من ناحية علمية ولا من ناحية عملية، وكثير من المؤمنين يحفظون في أذهانهم معلومات لا يستفيدون منها، ولا تنفعهم لا علمياً ولا عملياً، ومتابعة مباريات كأس العالم لا فائدة منها، وبعض المؤمنين كانوا يتأخرون عن الحضور لمحاضرة الديوانية، فكنت أسألهم عن سبب تأخرهم، فيقولون بأنهم كانوا يتابعون مباراة من مباريات كأس العالم، فهو ضيع المحاضرة لأجل لا شيء، ونقول قارن بين المعلومات التي كنت ستكسبها من المحاضرة مع معرفتك بنتيجة المباراة، فجعل في ذهنه مجموعة من المعلومات التي أخذت حيزاً من الذهن، ولكن لا يوجد لها أثر علمي ولا أثر عملي، والمؤمن يحرص على العلم والعمل، ولا يحرص على العمل فقط، ويكون حريصاً على نوعية المعلومات التي يضعها في ذهنه، هل هي معلومات مفيدة أو غير مفيدة، فيحرص على الحصول على المعلومة التي تساهم في تكامله، نعم هناك معلومات تحتاجها في وظيفتك، فهذه المعلومات لا بد من أن تعرفها، مثلاً المهندس عنده معلومات، ووظيفته تتطلب منه هذه المعلومات، ولا بد من أن يكون مُتَقِنًا في الجانب العلمي والجانب العملي

لوظيفته، ويتابع المعلومات الجديدة في مجال تخصصه، كالمهندس والطبيب .

مثلاً شخص ليس طبّاحاً ولا يدخل المطبخ أبداً تراه يتابع برامج الطبخ في القنوات الفضائية، نعم صاحب المطعم يستفيد من هذه البرامج لأجل أن يطور مطعمه .

وبعض الأشخاص معاشهم الشهري يكفيه ويزيد عن حاجته ويريد أن يدخل في عمل تجاريّ، وما دام أنّ المعاش يكفيه ويدخل في التجارة فإنّه سيشغل جزءاً كبيراً من وقته في عمل إضافي لا يحتاج إليه في حياته، فلا تشغل نفسك بعمل إضافي زائد عن حاجتك، ومثل هذا الشخص يأتي من الدوام الساعة الثالثة بعد الظهر، ويتعدى ثم يخرج إلى محله أو مكتبه التجاريّ، ويظل إلى الساعة الثانية عشر ليلاً في المحلّ .

وأحد الآباء يقول : أنا لا أرى أولادي، أكون صباحاً في الدوام، وعندى شركة أذهب إليها عصرًا، ولطلبات أولادي وضعت لوحة في صالة البيت يكتبون عليها طلباتهم حتى أوفرها لهم في اليوم التالي، وألتقي بزوجتي وقت الغداء فقط، ولا ألتقي بأولادي إلا في يوم الجمعة .

هو يقضي لهم حاجاتهم الماديّة، ولكنّه لا يقضي لزوجته وأولاده حاجاتهم المعنويّة بوجود الزوج والأب معهم، والأولاد مسؤوليّة الأب في التّربية، وإذا انحرف الأولاد مستقبلاً فالأب هو المسؤول، ويكون

محاسبًا أمام الله عز وجل بسبب تقصيره في الاهتمام بزوجه وتربية أولاده، دور الأب ليس توفير الطلّبات الماديّة ككراسة أو قلم فقط، ولكن المهمّ من ناحية روحيّة معنويّة ماذا قدّم لهم ؟

والنّواحي الروحيّة والمعنويّة لا يمكنهم كتابتها على اللّوحة، لا فقط أنّ الأب يوفّر الأمور الماديّة لزوجه وأولاده، فالزّوجة والأولاد ليسوا عبارةً عن أجساد فقط، ولا يحتاجون إلى الطّعام فقط، يحتاج الإنسان إلى طعام للجسد، ولكنّه يحتاج أيضًا إلى طعام للروح، والأب يمكنه توفير طعام الجسد، فالطّعام متوفّر في الجمعيات التّعاونيّة، ولكن طعام الروح من يوفّره للزّوجة والأولاد ؟

والقيومة على الزّوجة والولاية على الأولاد موجودة للأب، فلا بدّ من أن يكون حريصًا في بيته على توفير طعام الروح لزوجه وأولاده، وإذا أدّى الأب تكليفه، ولكن انحرف الأولاد فيما بعد، فهو قد أسقط تكليفه ولا يكون محاسبًا أمام الله عزّ وجلّ، والإنسان لا بدّ من أن يحرص على تربية أولاده؛ لأنّه مسؤول عنهم أمام الله تعالى، وله القيومة داخل بيته، أي أنّ إدارة البيت تكون بيده، فهو مدير البيت، والمدير هو الذي يتّخذ القرارات المناسبة لشؤون الزّوجة والأولاد، لذلك لا بدّ من أن يكون مطلعًا على أوضاع بيته ومتابعًا لها؛ لأجل أن يتّخذ ما يكون مناسبًا لمن هو مسؤول عنهم، فإذا غاب الزّوج والأب فمن يتّخذ القرارات !؟

وإذا كانت الزّوجة إنسانة مؤمنة صالحة وعاقلة وتعرف المصالح من

المفاسد فيمكنها اتّخاذ القرارات المناسبة بدل زوجها الغائب .

إذن :

كما يتعلّم المؤمنون الأحكام العمليّة بحسب الفقه العمليّ لا بد أيضاً من أن يتعلّموا الأحكام العقائديّة بحسب الفقه العقائديّ، والأحكام الأخلاقيّة بحسب الفقه الأخلاقيّ وعلم الباطن والقلب والروح، ومن يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام عليه أن يهتمّ بالجوانب الثلاثة من الدّين، ولا يقتصر على الفقه العمليّ .

وباقى عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام نذكرها في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

أيام الفاطميّات :

وما دام أنّنا نعيش هذه الأيام أيّام الفاطميّات، وسلام الله على سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السّلام - نحاول أن نربط بين موضوعنا عن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة وبين موضوع سيّدة نساء العالمين عليها السّلام .

أيّ إنسان حينما يقع الظلم عليه يتأمّل أنّه سيسترجع حقّه في يوم من أيّام الدّنيا أو من أيّام الآخرة .

وينقل بعض الخطباء أنّ الزّهراء عليها السّلام حينما عصرت خلف الباب ودخل المسمار في صدرها وكسّر ضلعها قالت : يا مهديّ .

ولم أجد مصدرًا لهذا القول، ويمكن أن يقال إنّها عليها السّلام قالت ذلك بلسان حالها، فالمظلوم يريد استرجاع حقّه .

وحقّ السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام لما يُسترجعُ إلى زماننا الحاليّ، وموضع قبر سيّدة نساء العالمين عليها السّلام غير معروف لحدّ الآن، وهذا دليل مظلوميّة فاطمة الزّهراء عليها السّلام، فمتى تسترجع حقّها؟

تسترجع حقّها مع ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام، لا فقط أنّ المؤمنين يحصلون على حقوقهم، وجميع النّاس في العالم يعيشون العدل، بل حتّى سيّدة نساء العالمين عليها السّلام ستحصل على حقّها مع الظهور، والدّموع التي جرت على الزّهراء عليها السّلام، وأتّما ماتت في مقبل عمرها، والظلم الذي وقع على الأئمّة عليهم السّلام، كلّ هذا يستلزم رجوع الحقّ إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، والإمام المهديّ عليه السّلام سيسترجع كلّ هذه الحقوق، فأرض فدك سُلِبَتْ من يد سيّدة نساء العالمين عليها السّلام، والإمام المهديّ عليه السّلام سيسترجع هذه الأرض، وحدود أرض فدك هي حدود العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فكلّ الأرض عبارة عن فدك، لا أنّ فدك هي قطعة أرض صغيرة، بل العالم كلّه فدك، لذلك الإمام المهديّ عليه السّلام سيحكم العالم؛ لأنّ حدود فدك من الشّرق إلى الغرب ومن الشّمال إلى الجنوب، وهذه هي فدك التي كانت ملكاً للزّهراء عليها السّلام، وهذا الحقّ لا بدّ من أن يرجع لأهله .

والإمام المهديّ عليه السّلام شعاره : يا لثارات الحسين، بل ويا لثارات الزّهراء، ويا لثارات الأئمّة .

والإشكال الذي يُطرح دائماً أنّ من حاربوا الإمام الحسين عليه السلام انتهوا، فكيف يكون عند الإمام المهديّ عليه السلام شعار :
يا لثارات الحسين ؟

الجواب :

إنّ من يحارب الإمام المهديّ عليه السلام هم أتباع نفس خط قتلته الإمام الحسين عليه السلام، ويكون السّفيانيّ في مقابل الإمام المهديّ عليه السلام، والسّفيانيّ يمثّل نفس الخطّ وامتداد له، وأتباع السّفيانيّ هم الذين يرضون بعمل قتلته الإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين سيحاربون الإمام المهديّ عليه السلام، ويكون الخطّ السّفيانيّ في مقابل الخطّ العلويّ، وأتباع كلّ خطّ واضحون في العالم .

ولعلّ في بعض المحاضرات نذكر علامات ظهور الإمام عليه السلام، وتتناول العلامات بشكل تفصيليّ، والعلامات المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام موجودة في زماننا، حتّى أنّه يوجد ذكر للدول الغربيّة، وفي بعض الكتب يوجد ذكر للأمارك، وبلاد الزلازل، وبلاد يكون على اسم ملكها كوريو، ولعلّ الله تعالى يوفّقنا إلى ذكر هذه العلامات، ونكون من العلماء الذين يلفتون أنظار المؤمنين إلى علامات الظهور؛ لكي ينتبهوا، وإذا ظهر الإمام عليه السلام، وقال : أنا الذي أنشر العدل في العالم - فلا يقول أحد المؤمنين : لا أدري أنّ هذا هو الإمام المهديّ أو لا .

ومن خلال العلامات وحركة الإمام المهديّ عليه السلام نعرف أنّ

هذا الذي ظهر ويقول : أنا المهديّ - نعرف أنّه إمام الحقّ، لا أنّ الشّخص يكون جاهلاً ولا يعرف إمام زمانه عليه السّلام، ومن لا يعرف إمام زمانه لم يكن قد هياً نفسه؛ لكي يكون من الأنصار، وعلامات الظّهور واضحة لمن يطلّع عليها، والجهل لا يُقبَلُ في وقت الظّهور .

ولا يوجد في زمان الإمام المهديّ عليه السّلام عدم الانحياز، وإتّما يوجد معسكران : معسكر الحقّ ومعسكر الباطل، ولا يوجد حياد بينهما .

فيأتي شخص ويقول : أنا مع عدم الانحياز .

فيقال له : إمّا أن تكون مع الحقّ وإمّا مع الباطل .

والعالم سينقسم إلى معسكرين، لذلك من البداية يحرص الإنسان أن يكون مع معسكر الحقّ، ولا يبدأ الإنسان بالحركة حينما يظهر الإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام لا يبدأ بتعليم ألف باء الإسلام، فالإنسان في مرتبة سابقة لا بدّ من أن يكون متديّناً صالحاً، وعنده المعلومات الكافية عن الإسلام، وبالعلم الموجود عنده يمكنه تمييز الحقّ من الباطل، وتشخيص إمام الحقّ وأئمّة الباطل، ومعرفة معسكر الحقّ ومعسكر الباطل .

وفي كلّ زمان يوجد إمام حقّ وإمام باطل، ومع كلّ نبيّ وإمام يوجد في مقابله إمام أو أئمّة للضّلال، وإمام الحقّ واحد، ولكن أئمّة الضّلال متعدّدون، وفي وقت الظّهور يكون في مقابل الإمام المهديّ

عليه السّلام أئمة الضّلال وأئمة الكفر وأئمة النّفاق وأئمة الباطل، ويتحدون جميعا لمحاربة إمام الحقّ، ولكنهم لن يستطيعوا مواجهة الحقّ، وسيهزمهم الإمام المهديّ عليه السّلام .

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال : "وينذر الرّوم بإطلاق سراح موت فتاك محبوس بقنينة عجيبة، فينذرهم المهديّ سلاحًا اسمه الصّارخ، له صوت الزلزال، ويأكل هام البشر كقذف البركان لمن رأى البركان، نارًا هائلةً من باطن الأرض تخرج من مكن ومحبًا، وتطير في السّماء عاليًا جدًّا، ثمّ تهبط بموت ينزع النّاس كأنهم أعجاز نخل منقعر، وله نار لا تبقي ولا تذر، ينادي على الرّوم أنّها لؤاحة لمن غدر، فيطلب ملك الرّوم الهدنة، ويأبي المهديّ إلا أن يدخل بلده، فيصالح المهديّ على العطاء، ولا يبقى في بلد الرّوم أسير إلا خرج، وعلموا لو غدروا هدّها وجعل أعاليها أسافلها" (١) .

هذه الرواية نموذج من نماذج ما يحدث بعد الظهور، ودور المؤمن أن يطلع على هذه الروايات حتّى يعرف أنّ الذي ظهر هو الإمام المهديّ عليه السّلام، لا أن يقول : "لا أدري"، فقله غير مقبول .

وموضوع الإمام المهديّ عليه السّلام موضوع لا ينتهي، وفي كلّ محاضرة نطرح بعض المعلومات التي يحتاجها الإنسان المؤمن، ويستفيد منها؛ حتّى نتعاون جميعًا في توفير أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام،

(١) ماذا قال عليّ عليه السّلام عن آخر الزّمان - الجفر الأعظم للسّيّد

ونمّهد الأرضيّة لظهوره عليه السّلام .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٤)

تابع عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

في أي قضية من القضايا صاحب القضية يحتاج دائماً إلى أنصار، وحتى رسول الله صلى الله عليه وآله حينما بدأ دعوته لم يبق بها لوحده، بل كان يحتاج إلى الأعوان الذين قاموا معه وجاهدوا في معاركه، وبدون الأعوان لا يمكن للمعصومين عليهم السلام التحرك .
قد يقال :

إن الأنبياء عليهم السلام يمكنهم التحرك عن طريق المعجزة، فالتبّي صلى الله عليه وآله لوحده يمكنه أن يقوم بالمهمّات بواسطة المعجزة .
الجواب :

الأنبياء عليهم السلام لا يستعملون المعجزة إلا في حالات الضرورة

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت من منطقة بيان، الجمعة ٢١ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ، ١٣/٤/٢٠١٢ م .

وبإذن الله تعالى، فإذا كان يمكن القيام بالعمل بالطريق الطبيعي فهم يأخذون بالطرق الطبيعية لنصرة قضيتهم، وأما المعجزة فهي آخر حلّ حيث لا يمكن إنجاز المهمة إلا عن طريقها، فالطريق الطبيعي هو الطريق الذي يسلكه الأنبياء والأئمة عليهم السلام .

إذن :

كلّ دعوة وقضية بحاجة إلى أنصار، وفي قضية الإمام المهديّ عليه السلام يحتاج الإمام عليه السلام إلى أنصار، ولا يمكن أن يتحرك الإمام عليه السلام بلا أنصار، لذلك لكي نتمهد الأرضية للظهور لا بدّ من إعداد الأنصار، وهذه مهمة المؤمنين الذين يعتقدون بالإمام المهديّ عليه السلام، والمؤمن يحاول أن يصل إلى مرتبة الأنصار، ويساعد المؤمنين الآخرين للوصول إلى هذه المرتبة .

وأول خطوة هي أن يعرف المؤمنون تكاليفهم في عصر الغيبة الكبرى، فمن يريد أن يصبح من الأنصار فأول خطوة هي أن يعرف تكاليفه، وتوجد تكاليف عامّة على المؤمنين في كلّ زمان، فيصليّ ويصوم ويذهب إلى الحجّ، وهذه تكاليف عامّة، وفي كلّ زمان مع كلّ إمام توجد تكاليف خاصّة على المؤمنين، وفي عصر الغيبة الكبرى مهمة المؤمنين مضاعفة؛ لأنّهم يعتقدون بإمام معصوم، وهو غائب عنهم غير موجود بينهم .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : "يأتي على الناس زمان الصابرون منهم على دينه له أجر خمسين منكم" . قالوا : يا رسول الله،

أجر خمسين منّا؟! قال : "نعم أجر خمسين منكم" . قالها ثلاثاً (١) .
المؤمن الذي يعيش في زمان الغيبة ويصبر على الأذى بسبب
تمسّكه بدينه يكون كخمسين من أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله؛
لأنّه صلّى الله عليه وآله موجود معهم، وفي زمان الأئمّة عليهم السّلام
الإمام عليه السّلام موجود بين ظهرانيهم، وأمّا في زمن الغيبة فالمؤمنون
يعتقدون بإمام غائب غير موجود معهم، فهم يعتقدون بالغيب،
ومهمّة المؤمنين في عصر الغيبة عظيمة، فمهمّتهم كتكليف عليهم هي
تمهيد الأرضيّة لظهور إمامهم عليه السّلام وتوفير الأنصار من حيث
الكمّ والكيف، فلا بدّ من أن يوجد سعي من المؤمنين أوّلاً لمعرفة
تكاليفهم في عصر الغيبة، وهذه مهمّة كلّ مؤمن من أن يعرف
التكاليف، وإذا لم يعرف تكاليفه فمعنى ذلك أنّه لا يمكن أن يسقط
تكليفه، وإذا لم يسقط التكاليف فلا يكون مُبرراً الذمّة .

ولكي يوفّر المؤمنون الأنصار هناك مجموعة من عوامل القوة،
ومجموعة من عوامل الضّعف، فلا بدّ من أن نعرف هذه العوامل حتّى
نقوّي عوامل القوّة، ونصحّح عوامل الضّعف، فيأخذ المؤمنون بعوامل
القوّة، ويتجنّبون عوامل الضّعف، وبذلك يصعدون تدريجيّاً إلى مرتبة
أنصار الإمام عليه السّلام .

ذكرنا في المحاضرات السّابقة مجموعةً من عوامل الضّعف، ففي
زماننا لا نجد عند المؤمنين - على نحو المجموع لا على نحو الأفراد -

(١) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٧ ح ١٠ .

الهمة الكافية المطلوبة لتوفير الأنصار، وخاصة في بلدنا بسبب الأموال المتوقّرة بأيدي الناس، فيكون أكبر همّهم المال، وهم مستعدّون للخروج في مظاهرات وإضرابات من أجل مبلغ من المال، ولكنّ الهمّة غير موجودة في اكتساب العلم إلا قليلاً عند بعض الأفراد المعدودين الذين عندهم اهتمام بالقرآن الكريم وبطلب العلم، ونجد أنّ الحوزة فيها ستون طالباً تقريباً، وبالنسبة لعدد أفراد المجتمع لا بدّ من أن يكون عدد طلبة العلم بالآلاف، وهذه المشكلة موجودة بشكل خاصّ في بلدنا بسبب توقّر الأموال الكثيرة بأيدي الناس، والعيش بترف لا يجتمع مع طلب العلم، ومن يكون مترفاً لا يشعر عادةً بأهميّة طلب العلم؛ لأنّ نظره يكون إلى المال فقط، ويظنّ بأنّ الحياة بلا مال ليس لها قيمة، ويعتقد بأنّه كلّما زادت الأموال فإنّه يكون أسعد وأسعد في حياته، فيريد أن يحصل على أموال أكثر، والكلام في الدّيواتيات يكون عادةً عن الدّنيا والمال وزيادات المعاش الشّهري التي يمكن أن يحصلوا عليها، ولكن لا يوجد نقاش وتعاون بين المؤمنين حتّى يتكاملوا تدريجيّاً ويوفّروا أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، ونجد قليلاً من الناس يتكلّمون عن هذا الموضوع .

إذن :

معرفة تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى هي الخطوة الأولى للمسير في الطّريق، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يفكّر بما هي التّكاليف المطلوبة منه ويأتي بها، وبذلك يكون مبرأ الدّمة أمام الله تعالى حينما يسقط

تكاليفه عن عاتقه، وأما إذا لم يعرف تكاليفه فلا تسقط عنه، ولا يكون مبرأ الذمّة أمام الله عزّ وجلّ، وهذا مثل من يريد أن يصلّي فأوّلًا لا بدّ من أن يعرف مقدّمات الصلّاة وشروطها وأجزائها وكيفيّة أدائها، وبعد ذلك يُقدّم على الصلّاة، وجميع المؤمنين يدعون بتعجيل الفرج، ولكن تعجيل الفرج يحتاج إلى مقدّمات .

وأحد العلماء يقول : "اللّهم أجيل فرجه"، وذلك لعدم توقّر المقدّمات التي تعجل في ظهور الإمام عليه السّلام، وهذه المقدّمات غير متوقّرة لحدّ الآن، ولو كانت متوقّرة لظهر الإمام عليه السّلام، فمن جهة الإمام عليه السّلام لا توجد أيّ مشكلة، فالإمام عليه السّلام مستعدّ في أيّ لحظة للظهور بمجرد ما يأذن له الله عزّ وجلّ، والمشكلة موجودة فينا نحن، لذلك أوّلًا لا بدّ من أن نحّد المشاكل الموجودة عندنا، وتوجد مشاكل على المستوى الفرديّ، مشاكل في الفرد من ناحية عقائديّة أو أخلاقيّة أو فقهية عمليّة، ولا بدّ من أن يعرف الفرد التكاليف الموجودة عليه، وتوجد مشاكل على المستوى الجموعيّ أي مجموع المؤمنين، وأن يعرف المؤمنون عوامل الضّعف، وهذه الأمور لا بدّ من أن تُطرح وتناقش ونجد لها الحلول، وإذا لم يحلّ المؤمنون هذه المشاكل فإنّهم يظلّون على أوضاعهم الحاليّة، ولن يعرفوا إلى متى يكون الإمام عليه السّلام غائبًا؛ لأنّه بانتظارنا، فكما أنّنا نتظره فهو ينتظرنا أيضًا، ينتظر تكوّن الأنصار، وشيعة أمير المؤمنين عليه السّلام لا بدّ من أن يوقّروا الأنصار، وإذا لم يتوقّر الأنصار

فالإمام عليه السّلام يظلّ غائبًا، ونحن الخاسرون، والعالم يخسر، فدور المؤمنين الذين يعتقدون بقضيّة الإمام المهديّ عليه السّلام أن يسعى كلّ فرد منهم إلى أن يكون من الأنصار، وأيضًا يساعد المؤمنين الآخرين في الحركة تجاه توفير الأنصار، فعملية توفير الأنصار فرديّة وجماعيّة؛ لكي نعبّل في ظهور الإمام عليه السّلام .

ذكرنا بعض عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السّلام، ونكمل باقي العوامل التي هي عوامل ضعف، ولا بدّ من أن يتلافى المؤمنون هذه العوامل؛ حتّى يتحرّكوا باتجاه توفير أنصار الإمام عليه السّلام .

نأتي إلى باقي عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السّلام :

العامل الثامن : الظنّ بأنّ التحرك الفرديّ لا يؤثّر :

يظنّ المؤمن بأنّه في تحركه الفرديّ لا يمكن أن ينتج ويثمر تعجيل ظهور الإمام عليه السّلام، فيظنّ بأنّه غير قادر على تعجيل الظهور .
يقول : أنا واحد، فما هو تأثيري ؟

وذاك الآخر يقول : أنا واحد ، فما هو تأثيري ؟

نقول إنّ هذه الجهود الفرديّة إذا اجتمعت فإنّها تثمر ظهور الإمام عليه السّلام، وتوجد عند المؤمنين جهود فرديّة وجهود جماعيّة .

والمؤمن الفرد حينما يسأل : ما هو تأثيري ؟

نقول : ليس المهمّ ما هو تأثيرك، ولكنّ المهمّ ما هو تكليفك .

مثلاً في قضيّة مقاطعة البضائع من الدّول المعادية للإسلام، يقول

بأنّه واحد، والواحد ليس له تأثير .

نقول : إنّ تكليفك أن تقاطع البضائع، كما أنّ تكليف الآخرين هو المقاطعة، وأنت كفرد تقوم بتكليفك حتى لو لم يقيم الآخرون بتكليفهم .

الفرد قد لا يكون له تأثير من ناحية خارجية، وليس المهمّ تحقيق النتيجة الخارجية، فالإنسان حينما يقوم بتكليفه هو يسقط تكليفه، وليس بالضرورة أن ينتج نتيجة خارجية؛ لأنّ النتيجة الخارجية ليست بيده وسلطته، وما يكون تحت يد الإنسان وسلطته هو نفسه وتكليفه، فإذا قام بتكليفه فهذا هو المطلوب منه، والنتيجة الخارجية تتحقّق إذا قام جميع المؤمنين بتكليفهم، فتنتج الثمار الخارجية، ودائمًا ليكن في نظرنا أنّ الإنسان حينما يقوم بأيّ عمل فعليه التحرك، والمطلوب منه هو إسقاط تكليفه، والأمر الذي ليس تحت يده وسلطته ليس مطلوبًا منه، فلا ينظر إلى التأثير الخارجي، فهو يرى بأنّ العمل إذا لم يكن له تأثير خارجي فلا يقوم بالعمل .

نقول إنّ هذه النظرة خاطئة، فالمطلوب هو الإتيان بالتكليف، وليس إنتاج الأثر الخارجي، لنفرض شخصًا يعيش في مدينة في الغرب لا يوجد فيها مسلمون، هل يقول : ما دام أنّه لا يوجد من يصلّي إذن أنا لا أصليّ ؟

نقول له : تكليفك أن تصلّي حتى لو أنّ جميع الناس لا يصلّون .
ونرى أنّه لا يقول : أنا واحد، فما هو تأثيري على باقي الناس ؟
على المسلم أن يؤدّي تكليفه حتى لو لم يحقّق أيّ نتيجة خارجية .

وكذلك في الأمور الأخرى أولاً يحدّد التّكليف، وثانيًا يتحرّك على أساس تكليفه، ولا ينظر إلى أنّ الآخرين يقومون بالتّكليف أو لا يقومون، فقيامه بالتّكليف لا يرتبط بقيام الآخرين بالتّكليف، وإذا لم يقم الآخرون بتكليفهم فهو إذا كان يمكنه أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فهذا تكليف آخر عليه، وإذا لا يمكنه فهذا التّكليف الآخر ليس على عاتقه، والمهمّ أن يأتي بتكليفه الأوّل ويحفظ نفسه، ولا يصبح إمعةً يسير خلف الناس .

ولا يقول : ما دام أنّ الناس قاموا بعمل أو تركوا عملاً فأنا معهم، والحشر مع الناس عيد .

نقول : أنت والله سبحانه، فتقوم بتكليفك الذي يريدك الله منك، اعرف تكليفك أولاً، واعمل بتكليفك ثانيًا، وهل الحشر مع الناس إلى جهنم عيد؟!

والتّكليف مطلوب من كلّ مؤمن على المستوى الفرديّ، وتوجد تكاليف مطلوبة من المؤمنين على المستوى الجموعيّ، قد تكون أنت وأحد المؤمنين فتعملان على نحو المجموع، وإذا انضمّ إليكما ثالث فتعملون على نحو المجموع، وسيّدنا إبراهيم عليه السّلام كان أمّةً، هو واحد، ولكنه يشكّل أمّةً، والإنسان في زماننا يمكنه أن يكون أمّةً إذا كان يقوم بالتّكليف لوحده والآخرون لا يؤدّون تكليفهم، وعليه أن لا ينظر إلى تأثيره على الآخرين، فهو عند الله عبارة عن أمّةٍ في فرد، فينظر على تأثيره على نفسه أولاً، فحينما يقوم بالتّكليف فإنّه يؤثّر

على نفسه، وهذا هو المطلوب أولاً، وإذا استطاع أن يؤثر تأثيراً خارجياً فهو المطلوب ثانياً، وإذا لم يستطع أن يؤثر فيعمل بتكليفه .
عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ تَعَلَّمَ حَدِيثَيْنِ اثْنَيْنِ يَنْفَعُ بِهِمَا نَفْسَهُ أَوْ يَعْلَمُهُمَا غَيْرَهُ فَيَنْتَفِعُ بِهِمَا كَانَ خَيْرًا مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً " (١) .

ولا بدّ من أن نصحّ نظرتنا، فأولاً لا نسأل : ما هو التأثير الخارجي لعملنا ؟

بل نسأل أولاً : ما هو التأثير الباطني القلبي على نفسي ؟
والإنسان أمام الله عزّ وجلّ المطلوب منه أولاً أن يكون مؤمناً متديّناً صالحاً، وثانياً يساهم في هداية الآخرين، ولكن إذا لم يستطع هداية الآخرين فتكليفه أن يكون هو مهتدياً .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : " يَا عَلِيُّ . . . وَأَيْمَ اللهِ لئن يَهْدِيَ اللهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرِبَتْ . . . " (٢) .
المهمّ أن تنقذ نفسك يوم القيامة، لأنّ نظر المؤمن على الأقلّ يكون إلى الجنّة والنّار، ولا ينقص من عمله ولا يضرّه من ضلّ .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٣) .

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٥٢ ح ٤٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٢١ ص ٣٦١ ح ٣ .

(٣) المائدة : ١٠٥ .

ويكون نظره إلى الجنة إذا كان يعبد عبادة التجار، أو إلى النار إذا كان يعبد عبادة العبيد، وإذا كان نظره إلى درجة أعلى من ذلك فإلى أن الله تعالى أهل للعبادة فيعبده شكرًا له عز وجل .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "إن قومًا عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قومًا عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار" (١) .

وعنه عليه السلام : "ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" (٢) .

ومعظم الناس يكون نظرهم إلى "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ" (٣) .

والقليل يكون نظره إلى رضوان من الله أكبر، كما في قوله تعالى :
"وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (٤) .

إن المطلوب من المؤمن أن يقوم بتكليفه كفرد، ويساهم في تعريف المؤمنين بهذا التكليف، ويقوم بتكليفه ضمن مجموع المؤمنين .

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٧ ص ١٨٦ .

(٣) آل عمران : ١٨٥ .

(٤) التوبة : ٧٢ .

والمهم أن يرى المؤمن التأثير الباطني القلبي للأعمال التي يقوم بها،
وأما عوامل التأثير الخارجي فليست بيده وتحت سلطته، والإنسان
محاسب على ما يكون تحت يده وسلطته، وأما الشيء الخارج عن يده
فهو ليس مسؤولاً عنه ولا يحاسب عليه، وإذا كانت بيده نسبة معينة
من عوامل التأثير الخارجي فيحاسب بمقدار هذه النسبة فقط .

إذن :

يظنّ المؤمن أنّه إذا تحرك بمفرده فإنّ جهوده لا تثمر في زماننا
الحاليّ؛ لأنّه واحد، وأنّ المهمة أكبر منه، فنقول إنّ المطلوب من
المؤمن أن يتحرك على حسب تكليفه كفرد، وتكليفه ضمن مجموع
المؤمنين، وإذا تجمعت جهود المؤمنين فإنّ التأثير الخارجي يتحقّق،
وحقّ العمل الفرديّ قد يثمر في المستقبل .

العامل التاسع : الأهواء النفسية :

الأهواء النفسية تحول عن حمل همّ الدين، والدين يحتاج إلى من
يحمل همّه ويهتمّ به، ويكون الدين مهمّاً عنده، ويشكّل الدين محوراً
لحياته، فكما يفكر الإنسان بمعاشه الشهريّ فالدين أوجب عليه من
معاشه؛ لأنّ الدين يعطيك مقابلاً وهو الخلود في الجنة، فلا بدّ من أن
يقدم الإنسان شيئاً للدين؛ لكي يحصل على المقابل وعلى النتيجة،
وكلّ مسلم مسؤول عن نشر الدين في العالم، والمفروض أن لا يقتصر
تفكيرنا على بلدنا ومجتمعنا، فالآن العالم عبارة عن قرية صغيرة،
وبواسطة الهاتف النقال يمكن الدخول إلى أيّ بقعة في العالم، بل أنت

مُرَاقَبٌ بواسطته، وكلّ معلومات حياتك موجودة فيه، والآن نعيش في عالم صغير، والهَمّ عند المؤمن لا بدّ من أن يكون همًّا عالميًّا، والمسلم مسؤول عن كلّ إنسان في العالم، وهذا الشّعور يمهد للمؤمن أن يكون من الأنصار، لا أن يكون هم الإنسان هو بيته وزوجته وأولاده فقط، ومن يكون همّه هذا الهَمّ الصّغير فلن يعيش الهَمّ العالميّ .

وهمّ المؤمن لا بدّ من أن يكون همًّا عالميًّا؛ لأنّ الرّسالة الإسلاميّة رسالة عالميّة، والمؤمن يريد أن يساهم في نشر الدّين والعدل في العالم، وهذا يحتاج إلى التّفكير في المشاكل العالميّة لا التّفكير بالمشاكل الشّخصيّة فقط، والمشكلة الكبرى في العالم هي أنّ هناك أشخاصًا لا يعتقدون بوجود الله تعالى، لا أن يكون الهَمّ الوحيد هو الحصول على زيادة خمسين أو مائة دينار على المعاش الشّهريّ، والإنسان الذي لا يعتقد بالله تعالى لازمه أنّه سيذهب إلى نار جهنّم، والهَمّ الأكبر للمؤمن هو التّفكير في كيفيّة إنقاذ النّاس من نار جهنّم وإدخالهم إلى الجنّة .

وقد يكون سبب عدم اعتقادهم بالله تعالى هو المسلمون أنفسهم، فالإرهابيّون يريدون نشر الدّين عن طريق الإرهاب، والنّاس يرون أنّ هؤلاء الإرهابيّين يمثّلون الدّين، فردّة الفعل الطّبيعيّة لمن لا يكون مسلمًا هي أن لا يعتقد بالله تعالى، ويقولون بأنّه إذا كان الاعتقاد بالله يؤدّي إلى قتل الآخرين فلا نريد هذا الدّين، فيكون المسلمون هم السّبب في عدم انتشار الدّين في العالم، وإذا استطعنا أن نبرز الدّين

على أساس أنه دين السّلام، فالإسلام مشتقّ من السّلام، وأنّه دين الرّحمة والعطف - فمن المؤكّد أنّ الإسلام سينتشر في العالم، والنّاس يريدون دينًا يدعو إلى السّلام والرّحمة والعطف، وأمّا حينما يرون المسلمين يقتتلون فيما بينهم فإنّهم لن يدخلوا الإسلام، يقول كيف أصبح مسلمًا وأقتل المسلمين الآخرين، فردّة الفعل الطّبيعيّة هي عدم تقبّل الإسلام، والإعلام المضادّ يبرز أنّ الإسلام دين الإرهاب والقتال وقتل غير المسلمين، والإعلام يستفيد من الأفعال التي يقوم بها من يدّعون الإسلام، ويقولون بأنّه لو كان الإسلام دين السّلام فلماذا تقوم الحروب بين المسلمين أنفسهم؟

ويستفيدون من الأمور السّلبية في مجتمعات المسلمين، ويقولون بأنّه لو كان الإسلام قابلاً للتّطبيق لكان أولى النّاس بالتّطبيق هم المسلمون، فإذا لم يطبّق المسلمون الإسلام فيكون الدّين دينًا نظريًا لا دينًا عمليًا قابلاً للتّطبيق، والمسلمون يدّعون أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، ولكنّ الواقع العمليّ لا يثبت هذا الادّعاء، والعيب موجود في المسلمين لا في الإسلام، ويجب على المسلمين أوّلًا أن يصلحوا أوضاعهم؛ حتّى يمكنهم نشر الدّين في العالم .

وإذا كان الهوى هو المقياس - عند بعض من يتصدّى لأموار الدّين - فلن يأخذ النّاس بالإسلام، والآن في المجتمعات بعض من يتصدّون لأموار الدّين يتبعون أهواءهم، والمتصدّون لا بدّ من أن يكونوا بمواصفات معيّنة، وإذا لم يكونوا بهذه المواصفات المعيّنة فإنّهم

يشوّهون الدّين، سواء كان المتصدّي ممّن يلبس لباس علماء الدّين أم لا يلبس .

وتوجد شروط للتّصدّي، ولا يحقّ لأيّ شخص أن يتصدّي، بل لا بدّ من أن يكون مؤهّلاً للتّصدّي في أمور الدّين وأمور المجتمع، وفي العمل الاجتماعيّ توجد شروط معيّنة لمن يريد أن يتحرّك اجتماعياً، ومن الشّروط أن يكون إنساناً مؤمناً متديّناً صالحاً غير متّبِع لأهوائه، وإذا كانت الأهواء هي المسيطرة عليه فإنّه من خلال العمل سيسعى للحصول على مصالحه الشّخصيّة، بدل أن تكون مصلحة الدّين هي المقدّمة، وقبل أن يتصدّي لا بدّ من أن يعرف الأحكام الشّرعيةّ المختصة بالتّصدّي للعمل الاجتماعيّ أو السياسيّ أو غيرها .

سيأتي السّؤال التّالي :

أين الأحكام المختصة بالعمل الاجتماعيّ حيث لا توجد كتب خاصّة تتكلّم عن العمل الاجتماعيّ وشروط التّصدّي ؟
هذا الموضوع يحتاج إلى بحوث كثيرة؛ حتّى يمكن لمن يريد أن يتصدّي معرفة هذه الأحكام، ففي الأحكام الشّرعيةّ الفرديّة من يريد أن يصلّي يرجع إلى باب الصّلاة في الرّسالة العمليّة، فيعرف شروط الصّلاة ومقدّماتها وأجزائها، ويدخل في الصّلاة بعد ذلك، وكذلك من يريد أن يتصدّي اجتماعياً لا بدّ من أن يعرف الأحكام الشّرعيةّ الخاصّة المتعلّقة بالتّصدّي، وليس كلّ شخص مؤهّلاً للتّصدّي، والإمام المهديّ عليه السّلام حينما ينتخب أنصاره يختار من يكون

مؤهلاً لهذه المرتبة، ومن يريد أن يتصدى لا بدّ من أن تتوفر فيه شروط معيّنة، ويكون ضمن مواصفات معيّنة، وهذا يحتاج إلى بحوث في موضوع المتصدّي لأمر الدين والدعوة والعمل الاجتماعيّ في المجتمع، ونحتاج إلى مواضيع في أحكام العمل الاجتماعيّ والعمل الجماعيّ .

ويمكنكم الرجوع إلى مقابلات قناة المعارف الفضائيّة في برنامج (روح الإيمان) تحت عنوان (العمل الفرديّ والعمل الجماعيّ) في خمس حلقات، واللقاء موجود على قناة اليوتيوب Ashkanani Channel . ونحتاج إلى بحوث أكثر في هذه المواضيع؛ لكي لا يكون العمل بشكل عشوائيّ، فيأتي من ينادي أصحابه وأصدقائه للقيام بعمل جماعيّ دون معرفة شروط العامل وشروط العمل .

والسؤال المهمّ هو : ما هي صفات المتصدّين ؟

وهذا مهمّ جدّاً، فالمتصدّون لا بدّ من أن يكونوا مؤهّلين للتصدّي لأيّ عمل اجتماعيّ، والتأثير الذي يصدر من الفرد المشارك في العمل الاجتماعيّ سيكون له تأثير على الدين، والناس يرون هذا المتصدّي، ويرون كأنه ممثّل للدين، مثلما أنّ الشّخص المعتم يراه الناس ممثلاً للدين، فإذا قام بعمل فإنّ العمل يُحسب على الدين، كذلك المتحرّك تحركاً اجتماعياً دينياً حتّى لو لم يكن معتمّاً فعمله محسوب على الدين، والمتصدّي كأنه من خلال عمله وتصدّيه يقول للآخرين : اقتدوا بي، فأنا القدوة .

وباعتبار أنّ المتصدّي يصبح قدوةً للنّاس فلا بدّ من أن تتوفّر فيه مواصفات عالية، كأنّه الآن يريد أن يدخل في تمثيل هذا الدّين، ولا يتظاهر أمام النّاس، والمسباح والخاتم واللّحية لا تدلّ على شيء، فهذا ظاهر الإنسان، ولا بدّ من أن يكون باطن المتصدّي باطنًا صالحًا، وأن يكون عند الله مؤمنًا صالحًا، والإنسان يعرف حقيقة وواقع نفسه، نعم الآخرون يحكمون عليه على أساس ظاهره، ولكن هو يعرف باطنه، ويعرف ما يقوم به من أعمال في خلواته حينما يكون لوحده في غرفته، وأقلّ شيء هو بماذا يفكّر، والأفكار التي يحملها الإنسان تعبّر عن شخصيّته .

ويمكن أن نقول : قل لي بم تفكّر أقل لك من أنت .

فما هي المواضيع التي يفكّر بها ؟

هذه المواضيع تشكّل شخصيّة الإنسان، والإنسان حينما ينطلق في عالم الفكر فلا يرى أفكاره إلاّ الله تعالى، والمتصدّي لا بدّ من أن يكون مسيطرًا على عالم فكره، فلا يفكّر في أيّ موضوع، بل يكون عالم الدّهن تحت سيطرته، فهو الذي يحدّد ما يفكّر فيه، لا أنّ الشّيطان يرمي الخواطر في ذهنه، وهو ينجّر خلف هذه الخواطر الشّيطانيّة ويسترسل فيها، ومن يريد أن يكون من الأنصار فكما أنّ عمله الخارجيّ يكون تحت سيطرته كذلك ذهنه وفكره يكون تحت سيطرته، ولا يفكّر في أيّ موضوع يخطر في ذهنه، والأفكار قد تعبّر عن أهواء الإنسان، فقد يهوى شيئًا معيّنًا، ولكن من ناحية عمليّة لا

يفعله، فينطلق في عالم الخيال، وعالم الخيال يعبر عن شخصية الإنسان، والإنسان الصالح يفكر في مواضيع صالحة، والإنسان السيئ يفكر في مواضيع سيئة، والمواضيع التي يفكر بها هي نتاج طبيعي لنفسية الإنسان، والشجرة الطيبة تنتج ثماراً صالحةً، ومن الثمار الأفكار الصالحة في عالم الدّهن، فالإنسان لا بدّ من أن يكون مسيطراً على عالم ذهنه وفكره، ومن عوامل الضّعف على المستوى الفرديّ وعلى المستوى الجموعيّ أنّ الإنسان يسير خلف أهوائه، ولو أنّ جميع النّاس كانوا يتبعون الأهواء فمن الطبيعيّ أنّ المتصدّين يكونون من هؤلاء، ولكن بعض المتصدّين يتغلّبون على أهوائهم، وهم يمثّلون الدّين، ويصبحون أمثلةً للدّين في المجتمع، وهؤلاء المتصدّون يكونون المثال والقدوة في مجتمعاتهم .

وتوجد قدوة صالحة وقدوة سيئة، وعلى النّاس أن يميّزوا بينهما، وحتى لو طالت المدّة فإنّ الله تعالى يتدخّل بالتدخّل الغيبيّ، والإنسان الصّالح يصبح القدوة ولو بعد حين، ولو راجعنا التاريخ لرأينا أنّ الله تعالى حفظ أسماء بعض العلماء، فالذين دخلوا الحوزات عبر الزّمان آلاف أو ملايين الأشخاص، والآن كم اسم محفوظ من أسماء علماء الدّين ؟

نرى أنّ مجموعةً قليلةً من العلماء حفظ الله أسماءهم، وهؤلاء يمثّلون أمثلةً للدّين وقدوةً للنّاس، كالشيخ المفيد والسّيد المرتضى والشيخ الطّوسي والمحقّق الحلّي والعلامة الحلّي وغيرهم من علماء الدّين،

وكذلك المؤمن الصّالح يذكره النَّاسُ بالخير، والله عزّ وجلّ يجعل دائماً أمثلةً صالحةً في المجتمعات، وهؤلاء الأمثلة يكونون حجّةً على النَّاسِ في كلّ مجتمع؛ لكي لا يأتي شخص ويقول: لا أدري .

والأهواء التّفسيّة تشكّل عائقاً أمام حركة الإنسان المؤمن على مستوى الفرد ومستوى المجموع، والفرد له تأثير على الجماعة، ويسبح المرء في بحر أهوائه، وتكون الأهواء هي المقياس .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاج عادل الحدّاد :

طرحتم موضوع الممّهدين للإمام المهديّ عليه السّلام وشروط المتصدّين، ونحتاج إلى مزيد من البحوث في هذا الموضوع، وهذه نقطة مهمّة .

وتوجد بعض الملاحظات أو الشّبّهات التي تثار بأنّ الكلام حول الإمام المهديّ عليه السّلام هو نوع من التّخدير، بمعنى أنّه بعيد عمّا يدور في الواقع، والبعض قد يأتي من هذه النّقطة، فأنتم لا زلتم تتكلّمون في موضوع معيّب وفي علم الغيب، حتّى قضية الغيبة الكبرى يدور حولها الغيب، فالموضوع غيب في غيب، فبعض المغرضين يدخلون من هذا الباب، فكيف يمكن للشّخص أن يتحصّن من هذا المدخل ؟

هذه نقطة، والنقطة الأخرى ذكرتم من أبواب التمهيد للإمام عليه السلام أنّ المرء - ذكرًا أو أنثى - يؤدّي تكليفه في المسائل الدنيّة والتشريعات، ويقوم بدوره الاجتماعي والديني، ومن الأبواب باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرّسائل العمليّة تطرقت إلى هذا الموضوع .

وهناك إشكال من بعض المؤمنين من أنّنا إذا مارسنا هذا التّكليف فإنّنا نصبح من المنبوذين أو المغضوب عليهم، ففي أسرته يحاول أن يأمر وينهى، ولكن يوجد عزوف عنه أو يتّخذ منه موقف، وهذا الموقف يكون على حساب كرامته وشخصيّته، وقد يشعر بأذيّة بسبب أدائه لهذا التّكليف .

والنقطة الأخيرة هي استفسار : هل أنّ باب المعاملات في الرّسائل العمليّة لا تشمل الإعداد والاستعداد لظهور الإمام عليه السلام ؟
جواب الشيخ محمّد أشكناني :

السؤال عن أنّ الإمام عليه السلام غائب، فيكون الكلام عن الغيب، وهنا أ طرح جوابين : الجواب النّقضيّ والجواب الحلّيّ .
الجواب النّقضيّ :

وهو أنّ نقض على المستشكل، وهو أنّ الكلام عن الله تعالى كلام عن الغيب، فالمفروض أن لا نتكلّم عن الله ولا عن التّوحيد .
الجواب الحلّيّ :

نسال : هل غيبة الإمام المهديّ عليه السلام لها تأثير في واقعنا أو

ليس لها تأثير ؟

الجواب نعم لها تأثير، ونحن عندنا يقين بظهوره عليه السلام، فغيبته لها تأثير علينا، وكل ما له تأثير على واقعنا لا بد من أن ندرسه من جميع جوانبه، ولا بد من أن نمهد لظهوره عليه السلام، وإذا أردنا أن نمهد لظهوره عليه السلام فلا بد من أن نعرف تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى .

والكلام عن الإمام المهدي عليه السلام ليس عبارة عن تحذير؛ لأن الأمر فيه فاعلية، وله مردود عملي، لا أنه أمر نظري فقط، وحينما يكون الإنسان إنساناً صالحاً يحاول أن يمهد للظهور، وتكليفه أن يمهد لظهور إمامه عليه السلام، وهو تكليف حاضر مطلوب منه، فإذا كان هذا هو تكليفه فيجب أن يقوم بهذا التكليف .

والسؤال الآخر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكونان ضمن شروط معينة، وهذه الشروط إذا توفرت فيجب الإتيان بهما، ويأتي بهذا الواجب كما يأتي بالصلاة مهما كانت النتائج، فإذا زالت الشمس وجبت صلاة الظهر، فزوال الشمس شرط لوجوب صلاة الظهر على المكلف، وإذا توفرت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكونان واجبين على المكلف كوجوب صلاة الظهر، وفي بعض الموارد يكونان على نحو الاستحباب، والتحرك في المجتمع يكون في بعض الأحيان واجباً، وفي بعض الأحيان يكون مستحباً، ويتقرب المؤمن إلى الله تعالى بهذا المستحب، وقد يؤدي الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر إلى بعض المشاكل، كما إذا رأيت شخصاً في المسجد لا يتوضأ بشكل صحيح، وتريد أن تعلمه فقد يقول لك : هذا ليس شغلك .

أنت أدّيت تكليفك، وهو يقبلُ أو لا يقبلُ فهذا شغله، وتكليفه أن يقبلَ، وإذا لم يقبل فهو لم يؤدّ تكليفه .

والسؤال الآخر عن باب المعاملات في الرسائل العمليّة، فباب المعاملات يتكفل بالبيع والشراء والأجارة والمزارعة والمساقاة وغيرها من الأمور العمليّة في العقود، ولا تتكلم عن الإمام المهديّ عليه السّلام ولا عن ظهوره المبارك، ونحتاج إلى بحوث عقائديّة وتاريخيّة، وتكاليف المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى لا تجدها في الرّسالة العمليّة، ومسائل العمل الاجتماعيّ لا تجد لها باباً خاصّاً في الرّسالة العمليّة، وإمّا تبين العبادات من ناحية خارجيّة فقط، مثلاً في الصّلاة لا تبين الرّسالة العمليّة كيفيّة الاستفادة من الصّلاة في التّكامل، وهذا الموضوع يأتي في كتب الأخلاق، والآن يتمّ التّركيز على الرّسالة العمليّة فقط دون بيان تأثير العمل العباديّ على الإنسان، والرّسالة العمليّة تتكفل ببيان أحكام الأعمال الخارجيّة، فتوضأ وتصلّى، ولكنّ الرّسالة العمليّة لا تبين لك كيفيّة الاستفادة من الصّلاة، وهذا هو دور عالم الأخلاق، فهو يبيّن كيفيّة الاستفادة من العمل العباديّ في التّقرب إلى الله تعالى، والرّسالة العمليّة تقول لك بأنّه تجب النّيّة في الصّلاة، هذا المقدار فقط، نعم إذا كانت بعض الأعمال الأخلاقيّة تؤثر على صحّة

الصَّلَاة فتذكرها الرِّسَالَة العَمَلِيَّة، مثلاً الرِّياء يبطل الصَّلَاة، فتوجد حاجة في الرِّسَالَة العَمَلِيَّة إلى ذكر الرِّياء وعلاقته ببطلان الصَّلَاة وعدم صَحَّتْهَا، ولا تتكلم الرِّسَالَة العَمَلِيَّة عن قبول الصَّلَاة وعدم قبولها، ونحتاج إلى مواضع تبيِّن ارتباط العقائد بالأخلاق وبالرِّسَالَة العَمَلِيَّة، والآن كلُّ التَّركيز على الرِّسَالَة العَمَلِيَّة، وإذا وضعت كتاباً عقائديّاً وكتاباً أخلاقياً وكتاباً عن مفاهيم الدِّين إلى جنب الرِّسَالَة العَمَلِيَّة فإنَّ المؤمنين يأخذون الرِّسَالَة العَمَلِيَّة فقط، مع أنَّ مواضع الكتب الأخرى تبيِّن جوانب مختلفة من الدِّين، والمواضع مرتبطة ببعضها البعض .

وإذا أراد المؤمن أن يتقرَّب إلى الله تعالى بالرِّسَالَة العَمَلِيَّة فقط فإنَّ عمله يكون ناقصاً؛ لأنَّ الرِّسَالَة العَمَلِيَّة لا تبيِّن كَيْفِيَّة الاستفادة من العبادات والمعاملات في الحركة التَّكامليَّة، فهي تبيِّن شروط صحَّة العمل ولا تبيِّن شروط قبول العمل، وصحَّة العمل لا تعني قبول العمل، فقد يكون العمل صحيحاً، ولكنَّه غير مقبول عند الله تعالى . ويحتاج المؤمن إلى الجانب العقائديِّ أوَّلاً؛ لأجل معرفة الله تعالى، فأوَّل الدِّين معرفة الله عزَّ وجلَّ .

عن أمير المؤمنين عليه السَّلام في خطبة له : " . . . أوَّل الدِّين معرفته، وكمال معرفته التَّصديق به، وكمال التَّصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصِّفات عنه؛ لشهادة كلِّ صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كلِّ موصوف أنَّه غير الصِّفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرَّنه، ومن قرَّنه فقد ثنَّاه، ومن

تَنَاهُ فَقَدْ جَزَأَهُ، وَمَنْ جَزَأَهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ
أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، . . . " (١) .

ويحتاج المؤمن ثانيًا إلى الجانب الأخلاقيّ، أي كيف يستفيد من
العبادات في تغيير باطنه بحيث يكون إنسانًا صالحًا وكيف يتقرّب إلى
الله تعالى، وفي كلّ عمل يقوم به الإنسان يحتاج إلى الفقه العقائديّ
والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، وبهذه الأجنحة الثلاثة يمكن للمؤمن
أن يطير إلى الله سبحانه، وأن يتكامل باطنيًا وقلبيًا، ولا يمكن أن يطير
بجناح واحد، وإمّا يحتاج إلى ثلاثة أجنحة .

وفي كلامنا عن الإمام المهديّ عليه السّلام تحتاج إلى الفقه العقائديّ
المتّصل بأصول الدّين، وهو الاعتقاد بالإمامة، وتحتاج إلى الفقه
الأخلاقيّ، وهو أنّه كيف يمكن أن تغيّر باطنك؛ حتّى تكون مؤمنًا
صالحًا، وتصبح من الأنصار، وتحتاج إلى الفقه العمليّ، وهو ما هي
الأعمال الخارجيّة المطلوبة منك؛ حتّى تصبح من الأنصار، فتوجد
ثلاثة جوانب، بالإضافة إلى جانب رابع وهو الجانب الفكريّ
المفهوميّ في كيفية ربط الجوانب الثلاثة بعضها ببعض، ويُطرَحُ الجانب
الرّابع في المواضيع الفكريّة من الدّين، ويحتاج المؤمن إلى هذا الجانب؛
لأجل أن يتحرّك، ولكي يكون التّحرّك كاملًا يحتاج إلى الجانب
العقائديّ والجانب الأخلاقيّ والجانب العمليّ، بالإضافة إلى الجانب
الفكريّ الذي يربط بين الأنواع الثلاثة من الفقه؛ لأجل أن يصبح من

(١) نهج البلاغة شرح الشّيخ محمّد عبده ج ١ ص ١٤-١٥ ح ١ .

الأنصار، وأما مجرد العمل بالرسالة العملية فلا يكفي للتحرّك الكامل؛ لأنّ الرسالة العملية تتكفّل بالجانب العمليّ فقط، وهو جناح واحد، والمؤمن لا يطير بجناح واحد، فيحتاج إلى الاعتقاد أوّلاً قبل العمل القلبيّ والعمل الخارجيّ، فالعمل القلبيّ والعمل الخارجيّ من ثمار الاعتقاد، فالاعتقاد هو الشجرة، والعملين القلبيّ والخارجيّ هما من الثمار .

سؤال : ما هي علاقتنا بالإمام المهديّ عليه السّلام ؟

الجواب :

المؤمن لا بدّ من أن يعرف كيفيّة علاقتّه بالإمام عليه السّلام، وإذا لم يعرف الجواب فمعنى ذلك أنّ علاقتّه غير واضحة عنده، والإمام عليه السّلام مطّلع على أعمال النّاس وإن كان غائباً عن أنظارهم، لذلك يوجد عرض الأعمال عليه عليه السّلام، وفي ليلة القدر تنزّل الملائكة على الإمام عليه السّلام، وهو عليه السّلام يمضي ما قدره الله تعالى للنّاس، والمؤمن لا بدّ من أن يتعامل مع اعتقاده بالإمامة على أنّها عقيدة حيّة متحرّكة معه، والمطلوب من المؤمن أن يتحرّك بسبب اعتقاده بالإمامة وإن كان الإمام عليه السّلام غائباً، وهذا لا بدّ من أن يكون واضحاً عند المؤمن؛ لكي يكون في حركة دائمة .

وتوجد جوانب مفقودة عند المؤمنين؛ لأنّهم لا يطلبون العلم بهذه الأمور، فالعلم بهذه الأمور تحتاج إلى دراسة وقراءة ومعرفة واستماع إلى العلماء .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلا
وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

كلّ حركة يتحرّكها الإنسان لا بدّ من أن تكون على أساس العلم
والمعرفة، ولا بدّ من إحاطة المؤمن بجميع جوانب الدّين؛ لكي يمكنه
أن يتحرّك تحرّكًا صحيحًا، والمؤمنون بشكل عامّ لا يطلبون العلم،
وحثّى دراسة الرّسالة العمليّة على الأقلّ مفقودة، ولحدّ الآن المؤمنون
يتكلّمون ويسألون عن مسائل التّقليد والطّهارة والنّجاسة والوضوء
والصّلاة وغيرها، ونظّل ندور في الرّسالة العمليّة والعمل الخارجيّ
فقط، نعم هي مسائل مهمّة، ولكنّهم لا يسألون عن عقائدهم
وعملهم الباطنيّ، وكأنّ الدّين هي مسائل الرّسالة العمليّة فقط، مع أنّ
الدّين أوسع وأشمل، ومسائل الرّسالة العمليّة من المفروض أن تصبح
مسائل بديهيّة، مثلًا قبل أن يصلّي المؤمن مع البلوغ أو قبله يجب أن
يتعلّم الوضوء بشكل صحيح، وأن يتعلّم مسائل الصّلاة، لا أن يأتي
بعد ثلاثين سنة ويكتشف أنّ وضوءه باطل وصلاته باطلة، ويسأل :
ماذا أفعل الآن ؟

لو أنّه تعلّم المسائل الشرعيّة بشكل صحيح لما احتاج إلى أن يسأل
هذا السّؤال .

وفي المعاملات يأتي بعض المؤمنين بالعمل، وبعد ذلك يسأل : هل
عملي صحيح أو لا ؟

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

والمفروض أنه قبل أن يُقدِّم على المعاملة أن يتعلّم مسائل هذه المعاملة؛ لأجل أن يعرف تكليفه، وبعد ذلك يعمل .

وكلّ ذلك يمكن جعله تحت عنوان واحد، وهو طلب العلم، وطلب العلم لا يعني دخول الحوزة، والآن القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت وقنوات اليوتيوب موجودة ومتوفرة، ويسهل على جميع الناس الدخول إليها، وبواسطة الهاتف النقال يمكن الاستماع إلى جميع الدروس والمحاضرات، وقراءة الكتب المختلفة، ويمكن الاستماع إليها وأنت في طريقك إلى العمل، فالذهاب والإياب يستغرق ساعة، فمعناه أنك تستمع إلى محاضرة واحدة في كلّ يوم، والمجال مفتوح أمام جميع الناس، وفي السابق كان المؤمنون يذهبون إلى العلماء في المساجد؛ لأجل الاستماع إلى دروسهم ومحاضراتهم، والآن يمكنك الاستماع إلى الدروس والمحاضرات وأنت جالس في بيتك في جوّ مريح صيفاً وشتاءً، وقد تنتظر الغداء عشر دقائق وأنت جالس على المائدة، فكّر كيف يمكنك الاستفادة من هذه الدقائق المعدودة، وأحد العلماء قال بأنه ألّف كتاباً خلال الأوقات الضائعة عند الناس، وبعد الغداء أنت تستلقي، وقد تنام بعد خمس أو عشر دقائق كيف يمكن أن تستفيد من هذه الدقائق في عالم الفكر بحيث تفكّر في موضوع نافع ؟

وخلال اليوم توجد ساعات ضائعة، وعند بعض الناس قد توجد خمس ساعات ضائعة في كلّ يوم، والإنسان عنده كثير من الأوقات التي يضيّعها ولا يستفيد منها .

سؤال من أحد الحاضرين :

فهمت من كلامكم أنّ الإنسان المؤمن الذي يسعى في ظهور الإمام عليه السلام ويساهم في ظهوره يجب عليه أن يتعلّم العلوم التي ذكرتموها من عقائد وأخلاق وأحكام فقهية، وإذا اقتصر الدّين على العلوم الثلاثة فهل معنى ذلك أنّنا لا ندرس العلوم الأخرى كالطبّ والفيزياء والكيمياء والأمور الحياتية؟ ألا تساهم هذه العلوم في ظهور الإمام عليه السلام؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

نسأل :

هذه العلوم الحديثة هل يوجد تكليف شرعيّ على المؤمنين بتعلّمها؟

الجواب :

نعم يوجد تكليف شرعيّ، والأعمال في المجتمع تكون على نحو الوجوب الكفائيّ، المجتمع يحتاج إلى أطباء مثلاً .

كم عدد الأطباء الذين يحتاجهم المجتمع؟

مثلاً نحتاج إلى طبيب لكلّ ألف من السّكان، فإذا كان عدد السّكان مليون شخص فيحتاجون إلى ألف طبيب، ويجب على جميع أفراد المجتمع توفير هذا العدد من الأطباء، وإذا لم يصل المجتمع إلى هذا العدد فجميع الأفراد يكونون مأثومين .

كم يحتاج المجتمع من أطباء وطبيبات؟

وكم يحتاج المجتمع من علماء فيزياء؟

كم أستاذ في الفيزياء يحتاجهم الطلبة في المدارس ؟

لنفرض أن كلّ مدرسة تحتاج إلى خمسة أساتذة في الفيزياء، وعدد المدارس ثلاثون مدرسة، فنحتاج إلى مائة وخمسين أستاذًا في الفيزياء، وقس على ذلك باقي التخصصات، وهذا ضمن الحكم الشرعيّ، والناس يظنون بأنّه إذا كان عندنا دين فلا يوجد دنيا، والدنيا تحت أحكام الدين أيضًا، والدين شامل لجميع مجالات الحياة، فكما أننا نحتاج إلى علماء الدين في المجتمع نحتاج أيضًا إلى التخصصات الدنيويّة .

نسأل : في بلدنا كم عالم دين نحتاج ؟

نفرض عالما لكلّ ألف شخص، وإذا كان عدد السكّان مليون فتحتاج إلى ألف عالم دين، وإذا لم يتوفّر ألف عالم دين فجميع أفراد المجتمع مأثومون، وإذا شخص ذهنيته جيّدة ويمكنه الذهاب إلى الحوزة فيوجد تكليف على المجتمع بأن يوفّروا له وسائل الذهاب مع توفير معاش شهريّ له، وصاحب المال الذي يمكنه أن يساهم في تعليم الطلبة يجب عليه المساهمة بماله، والشخص الذي لا يملك الأموال يمكنه أن يشجّع من يريد أن يذهب إلى الحوزة بالكلمة الطيبة، وإذا كان بعض الأولاد أذكياء وينفعون للدراسة في الحوزة فتكليف الأب أن يشجّعهم ويتكفل بدراساتهم، ويمكن لكلّ عائلة أن تنشئ صندوقًا لمساعدة طلبة الحوزة، ويتمّ جمع التبرّعات أو الاشتراكات الشهريّة من أفراد العائلة .

والحوزات تحتاج إلى الطلبة الأذكياء لا أن الطلبة الفاشلين دراسياً يذهبون إلى الحوزة، إذا كان الطالب فاشلاً في دراسته في المدرسة فإنه بشكل عام لن ينجح في الحوزة، ويوجد نماذج كانوا يأتون إلى الحوزة، كان فاشلاً في المدرسة، ويظن بأن الدراسة الحوزوية سهلة، فيأتي مدة أسبوع وينصدم بالدراسة فيرجع إلى البلد، فأول مادتين تدرسان هما النحو والمنطق، ويظن بأنه من السهل أن يصبح عالم دين، وطلبة الحوزة لا بد من أن يكونوا من الطلبة الممتازين في المدارس، فمن يحصل على نسبة التسعينات من المفروض أن يشجعه المجتمع للذهاب إلى الحوزة، لا أن يذهب جميعهم إلى الطب والهندسة فقط، نعم بعضهم يذهبون إلى الطب والهندسة، وبعضهم يذهبون إلى الحوزة، وكما ينتجون في الطب والهندسة سيكونون منتجين في الحوزة؛ لأن ذهبتهم علمية، فيمكنهم الفهم والاستيعاب والإنتاج في أي مجال علمي يكونون فيه، والطالب الذي تعود في المدارس على البحث والتفكير يمكنه أن ينتج في بحوث الحوزة، وأما إذا الطالب بالكاد ينجح في المدارس فلا يتوقع منه أن ينتج في الحوزة، نعم يمكن أن يكتسب مجموعة من المعلومات يستفيد منها في حياته، ولكنه لا يمكن أن يتحمل علوم الحوزة؛ لأنها تحتاج إلى ذهن يحفظ ويفهم ويحلل، والطالب الممتاز يعرف فنية الدراسة، ويعرف كيف يدرس، وطريقة الدراسة طريقة فنية، والطالب الذي يحصل على نسبة 62% لا تتوقع منه أن ينتج في الحوزة، إذا لم يمكنه الإنتاج في العلوم السهلة فبطريق

أولى لا يمكن أن ينتج في العلوم الصّعبة، وعلوم الحوزة علوم صعبة تعتمد على الحفظ والفهم والتّحليل، مثلاً الرّسالة العمليّة تحتاج إلى حفظ، والعلماء حينما يسألهم النّاس عن المسائل الشرعيّة فإنّهم يجيبون من حفظهم، نعم في بعض المسائل المعقّدة يحتاج العالم إلى مراجعة الرّسالة العمليّة، كما في مسائل الإرث، والعالم يجيب على الأسئلة في فقه العقائد وفقه الأخلاق وفقه العمل، وهذه المعلومات موجودة في ذهنه، وعنده حافظه وذاكرة، بالإضافة إلى الفهم والرّبط بين المعلومات، وعمليّة الرّبط بين المعلومات تعتمد على الفهم والتّحليل، فمن جهة العالم يحفظ المعلومات، ومن جهة أخرى هو يفهم ويحلّل ويعرف كيف يربط بين المعلومات .

وخلاصة الجواب هي أنّ العلوم الدّنيويّة تندرج أيضاً تحت الأحكام الدّينيّة، ووظائف المجتمع تكون على نحو الوجوب الكفائيّ، فكما أنّ دفن الميّت واجب كفائيّ على المؤمنين، فإذا دفن الميّت وصلّى عليه شخص واحد فيسقط التّكليف عن باقي المؤمنين، كذلك في المجتمع نحتاج إلى عدد من علماء الدّين وعدد من الأطبّاء وعدد من المهندسين وعدد من التّخصّصات الأخرى، ونحتاج إلى عدد من الحنّبازين وعدد من النّجارين وعدد من الحدّادين، وكلّ هذه الوظائف تكون تحت حكم الوجوب الكفائيّ، فالعلوم الحديثة تكون تحت أحكام الدّين، والمفروض على المسلمين توفير العدد الكافي من جميع التّخصّصات والوظائف التي يحتاجها المجتمع، وإذا توقّرت جميع

الوظائف سقط التكليف عن باقي المسلمين، وإذا لم يوفّروا العدد الكافي فجميعهم مأثومون، فيجب توفير العدد الكافي .

سؤال من أحد الحاضرين :

ما فهمته من كلامكم أنّ الأمور الحياتية الدنيوية أمر ثانويّ .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

لم أقل إنّ الأمور الحياتية الدنيوية ثانوية، بل هي من الأمور الرئيسية في المجتمعات، وقلت كما أنّ الصلاة على الميت من الواجبات الكفائية، كذلك توفير الوظائف الحياتية من الواجبات الكفائية أيضاً، والأمور الدنيوية والأمور الدنيوية كلّها تحت أحكام الدين، والوظائف الدنيوية ليست أمراً جانبياً، فالمجتمع يحتاج إلى علماء الدين، ويحتاج أيضاً إلى الأطباء والمهندسين والخبّازين والتّجارين والحدّادين، وكلّ الوظائف على نفس المستوى من الحكم الشرعيّ، والمجتمع لا بدّ من أن يكون مجتمعاً متكاملًا، والمجتمع الذي يحتوي على علماء دين بالعدد الكافي ولا يوجد فيه أطباء بالعدد الكافي يكون مجتمعاً ناقصًا، والمجتمع الذي يشتمل على أطباء بالعدد الكافي ولا يوجد فيه علماء دين بالعدد الكافي يكون مجتمعاً ناقصًا أيضاً، فالمجتمع يحتاج إلى علماء الدين وإلى الأطباء، وكذلك نحتاج إلى طبيبات ومدرسات في المجتمع بنفس المستوى من الحاجة، وتعلّم أحكام الدين من الواجبات العينية على كلّ مسلم، فيجب على كلّ مسلم أن يتعلّم أحكام الدين التي يحتاجها، كأحكام الصلاة والصّيام؛ لأنّ كلّ مسلم يجب أن

يصلّي ويصوم، وتعلّم أحكام الطّب من الواجبات الكفائيّة، ونحتاج إلى علماء الدّين؛ لأنّهم محاور الأُمّة، وهم صمّام الأمان من الضّلال، وهم يبيّنون أحكام قضايا المجتمع الدّينيّة والدّنيويّة، فعالم الدّين يشجّع الطّلبة للدّهّاب إلى الحوزات، ويشجّع أيضًا الطّلبة لدخول الجامعات وتعلّم جميع العلوم فيها، ونحتاج إلى مؤمنين أطباء ومؤمنين مهندسين ومؤمنين في باقي التّخصّصات، ونحتاج إلى عمليّة توازن في جميع التّخصّصات الدّينيّة والدّنيويّة، والآن طلبة المدارس يفكّرون في أن يكونوا مهندسين أو أطباء وغيرهما، فيقتصرون على هذه التّخصّصات، ولكن لا بدّ من أن يفكّروا في التّخصّصات الأخرى التي يحتاجها المجتمع، والبعض لا بدّ من أن يذهبوا إلى الحوزات العلميّة؛ ليرجعوا بعد ذلك إلى بلدتهم لخدمة المجتمع من ناحية دينيّة، وكما أنّ الآباء يشجّعون أبناءهم لدخول الجامعات، كذلك نحتاج إلى آباء يشجّعون أبناءهم للدّهّاب إلى الحوزات العلميّة؛ لكي يحصل المجتمع على حالة التّوازن في جميع التّخصّصات والوظائف، والتّوازن مطلوب في جميع المجتمعات .

الحاج فالخ غزال :

السؤال الأول : قلم إنّ من يقوم بالعمل الاجتماعيّ يصبح قدوةً، فهل من يرى من نفسه أنّه ليس قدوةً لا يقوم بالعمل ؟

والسؤال الثاني : أنّ المتصدّين للعمل الاجتماعيّ إذا لم يكونوا قدوةً فما هو تكليف المجتمع تجاههم ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

طبعًا الشخص الذي يريد أن يتصدى لا بدّ من أن تتوفر فيه شروط وصفات معيّنة، وهذه الشروط والصفات مطلوبة حتى في الأمور الدنيويّة، مثلًا الشخص لا يكون طبيبًا إذا لم يحصل على شهادة جامعيّة في الطبّ .

وفي التصدّي إذا كان الشخص لا يصلّي فهو لا يصلح لتعليم أحكام الدّين، فهو يدعو النّاس إلى الصّلاة، فالمفروض أن يكون من المصلّين، بل أكثر من ذلك هو لا يؤدّي الصّلاة كحركات وأقوال فقط، فهو يدعو النّاس إلى الاستفادة من الصّلاة، فالمفروض أنّه يعرف كيف يستفيد من الصّلاة، فيحتاج إلى علم ومعرفة، ولا يمكن أن يتصدّي الشخص بدون علم ومعرفة، والجاهل بأحكام الدّين لا يمكن أن يتصدّي لتعليم أحكام الدّين، مثلًا شخص يقوم بتدريس العقائد وهو لا يوجد عنده اطلاع كافٍ على العقائد، فالشّخص المتصدّي لا بدّ من أن يكون عنده العلم الكافي بما يتصدّي له، فهو في تحرّكه ستصادفه بعض المشاكل، فلا بدّ من أن يعرف تكليفه الشرعيّ فيها، وإذا لم يستطع أن يحدّد تكليفه فسيتخبّط في عمله، وهو يريد أن يتكامل من خلال تصدّيه، فلا بدّ من أن يعرف كيف يتكامل حينما يتصدّي، وفي جميع المجتمعات المتصدّون تجد منهم المتصدّي الصّالح والمتصدّي غير الصّالح، ودور النّاس أن يلتقوا حول المتصدّي المؤمن الصّالح، وأمّا من يتحرّك على أساس أهوائه ومصالحه

الشخصية فالمفروض أنّ الناس يتعدون عنه ولا يشجعونه في عمله، وإذا تركه الناس فإنه سيترك التصدي، والمؤمن الصالح هو الذي يصبح قدوةً في المجتمع بحيث يشجعونه ويعطونه زخمًا؛ لأجل أن يتحرك أكثر، وهو يمثل المؤمنين، وأفراد المجتمع لا بدّ من أن يفرزوا المتصدّين ويساعدون المتصدّي الصالح، وهو من يُظهِر المظهر الطيّب للدين، ويكون مثالاً للمؤمن الصالح، وهذا هو المطلوب منه، والمتصدّي غير الصالح من الممكن أن يشوّه الدين؛ لأنّه ينظر إلى مصالحه الشخصية فقط، وإذا كان يسعى خلف مصالحه الشخصية فإنه يتصدّى ويحاول من خلال شكله الدنيّ أن يصل إلى أهدافه الشخصية، فلا بدّ من أن يلتفتّ الناس حول المتصدّين المؤمنين الصالحين في قضايا المجتمع .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٢٥)

تابع عوامل تأخر ظهور الإمام عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الدين حينما يركّز على أيّ موضوع من المواضيع يكون هذا الموضوع مهمًّا جدًّا، فالدين في الآيات الكريمة أو الروايات الشريفة يركّز على بعض الأمور، وقد يأتي هذا الأمر في آية واحدة أو رواية واحدة .

مثلاً قد تأتي رواية واحدة بمعنى أنّ الصلاة عمود الدين .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "إنّ عمود الدين الصلاة، وهي أول ما يُنظرُ فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نُظرَ في عمله، وإن لم تصح لم يُنظرَ في بقية عمله"^(٢) .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ ، ٢٠/٤/٢٠١٢ م .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٢٧ ح ٥٤ .

نعم توجد مجموعة من الروايات تتكلم عن الصلاة، والرواية تقول
إنّ عمود الدين الصلاة، أي أنّها ركزت على أهميّة الصلاة، وتريد من
المؤمن أن يأتي بالصلاة؛ لأنّ بقيّة الأحكام مترتبة على الصلاة،
والمؤمن إذا أقام الصلاة فقد أقام الدين .

وفي الرواية بمعنى أنّ أول ما يُحاسبُ عليه الإنسان الصلاة، فإذا
قُبِلَتْ قَبْلَ ما سواها، وإذا رُدَّتْ رد ما سواها .

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام : "أول ما يُحاسبُ عليه العبد
الصلاة، فإذا قُبِلَتْ قَبْلَ سائر عمله، وإذا رُدَّتْ عليه رُدَّ عليه سائر
عمله" (١) .

فما يركّز عليه الدين من أمور فالمفروض أنّ المؤمنين يركّزون عليها،
فالمؤمن لا بدّ من أن يكون انعكاسًا لما يوجد في الدين، وتحرك المؤمن
يكون على أساس ما يريده الدين، فالدين هو المحرك للإنسان المؤمن،
والنبيّ صلّى الله عليه وآله انعكاس للقرآن الكريم، وكانت أفعاله وأقواله
وأخلاقه نابعة من القرآن الكريم، فكلّ ما يكون من أمور مهمّة في
الدين فالمؤمن لا بدّ من أن يركّز عليها .

وبالنسبة لقضية الإمام المهديّ عليه السلام نجد مئات الروايات التي
تركّز على هذه القضية مع التفصيلات الكثيرة الموجودة فيها، فالدين
ركّز على قضية الإمام المهديّ عليه السلام، وبالتالي فالمؤمنون لا بدّ
من أن يركّزوا عليها أيضًا؛ لأنّه أمر في غاية الأهميّة، ورغم التّعظيم

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٣٦ ح ٦٤ .

الإعلاميِّ ومحاربة مدرسة أهل البيت عليهم السّلام نجد أنّ هذه الروايات وصلت إلينا، وهذه الروايات تعتبر شيئاً قليلاً بالنّسبة إلى ما فُقدَ منها، وكثير من الكتب من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مفقودة، فعندنا الأصول الأربعمئة، وهذه الأصول كانت مروية عن الأئمة عليهم السّلام، وقد وصل إلينا من هذه الأصول ستّة عشر أصلاً، وهذه الأصول مع روايات الكتب الأربعة وروايات بحار الأنوار والكتب الأخرى تقدّم لنا شيئاً كثيراً، ولكن كثيراً من الروايات مفقودة، لذلك فالإمام المهديّ عليه السّلام حينما يظهر يأتي بدين جديد، وليس المقصود أنّه عليه السّلام يأتي بدين آخر غير الإسلام، وإنّما الأحكام تكون جديدة بالنّسبة لنا، فالفقهاء يعطوننا الأحكام الظّاهريّة، ولكنّ الإمام عليه السّلام يعطينا الأحكام الواقعيّة الموجودة في اللّوح المحفوظ، وإذا وصل الفقيه إلى حكم ظاهريّ فإنّ هذا الحكم يكون مبرئاً للدّمة، ولكنّ الإمام عليه السّلام حينما يظهر فإنه يبيّن الأحكام الواقعيّة، ويوجد بون شاسع بين الحكم الظّاهريّ والحكم الواقعيّ، ويأتي الإمام عليه السّلام بأحكام جديدة علينا، لذلك يقال بأنّه يأتي بدين جديد، ولا يُفصّدُ بأنّه يأتي بدين آخر غير الإسلام .

إنّ الدّين ركّز على قضية الإمام المهديّ عليه السّلام، وجعلها من القضايا المحوريّة للمؤمن، ودور المؤمن أنّه إذا عرف أنّ قضية كانت من القضايا الهامة فعليه أن يرجع إلى الآيات والروايات؛ لأجل أن يعرف كيف يتعامل مع هذه القضية، وما هي الأمور المطلوبة منه؛ حتّى

يمكنه أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، وهذا العمل ليس عملاً هيئياً، ولا يمكن أن يكون من الأنصار من غير أن يطّلع على الروايات الشريفة، ويعرف كيفية التعامل مع القضية، والأنصار لهم مواصفات معيّنة، وهذه المواصفات لا بدّ من أن تتوفر في المؤمن الذي يريد أن يصل إلى درجة الأنصار، فقبل أن يصبح من الأنصار لا بدّ من أن تكون عنده المعرفة بصفات الأنصار، ولا يستطيع أن يصبح من الأنصار بدون معرفة الصفات والتحقّق بها، فيأخذ بهذه الصفات ويطبّقها على نفسه، ويجسّدتها في نفسه، والأمر ليس عشوائياً، وليس من باب حظّك يا نصيب بأن يصبح هذا من الأنصار وذلك ليس من الأنصار، وهذه الصفات المعيّنة تكون من الدرجة الأولى، وإذا جسّدتها في نفسه من ناحية عقائديّة وناحية أخلاقيّة وناحية عمليّة فيصبح من الأنصار، ويعرف من خلال تطبيقه بينه وبين الله تعالى أنّه جسّد هذه الصفات في نفسه، ومثل هذا المؤمن يكون مستعدّاً لظهور إمامه عليه السّلام في أيّ وقت، وعنده الاستعداد الكامل إذا حصل الظهور، لا أنّه بعد أن يظهر الإمام عليه السّلام يقول : اعطوني فرصةً لأستعدّ .

الفرصة كانت موجودة قبل الظهور، وإذا ظهر الإمام المهديّ عليه السّلام ولم يكن عند الفرد اطلاع على الروايات الشريفة فأول شيء ينطق به مع الإنكار : ومن يقول إنّ هذا هو الإمام المهديّ عليه السّلام ؟

وحركة الإمام عليه السّلام مذكورة في الروايات بالتّفصيل، ويقف عليه السّلام بين الرّكن والمقام ويخطب في النّاس، وتوجد علامات سابقة تدلّ على ظهوره، وإذا لم يعرف المؤمن علامات الظّهور فإنّ هذه العلامات تمرّ عليه كباقي الأحداث العاديّة، والعلامات ليست شيئاً عاديّاً، فكلّ علامة تنبّه المؤمنين إلى قرب الظّهور، نعم لا يمكن معرفة وقت الظّهور، ولكن هناك علامات تعطي التّوقيت كظهور السّفيانيّ، وأنّه يحكم بمقدار حمل امرأة، يعني تسعة أشهر، وبعض الروايات تعطي التّوقيت، والسّفياني له موصفات معيّنة، وقد نكون الآن في بدايات عصر السّفيانيّ، وهو الخطّ الإرهابيّ الذي يعمل على السّاحة في جميع الدّول .

إنّ دور المؤمن أن يكون انعكاساً لما يركّز عليه الدّين، والمؤمن يهتمّ بالأمر التي يهتمّ بها الدّين، ويجسّد الصّفات المعيّنة في نفسه؛ حتّى يصبح مؤهّلاً لأن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ويمهّد الأرضيّة لظهوره عليه السّلام .

كان الكلام عن عوامل الضّعف التي تكون عند المؤمنين، وهذه العوامل تساهم في تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام، وتمهيد الأرضيّة لظهوره المبارك لا يمكن أن يصل إليه المؤمن مع وجود هذه العوامل، وطرحنا بعض العوامل، ونأتي إلى ذكر بعض العوامل الأخرى :

العامل العاشر :

يظنّ البعض بأنّ الإسلام لا يحمل الحلول لجميع مشاكل البشريّة،

ويعتقد المسلمون أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، وأنّه قادر على حلّ جميع مشاكل البشر، وهذا ادّعاء، والادّعاء يحتاج إلى دليل، لذلك نحتاج إلى بحوث في بيان أنّ الإسلام قادر على حلّ مشاكل البشر وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان، وأيّ مشكلة تقع في العالم دور العلماء أن يتناولوا هذه المشكلة ويبيّنوا الحلول الإسلاميّة لها .

وفي المسائل المستحدثة يعطي العلماء الحكم الشرعيّ لأيّ مشكلة، وعبر الزّمان الطّويل لم يقف علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام حائرين أمام أيّ مسألة، فكلّ مسألة لها حكم معيّن حتّى المسائل المستحدثة، لذلك في كلّ زمان توجد مجموعة من المسائل المستحدثة، والعلماء تصدّوا لهذه المسائل، وكانوا يبيّنون الحكم الشرعيّ على أساس الدليل، والحكم لا يكون على أساس الاستحسان، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السّلام علماءنا لا يأخذون بالاستحسانات، ومن يأخذ بالاستحسان يقول بأنّ هذا حكم جيّد، ثمّ يفتي على أساسه، والفقهاء في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يرجع إلى القرآن الكريم والنّبّي صلّى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة عليهم السّلام، وعلى أساس الدليل من الآيات والروايات يبيّن الحكم الشرعيّ، وإذا لم يجد الفقيه دليلاً من الآيات والروايات فإنّه يرجع إلى الأصول العمليّة، والتفصيل موجودة في كتب أصول الفقه، والعلماء لم يقفوا أمام أيّ مسألة حائرين، فيبحثون ويبيّنون الحكم، نعم يكتب الفقيه الجواب، وفي آخر الفتوى يكتب : والله أعلم .

فالفقيه يكتب الحكم الظاهريّ للموضوع، وعلى أساس الحكم الظاهريّ يتعامل مع المسائل المستحدثة، وكلّ مسألة مستحدثة يتصدّى الفقهاء لبيان الحلول، ونحتاج إلى بحوث أكثر في بيان أحكام الدين، وقد تختلف الآراء في الموضوع الواحد من فقيه إلى آخر بحسب الأدلّة التي تكون بأيديهم .

إذن :

الإسلام يقدمّ الحلول لجميع مشاكل البشر .

والبعض لا يعتقد بأنّ الإسلام يحمل الحلول لمشاكل البشر، والبعض الآخر يعتقد أنّ الإسلام يحمل جميع الحلول، ولكن قد يعتقد أنّ الإسلام غير قابل للتطبيق؛ لأنّ حلوله حلول نظريّة فقط، ولا يمكن تطبيقها، ولا يمكن أن تُحوّل إلى حلول عمليّة، لذلك يُطرَح موضوع وهو : هل الإسلام قادر على أن يحكم دولة أو لا ؟

ويوجد اعتراض على الدولة الدينيّة، ويقولون بأنّ الدولة الدينيّة تُقيّد الحريّات، وعلى الدولة أن تفتح الباب للحريّات، وأتباع جميع الأديان والمذاهب في الدولة تكون لهم حرّيّة الاعتقاد، ووجود الدولة لا يعني فرض الاعتقاد الواحد والرأي الواحد، ويعترض الناس على الدولة الدينيّة لهذا السبب، وحاليّاً من يتبنّى نظريّة الدولة الإسلاميّة يقول بالاعتقاد الواحد والرأي الواحد وتقييد حرّيّة الاعتقاد، ويعتبر نفسه القيم على الدين، وأنّ رأيه هو الرّأي الصحيح، ولا يوجد رأي صحيح آخر .

نقول بأنه يوجد رأي آخر، وحرية الاعتقاد مكفولة في الدولة الإسلامية، والإنسان يكون حرًا في ممارسة اعتقاداته وعباداته، وأتباع كل مدرسة من مدارس المسلمين يمارسون اعتقاداتهم وشعائرهم، نعم باب الحوار مفتوح بين جميع الأديان والمدارس والطوائف والمذاهب، وإذا لم توافق المدرسة الأخرى على رأيك فلا يجوز أن تكفر أتباعها وتخرجهم من الإسلام، وإذا كفرهم فإنه يدعو إلى قتلهم وقتلهم، وآراء كل مدرسة تكون على أساس الأدلة التي يعتقدون بصحتها، نعم يمكنك أن تناقشه وتحاوره لتبين أن اعتقاده باطل، ولكن إذا لم يقتنع فتركه، ولا يجوز التعرض لحياته وماله وعرضه، فدورك دور الكلام والحوار لا دور السيف والقتال والقتل، لذلك فإن الإسلام لا ينتشر بالسيف، وإنما بالفكر، والمستشرقون حينما أشكلوا على الإسلام كان بسبب هذه النظرية؛ لأن المسلمين كانوا يمارسون هذه النظرية، ولو رجعنا إلى تاريخ الإسلام كان الإسلام ينتشر في البلدان عن طريق التجار، فالتاجر كان يذهب إلى شرق آسيا، والأشخاص الذين أسلموا في شرق آسيا كان بداية إسلامهم على يد تاجر من التجار الذين كانوا يذهبون بتجارهم إلى تلك الدول، وقبره موجود هناك، فشخص واحد ذهب إلى تلك المناطق ونشر الإسلام بأمانته وصدقه، ولم ينتشر الإسلام هناك بالسيف والقوة والإكراه، ولكن ممارسات المسلمين كانت تشوه نظرية الإسلام في نشر الدين، والمسلمون ليسوا مقياسًا للإسلام إلا بقدر ما يعكسون من الدين، ولكن المشكلة أن

النّاس لا يفصلون بين الإسلام والمسلمين، والمفروض أن يكون هناك فصل بينهما، نعم إذا عمل المسلمون على أساس الدّين وكانوا انعكاسًا للدّين فبمقدار الانعكاس يمكن الاعتماد عليهم، ولكن قد يكون عمل المسلمين على أساس الآراء الشّخصيّة، فلا يعتبر انعكاسًا للدّين .

والدّين كفعل الحرّيّات في الدّولة الإسلاميّة، لذلك فالإمام عليه السّلام حينما يظهر سينشر العدل في العالم، وأساس الدّين هو العدل، ويكون الإمام عليه السّلام عادلاً في القضايا الاجتماعيّة، ونحتاج إلى العدالة في هذه القضايا، وكلّ إنسان في الدّولة الإسلاميّة يأخذ حقّه، ولا يوجد إنسان مهضوم الحقّ، ودور الحاكم هو أن ينشر العدل في الدّولة، والتكليف الأوّل لأيّ حاكم أن ينشر العدل في المجتمع، بحيث لا يوجد ظالم ومظلوم، فيأخذ الحقّ من الظالم ويرجعه إلى المظلوم، لذلك لا بدّ من أن يكون القضاء مستقلاً عن الحاكم، بحيث لا يوجد أيّ تأثير خارجيّ على حكم القاضي، والقاضي يحكم بحكم الله تعالى، ويشترط في القاضي أن يكون فقيهاً، ومع عدم كونه فقيهاً ينقل عن الفقهاء، ولا يحكم برأيه الشّخصي، والقاضي له دور أساسيّ في الدّولة .

إذن :

نحن نعتقد بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، والبعض لا يعتقد بهذا، والبعض الذي يعتقد بهذا يعتقد أنّ حلول الدّين حلول

نظريّة غير قابلة للتطبيق، ولكن دليلنا هو أنّ الدّين سينتشر في العالم، وكلّ إنسان يحصل على حقوقه في الدّولة العالميّة، وهي دولة دينيّة، ولكنّها دولة دينيّة تقوم على إرساء العدل وإعطاء الحقوق لأصحابها والحرّيّات المقيّدة بالقانون الإلهي .

العامل الحادي عشر :

عدم تطبيق الدّين بجميع أحكامه على المستوى الفرديّ، فإذا لم يطبّق الفرد الدّين بحذافيره على نفسه فمعنى ذلك أنّ هذا الفرد لا يكون مؤهّلاً للعمل على تطبيق الدّين ونشره على المستوى العالميّ .

مثلاً شخص لا يصلّي ويريد أن ينشر الصّلاة في العالم، وشخص لا يكون عادلاً ويريد أن ينشر العدل في العالم، هذا من غير المعقول، وشخص يكون فاسداً ويريد أن ينشر الصّلاح في العالم .

فرد يلتزم بالواجبات ويترك المحرّمات، وهذا هو المستوى الأدنى، ويصعد قليلاً فيلتزم بالمستحبّات ويترك المكروهات، وهذا المستوى الأوسط، ويصعد أكثر ويعرف كيف يتعامل مع المباحات، فتوجد مباحات ينبغي أن يعمل بها، ومباحات ينبغي أن يتركها، وهذا هو المستوى الأعلى، وأنصار الإمام عليه السّلام يكونون ضمن المستوى الأعلى، وهم الذين يعرفون كيف يتعاملون مع المباحات، والمؤمن لا يتميّز في الواجب والحرام، فكلّ مسلم يأتي بالواجبات ويترك المحرّمات، ولا يتميّز في المستحبّ والمكروه؛ لأنّ نظره يكون إلى الثّواب، فيوجد مقابل في الإتيان بالمستحبّات وترك المكروهات، ولكنّ المؤمن يتميّز

في كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مع المباحات، والمباحات الموجودة حول الإنسان
كثيرة .

كيف يتعامل مع هذه المباحات ؟

وعلى أيّ أساس يأتي بهذا المباح ويترك المباح الآخر ؟

لا يمكن للمؤمن أن يتحرّك بلا مقاييس، ويسير المؤمن في تعامله
مع الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه بمقياس، وبنفس هذا المقياس
يجري في التّعامل مع المباحات، لا أنّه ثواب وعقاب فقط، فمن يريد
أن يصبح من الأنصار يكون نظره إلى الله تعالى، ولا يقبل أن يراه الله
على معصية حتّى بدون النّظر إلى وجود العقاب، فيتوجّه إلى العبادة
لأنّ الله عزّ وجلّ أهل للعبادة، والأنصار يكونون على هذا المستوى،
فالقادة الثلاثمائة وثلاثة عشر يكونون خلاصة البشريّة، ويوجد ستّة
مليارات شخص في العالم، ومن هؤلاء البشر يوجد ثلاثمائة وثلاثة
عشر قائداً للأنصار، ونسبة القادة إلى عدد سكّان العالم نسبة قليلة
جداً، فخيرة البشر هم هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر، ولا يمكن أن
نفترض وجود شخص أفضل من هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر، وإلاّ
لأخذ مكان أحدهم، ولا نكون مثل ذلك الشّخص الذي يقول بأنّه
يكفي أن أصبّ الشّاي في جيش الإمام عليه السّلام، نقول إنّ هذا
لا يكفي، والإنسان لا بدّ من أن تكون نظره إلى قمّة الجبل، ونرى
أنّ الإنسان في الدّنيا لا يكتفي بالقليل، فيطلب الزّيادة في المعاش
الشّهري، وإذا لم يحصل على الزّيادة في المال فإنّه مستعدّ لأن يخرج في

مظاهرات، ويوجد بين الناس تنافس على الدنيا، والحصول على دنيا أكثر .

لماذا يقنع الإنسان بالقليل في المقامات الإيمانية ؟

لماذا لا يتنافس مع الآخرين في الحصول على هذه المقامات ؟

لماذا لا يوجد تنافس بين المؤمنين للوصول إلى مرتبة أنصار الإمام

المهدي عليه السلام ؟

والتنافس لا بدّ من أن يوجد بين المؤمنين في أن يصلوا إلى مرتبة الأنصار الثلاثمائة وثلاثة عشر، بل يكون أفضل الأنصار، لا فقط أحدهم بل أفضلهم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وجميع المؤمنين في حلبة سباق وتنافس، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يكون نظره إلى أن يصل إلى درجة الأنصار، وتنافس جميعاً في ذلك .

ومن فطرة الإنسان أنّه يريد أن يكون الأكمل، نعم يخطئ في تشخيص مصداق الأكمل، فيعتقد أنّ زيادة خمسين ديناراً على معاشه يسبّب الكمال المادّي، ولكنّه مخطئ في تحديد مصداق الكمال، والكمال المعنويّ هو الكمال الحقيقيّ للإنسان، والكمال الحقيقيّ متمثّل في أنصار الإمام المهديّ عليه السلام، والأكمل يتمثّل في أفضلهم وأقربهم من الإمام عليه السلام، والأنصار على درجات، ولا يوجد اثنان متساويان في كلّ أمر، فإذا اجتمع اثنان فأحدهما أفضل من الآخر في جهة من الجهات، فانظر إلى الإمام عليه السلام، وكن أفضل الأنصار بحيث تكون صاحب سرّ الإمام عليه السلام،

ولا بدّ من أن تكون هذه النظرة موجودة عند كلّ مؤمن، لا فقط من الأنصار بل أفضل الأنصار، ويكون نظرنا إلى قمّة الجبل، والإنسان الذي ينظر إلى قمّة الجبل فإنّه يصعد؛ لأجل أن يصل إلى القمّة، ولكن إذا نظر إلى منتصف الجبل فإذا وصل إلى المنتصف فإنّه يقف؛ لأنّه وصل إلى غايته، والكمال لا نهائيّ، ويصعد المؤمن في مدارج الكمال، ولا يوجد حدّ تقف فيه حينما يكون نظرك إلى الله تعالى، فهدفك الوصول إلى الكمال المطلق الذي لا حدّ له، وهو الله عزّ وجلّ، وطبعًا لا تصل إلى الكمال المطلق، ولكن تحصل على نسبة منه، وتحاول أن تحصل على أكبر نسبة، ويكون نظرك إلى المعصوم عليه السّلام، والتّبيّ صلى الله عليه وآله حصل على أكبر نسبة، ولا يمكن أن نصل إلى درجة المعصوم عليه السّلام بسبب عدم وجود الصّفات التي تؤهّلنا لأن نكون معصومين .

وصفات المعصومين عليهم السّلام ليست إجباريّة، فالمعصوم عليه السّلام لم يُجَبَر على أن يكون معصومًا، وإمّا باختياره وصل إلى درجة العصمة بتوفيق من الله تعالى، فهو في عالم الذّر كان مطيعًا لله عزّ وجلّ تمام الطّاعة، فجعله الله في الدّنيا من المعصومين؛ لأنّ نظره فقط و فقط إلى الله تعالى، ويمكن للإنسان أن يصل إلى درجة العصمة من ناحية عمليّة عن طريق الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات، فإذا التزم الإنسان بالواجبات وترك المحرّمات فإنّه يصبح معصومًا من ناحية الفقه العمليّ، وهي ما تسمّى بـ "العصمة الصّغرى"، وهي ليست

كالعصمة الموجودة عند المعصومين عليهم السّلام من الأنبياء عليهم السّلام والتّبيّ صلى الله عليه وآله وفاطمة الزّهراء عليها السّلام والأئمّة عليهم السّلام، ويمكن لكلّ إنسان أن يكون معصومًا بالعصمة الصّغرى، أي يكون معصومًا من ناحية عمليّة حينما يلتزم بأحكام الفقه العمليّ، كما كانت زينب الحوراء عليها السّلام المعصومة بالعصمة الصّغرى، وكذلك العباس عليه السّلام، والباب مفتوح أمام كلّ مؤمن بأن يحصل على العصمة الصّغرى إذا وقر شروطها في نفسه والتزم بأحكام الدّين التّزامًا كاملاً .

والمؤمن لا بدّ من أن يحرص على تطبيق الدّين على المستوى الفرديّ؛ لكي يكون مؤهلاً لتطبيقه على المستوى العالميّ، وأن ينشر العدل في العالم، وإذا لم يلتزم الشّخص بالدّين على المستوى الفرديّ فلا يمكن أن يكون مؤهلاً لأن ينصر الدّين على المستوى العالميّ، وهذا أمر طبيعيّ .

والشّخص حينما يريد أن يحمل الأثقال يبدأ بعشرين كيلوجرام مثلاً ثمّ يصعد تدريجيّاً إلى أثقال أكبر إلى أن يصل إلى مائة كيلو، والبعض يرفع مائتي كيلو، ويتدرّج في رفع الأثقال، ولكن إذا لم يمكنه حمل عشرين كيلو فيستحيل أن يحمل مائتي كيلو، لذلك من يريد أن يسير على مدارج الكمال فإنّه يتدرّج في الصّعود درجة بعد درجة، يبدأ الحركة، وفي كلّ يوم يحصل على درجة من الكمال، ويصعد تدريجيّاً إلى أعلى درجات الكمال .

العامل الثاني عشر :

البعض يأتي في ذهنه أنّه في عصر الغيبة الكبرى لا نحتاج إلى التّحرّك الاجتماعيّ على المستوى العامّ، فيظنّ بأنّ المطلوب من المؤمن في زمان الغيبة عدم التّحرّك الاجتماعيّ، ويقول بأنّ مهمّة الإمام عليه السّلام هي التّحرّك الاجتماعيّ ونشر العدل في العالم، وأنّ المؤمن يقتصر على الأعمال الفرديّة فقط، وقد يتحرّك اجتماعيًّا في نطاق محدود في حدود أسرته فقط .

نقول بأنّ المطلوب من كلّ مؤمن التّحرّك الاجتماعيّ، والمطلوب من كلّ مؤمن أن يكون داعيةً وخادمًا للدين، فكما أنّ الدّين يخدم الإنسان ويعطيه الجنّة، ففي مقابل ذلك ماذا قدّم للدين ؟

إذا كان المؤمن يصليّ ويصوم ويحجّ فهذا عمل على المستوى الفرديّ، وهذا المقدر فقط لا يؤهّله فيما بعد لأن يسعى في نشر العدل في العالم، وإذا لم يتعوّد المؤمن من البداية أن يحمل همّ الدّين ويساهم في نشره بين النّاس في المجتمع فمعناه أنّه لا يحمل همّ الدّين، وإذا لم يحمل همّ الدّين ويهتمّ به فلا يكون مؤهلاً لنشر العدل في العالم .

والإمام المهديّ عليه السّلام يرى المؤمنين ويعرف مواصفاتهم؛ لأنّ صحائف الأعمال تُعرضُ عليه، لا صحائف الأعمال الخارجيّة فقط، بل إنّ الإمام عليه السّلام عنده اطلاع حتّى على التّفسيّات والصّفات الباطنيّة القلبيّة، لذلك فإنّه عليه السّلام حينما يختار

الثلاثمائة وثلاثة عشر فإنه يختارهم على أساس مواصفاتهم الباطنية والخارجية، والإمام عليه السلام لا يختار الأنصار بعشوائية، ونحن في القضايا الاجتماعية لا نعلم بواطن الأشخاص الذين نختارهم للعمل معنا، فنحن نحكم على ظواهرهم، فإذا كان ظاهره التدين فنختاره للعمل، مثلاً في مسجد أو إدارة في مركز إسلامي يختارون المشاركون على حسب ظواهرهم، ولا يعلمون بواقعهم الديني في بيوتهم، وأمّا الإمام عليه السلام فيختار أنصاره على أساس بواطنهم وواقعهم لا على ظواهرهم، ويكون ضمن مواصفات خاصة، والإمام عليه السلام يعلم بواقع الأشخاص وبواطنهم، فمن ناحية عقائدية يعلم بأن عقائده صحيحة، ولا توجد عنده شبهات في العقائد بحيث تحرفه عن العقائد الصحيحة، ومن ناحية قلبية صفاته الباطنية سالحة، والناس في التعامل معه يرون أنه مؤمن صالح، والمؤمن الصالح لا يدخل في مشاكل مع الناس، بل يحاول حلّ المشاكل والإصلاح بين الناس، ولا يكون منبعاً لمشكلة، نعم يحاول حلّ المشكلة، ولكن الأطراف الأخرى قد لا تقبل بحلولة للمشاكل، حتى لو كان صاحب المشكلة زوجته أو زوجها، وحينما نقول المؤمن الصالح فلا نقصد الرجل فقط، بل نقصد الرجل والمرأة الصالحين، لذلك فالمؤمن الصالح والمؤمنة الصالحة لا يكونان مصدرًا من مصادر المشاكل في المجتمع، وحتى في بيتهما يكونان منشأ للخير والصّلاح مع أفراد العائلة، والزوجة تعرف حقيقة زوجها جيّدًا، والأولاد يعرفون واقع أباهم جيّدًا، نعم في خارج

البيت لا يعرفه الآخرون إلا على أساس ظاهره، وأنت تتعامل مع المعتم على ظاهره، ولكن زوجته وأولاده يعرفون حقيقته وواقعه، والمؤمن الصالح مواصفاته تظهر داخل البيت وخارجه، ولا يتعامل مع زوجته وأولاده ومع الناس بطريقتين مختلفتين، والزوجة والأولاد من خلال العشرة يعرفون أباهم أنه مؤمن صالح أو لا، والزوجة التي تعيش مع زوجها عشرين أو ثلاثين سنة تعرف حقيقة زوجها، وهو مع زوجته يتعامل بإيمانه وصلاحه، ولا يكون في بيته بوجه، ويكون خارج بيته بوجه آخر، كما تشتكي بعض الزوجات بأن الزوج أمام الناس صاحب أخلاق عالية، ولكن انظر إليه داخل البيت كيف يتعامل معي ومع أولادي .

وفي قصة حقيقية تقول إحدى الزوجات بأن زوجها خارج البيت مع الناس له أخلاق عالية جدًا، ولكنّه في البيت وأنا زوجته مدّة ثلاثين سنة، وفي كلّ يوم يضربني .

هذا الشخص أمام الله تعالى صاحب مجاملات مع الناس، وأخلاقه الحقيقية تظهر في البيت، فأخلاقه أمام الله سيئة جدًا، ومثل هذا الشخص لا يختاره الإمام عليه السلام ليكون من الأنصار، والإنسان المؤمن لا بدّ من أن يكون ذا وجه واحد أينما كان، داخل بيته أو خارجه، ولا توجد عنده وجوه متعدّدة .

وفي الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد :
" . . . يا ربّ أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمايك أن

تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك موصولةً،
وأعمالي عندك مقبولةً؛ حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدًا،
وحالي في خدمتك سرمدًا . . . " .

إنّ أعمال المؤمن وأوراده كلها ورد واحد، والمؤمن في جميع أعماله
عنده طريق واحد واتّجاه واحد، وهو اتّجاه الله عزّ وجلّ .

والمطلوب من كلّ مؤمن العمل على نشر العدل بالمقدار الممكن
له، ويبدأ من الدائرة الضيّقة إلى الدائرة الأوسع، فيبدأ بتطبيق العدل
أولاً في نفسه، ثمّ ينشر العدل في بيته، ثمّ في مكان وظيفته إذا كان
مسؤولاً، ثمّ في مجتمعه المحليّ بحسب المنصب والمكانة الموجودة عنده،
ثمّ في المجتمع العالميّ بحسب قدرته واستطاعته، والمؤمن ينشر العدل
في كلّ مكان يتواجد فيه، فهو عادل ومؤهلّ لنشر العدل في العالم،
وليس المطلوب من المؤمن التّحرّك الفرديّ فقط أو التّحرّك داخل دائرة
ضيّقة، بل المطلوب منه التّحرّك العالميّ، والمؤمن المعتمّ له دور أكبر
من دور المؤمن غير المعتمّ، وليس بالضرورة أنّ من يكون عنده
معلومات أكثر عن الإمام عليه السّلام أن يكون من الأنصار، وكون
المؤمن من الأنصار ليس مترتباً على كثرة المعلومات، وإنّما مترتب على
الإخلاص والعمل بهذه المعلومات، لذلك فمن الممكن أنّ مؤمناً
عادياً يكون من الأنصار، والمعتمّ لا يكون من الأنصار، كما في قصة
صاحب الأقفال .

كان أحد العلماء يرجو اللقاء بإمام الزّمان عليه السّلام، وكان

المشهور في النَّجف الأشرف أنّ من يريد لقاء الإمام عليه السّلام عليه أن يذهب إلى مسجد السّهلة أربعين ليلة أربعاء، فذهب العالم إلى مسجد السّهلة لهذه الفترة، ولكنّه لم يصل إلى غايته، وحصل له صفاء باطنيّ، فسمع صوتاً يقول له : ستمكّن من رؤية الإمام عليه السّلام إذا سافرت إلى المدينة الفلانيّة، وسيكون طريق السّفر صعباً، ولكن ستهون الأمور .

ووصل بعد أيّام إلى تلك المدينة، وسمع الصّوت مرّة أخرى : إنّ الإمام عليه السّلام موجود في سوق الحدّادين الآن، وهو جالس على باب دكّان رجل كبير السنّ يصنع الأقفال .

وذهب العالم إلى السّوق، ورأى الإمام عليه السّلام جالساً هناك وهو يكلم الرّجل بكلّ محبّة، فألقى العالم السّلام، وأجابه الإمام عليه السّلام وهو يشير إليه بالسّكوت، فأطاع وتنحّى جانباً .

ورأى امرأةً عجوزاً تستعين بعكّاز، وأقبلت تعرض قفلاً بيد مرتعشة، وقالت للرّجل : أيمنك لوجه الله تعالى شراء هذا القفل منّي بثلاث شاهيّات (عملة ذلك الوقت) ؟

أخذ الرّجل القفل فوجده سالماً، فقال : هذا القفل يساوي ثماني شاهيّات، وقيمة مفتاحه شاهيّين، ويمكنني أن أصنع لك مفتاحاً، فتصبح قيمته عشر شاهيّات .

قالت العجوز : لست بحاجة لذلك، اشتر منّي القفل بثلاث شاهيّات .

قال صاحب الأفعال : أدفع لك سبع شاهيات؛ حتى أريح شاهياً واحداً .

ولم تصدق المرأة العجوز أنّ هذا الرجل يتكلم بجدية، وأخيراً اشترى منها القفل بسبع شاهيات .

فقال الإمام عليه السلام للعالم (بما معناه) : هل رأيت هذا المشهد؟، كونوا هكذا، واعملوا بهذه الطريقة؛ كي آتي بنفسي إليكم، . . . اعملوا العمل الصالح، وكونوا مسلمين . . . ومن كلّ هذه المدينة لم أختز غير هذا الرجل؛ لأنّ لديه ديناً، ويخشى الله تعالى، وهذا امتحان قد أدّاه بنجاح، فمن أول السوق كانت هذه العجوز تعرض حاجتها، ولكنهم لمّا علموا حاجتها أرادوا شراء القفل منها رخيصةً، ولم يشتروه أحد منهم بثلاث شاهيات، ولكنّ هذا الرجل صاحب الأفعال اشتراه منها بسبع شاهيات، فما من أسبوع إلا وآتي أطيّب خاطره، وأسأل عن أحواله (١) .

هذا هو الإنسان الذي يطبّق العدل في عمله، والآن اذهب إلى السوق وعندك سيارة تريد أن تبيعها، والدّلال يعرف أسعار السيارات في السوق، تقول له مثلاً بأنّك تريد مائتي دينار، وهو يعلم أنّ سيّارتك قيمتها في السوق ألف دينار، فيأخذها منك بسعر مائتين، ولا يقول لك كم سعرها في السوق، ويكون البائع مغبوناً، وله حقّ في باقي السّعر، ويظلّ في ذمّة الدّلال، وللبائع حقّ الغبن، ويمكنه أن

(١) كيمياء المحبّة للشيخ محمد الرّيشهريّ، وقد نقلت القصة بتصرّف .

يطالب بباقي السّعر في أيّ وقت إذا عرف بعد ذلك، وإذا لم يعرف فإنّ المبلغ يبقى في ذمّة الدّلال إلى يوم القيامة، ويسترجع المغبون حقّه من الدّلال في يوم القيامة، وهذا الدّلال لا دين له، ولا يخشى الله عزّ وجلّ، بخلاف صاحب الأقفال الذي يطبّق الحقّ والعدل، فأعطى حقّ المرأة العجوز، والمؤمن يعطي حقوق الآخرين حتى لو لم يعرفوا أنّ لهم حقًّا، فكان صاحب الأقفال عادلاً في تعامله مع المرأة، وليس بالضرورة أنّ الطّرف الآخر يطالب بحقه .

والآن كم شخص في مجتمعات المسلمين بل في العالم يكون مثل صاحب الأقفال ؟

وكم من المؤمنين عندهم قضايا ماليّة في المحاكم : بين الرّوج والزّوجة في مشاكل الطّلاق والأولاد وبين الشّريك وشريكه في التجارة ؟ والمشاكل لها حلول شرعيّة، ولا تحتاج إلى محكمة، والقضيّة تظلّ سنوات وسنوات في أروقة المحاكم، وقد تمتدّ إلى عشرات السّنوات . وأحد المؤمنين في أحد المساجد كان عنده مشكلة ماليّة مع مؤمن آخر، وكلاهما يصلّيان في نفس المسجد، وأسّسا شركة تجاريّة، والشّركة تمّ تسجيلها باسم أحدهما، ومن سُجِّلَتْ باسمه قال لصاحبه : المال مالي، وأنت ليس لك شيء في الشّركة .

وهما يصلّيان صلاة الجماعة في نفس المسجد خلف إمام واحد، والقضيّة في المحكمة، ومن أخذ الأموال يعلم يقيناً بأنّه أخذ ما ليس من حقّه، والمبلغ قليل، وهو عشرة آلاف دينار فقط، طبعا إذا صدق

هذا المؤمن الذي نقل لي الموضوع في كلامه، والطرف الآخر لم أسمع كلامه، وطلبت منه أن أتدخل لحلّ قضيتيها فرفض، ولا أدري سبب الرفض، ولا أدري هل هناك شيء لم يخبرني به أو لا .

هنا أحدهما يعرف أنّه كاذب، ولم يطبق العدل والحق، والحلّ سهل جداً، وهو أنّه توجد أحكام شرعية، ونرجع إليها في حلّ المشاكل .

في قضايا الطلاق والأولاد توجد أحكام شرعية مذكورة في الرسالة العملية، وحقوق الأب والأم والأولاد موجودة في ضمن المسائل، ويحتاجان إلى القاضي؛ لأنّ أحد الطرفين ظلم الطرف الآخر، ولو أنّهما ذهبا إلى أحد العلماء لتّم حلّ المشكلة في دقيقة واحدة، ولكن بشرط أن يوجد تقبّل الحكم الشرعيّ من الطرفين، وأنّ يسلمّا للحكم الشرعيّ تسليمًا كاملاً ولو كان الحكم ضدّ مصلحته .

يقول القرآن الكريم :

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (١) .

والمشكلة هي أنّه لا يوجد التسليم القلبي والخارجي للحكم الشرعيّ، وإذا كان المؤمن يسلم بالحكم الشرعيّ فيأخذ بالحكم مع الرضا به حتّى لو كان على خلاف مصلحته، والزوجة تقول بأنّ الحضانة لها شرعاً وقانوناً إلى سبع سنوات، وحينما يصل عمر الولد إلى سبع سنوات يكون الشرع والقانون مع الزوج، فهل الزوجة عندها

(١) النساء : ٦٥ .

الاستعداد لتسليم الولد للأب تطبيقاً لنفس الحكم الشرعي والقانوني
الذي احتجت به؟!!

هل تقول للأب : انتهت حضانة الولد لي، والآن حضانة الولد
لك، فاستلم ولدك؟!!

هل توجد امرأة تفعل هذا؟!!

وكذلك الزوج هل يسلم بالحكم الشرعي؟!!

والأمر لا يحتاج إلى المحكمة، فلا يحتاج أن يذهب الأب والأم إلى
القاضي .

هل تقول الأم : الآن عمر الولد سبع سنوات، فيمكنك أن تأخذه
أو تتركه عندي؟!!

هل يوجد مؤمن أو مؤمنة بهذه الكيفية الآن؟!!

والآن نسبة الطلاق في مجتمعنا في المحاكم تصل إلى ٧٨% بحسب
اللقاء التلفزيوني قبل كم يوم مع أحد موظفي المحكمة، وهذه النسبة
عالية جداً، ونفس مشكلة الطلاق تحتاج إلى حل، والحلول الشرعية
موجودة في الرسالة العملية، ولكن المشكلة الرئيسة أن النفوس لا تقبل
الحكم الشرعي، وعدم قبول الحكم الشرعي إذا تعارض مع المصلحة
الشخصية مشكلة نفسية عند المؤمن والمؤمنة، والإمام عليه السلام لا
يختار المؤمن الذي لا يسلم بالحكم الشرعي تسليمًا مطلقًا، وإذا كان
لا يسلم بالحكم الشرعي فيستحيل أن يصل إلى درجة الأنصار،
لذلك فالمؤمن الحقيقي عنده تقبل وتسليم بالأحكام الشرعية .

ونترك بقيّة عوامل تأخّر ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام إلى المحاضرة القادمة، ونفتح المجال للأسئلة والتعليقات من الحاضرين، والسؤال نصف العلم، فاسأل حتى تتعلّم دينك .
والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :
الحاج عادل الحدّاد :

النقطة الأولى بالنسبة لأنصار الإمام عليه السّلام في دعاء العهد يشير إلى أنّي إذا بُعثتُ فأكون شاهراً سيفي ملبياً دعوة الداعي إذا دعان، ما هو تعليقكم على هذا الموضوع ؟
والنقطة الثانية في رواية تبين أنّ الإنسان ينظر إلى من دونه ولا ينظر إلى من أعلى منه، هل هذه الرواية لها منحى آخر بالنسبة لكلامكم عن الحركة نحو الكمال ؟
جواب الشيخ محمد أشكناني :

بالنسبة للنقطة الأولى فعبر الزّمان هناك أنصار بالمواصفات الخاصة، وهؤلاء إذا انتقلوا إلى العالم الآخر ففي بعض الروايات أنّ بعض الأشخاص يرجعون إلى الدّنيا مرّة أخرى، ويصبحون من أنصار الإمام عليه السّلام، والنبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام يرجعون إلى الدّنيا، وأصحاب الكهف يرجعون ويساهمون في نشر العدل في العالم مع الإمام عليه السّلام، وهذه هي قضيّة الرّجعة التي نعتقد بها،

وهي أنّ بعض الأشخاص يعلم الإمام عليه السّلام أنّهم من الأنصار بالمواصفات الخاصّة، فيختارهم من الأحياء والأموات بحيث يكونون من الأنصار، فيرجعون إلى الدّنيا مرّة أخرى .

والدليل القرآنيّ على الرّجعة هو أنّ الله تعالى يرجع فوجًا من كلّ أمة، وأمّا في يوم القيامة فالله عزّ وجلّ يرجع جميع النّاس لا فوجًا من كلّ أمة .

"وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا . . . وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ" (١) .

"وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا . . ." (٢) .

والإشكال الذي يأتي هو أنّ الشّخص إذا مات فإنّه يستحيل أن يرجع إلى الدّنيا .

والجواب أنّه إذا راجعنا الرّوايات عن الدّجال من أنّه يقتل شخصًا ثمّ يرجعه إلى الحياة مرّة أخرى، طبعًا بإذن الله تعالى، فإذا مات الشّخص فلا توجد استحالة في رجوعه إلى الدّنيا مرّة أخرى، وإذا كانت عند الدّجال القدرة على إحياء الموتى بإذن الله تعالى فكيف لا توجد هذه القدرة بإذن الله تعالى عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام!؟

(١) التّمل : ٨٣-٨٧ .

(٢) الأنعام : ٢٢ .

عن أبي سعيد الخدري قال : حدّثنا رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم حديثاً طويلاً عن الدّجال، فكان فيما حدّثنا به أن قال : يأتي الدّجال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة - بعض السّباخ التي بالمدينة - ، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير النّاس - أو من خير النّاس - ، فيقول : أشهد أنّك الدّجال الذي حدّثنا رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم حديثه، فيقول الدّجال : أرايتم إن قتلت هذا ثمّ أحيتته، هل تشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتله ثمّ يحييه . فيقول حين يحييه : والله ما كنت قطّ أشدّ بصيرةً منّي اليوم . فيقول الدّجال : أقتله فلا أسلّط عليه (١) .

والقدرة على إحياء الموتى من صفات الله تعالى، وقدرة الله ذاتية، والله عزّ وجلّ يمكنه أن يعطي هذه القدرة لأشخاص، كما للمسيح عيسى بن مريم عليهما السّلام، فإنّه يحيي الموتى بإذنه تعالى، ويشفي الأكمه والأبرص بإذنه تعالى بدون استعمال أيّ دواء، والقرآن صريح في ذلك حينما يتكلّم عن نبيّ الله عيسى عليه السّلام .

يقول القرآن الكريم :

"وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

(١) صحيح البخاريّ ج ٣ ص ٢٢ ح ١٨٨٢، صحيح مسلم ج ٤

ص ٢٢٥٦ ح ٢٩٣٨، مسند أحمد بن حنبل ج ١٧ ص ٤١٩ ح ١١٣١٨ .

تَدَخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (١) .

فالإشكال على أنّ بعض الأشخاص يرجعون إلى الدنيا ويحيون بعد موتهم هذا الإشكال مردود، ولا يوجد أيّ إشكال عقائديّ على ذلك ما دام أنّ الله قادر عليه، ويعطي هذه القدرة لبعض الأشخاص، فالولاية التكوينية لله تعالى مطلقة، ويعطي الولاية التكوينية الجزئية لبعض الأشخاص في بعض الأمور، فتكون لعيسى عليه السلام الولاية التكوينية في شفاء المرضى وإحياء الموتى .

وبعض الأموات سيرجعون إلى الدنيا، والمؤمن يحرص على أن تكون مواصفات الأنصار موجودةً فيه حتى لو انتقل إلى العالم الآخر، لعلّ الإمام عليه السلام يختاره من بين الأموات؛ لأجل أن يكون من الأنصار، ويأتي لنصرة الإمام عليه السلام حين الظهور، فإذا بُعث يكون شاهرًا سيفه ملبيًا دعوة الداعي إذا دعاه .

وبالنسبة للنقطة الثانية أنّ الإنسان ينظر إلى من هو أدنى منه ولا ينظر إلى من هو أعلى منه .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال لحمران بن أعين : "يا حمران، انظر إلى من هو دونك في المقدرة، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة؛ فإنّ ذلك أقنع لك بما قُسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك، . . ." (٢) .

(١) آل عمران : ٤٩ .

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٤٤ ح ٣٣٨ .

هذه من الروايات الأخلاقية التي تبين أنّ الإنسان ينظر إلى من هو أقلّ منه ولا ينظر إلى من هو أعلى منه في القضايا المادّية، فإذا رأى أنّ هناك من هو أقلّ منه رزقاً فإنّه يقنع بما عنده، ويطلب المزيد من الله تعالى، وأمّا إذا نظر إلى من هو أعلى منه في الرزق فلا يقنع بما عنده، وقد يحقد على هذا الأكثر منه رزقاً، وقد يسخط على الله سبحانه؛ لأنّه تعالى لم يرزقه مثل من هو أعلى منه في الأمور المادّية .
ونستفيد أنّ الإنسان ينظر إلى من هو أدنى منه في القضايا المادّية، ولكن في القضايا المعنويّة ينظر إلى من هو أعلى منه؛ لأجل أن يتكامل ويصعد كما صعد هذا الشّخص .

ونستفيد عدم حصول حالة الكبر عند الإنسان، فمن هو أعلى منه له مواصفات معيّنة، ومن هو أدنى منه له مواصفات معيّنة، وقد يقارن بينهما، وقد يتكبّر على من هو أدنى منه، والمطلوب من المؤمن أن يتكامل، فحالة الكبر لا توجد عند المؤمن الحقيقيّ، فيرى الأدنى، ولكنّه لا يقول : أنا أفضل منه .

وإذا دخل شخص إلى مكان وقال : أنا أفضل منهم جميعاً - فهذا الشّخص لم يفهم الدّين حتّى لو كان معتمّماً، لنفرض أنّ إمام المسجد معتمّم، فإذا قال : أنا أفضل من المأمومين - فإنّه يسقط معنوياً، فقد يكون بعض المأمومين في المسجد أفضل من إمام الصّلاة، والمقياس ليس هو لبس العمامة، فالنّفوس الصّالحة من غير المعتمّمين قد تكون أفضل من نفوس بعض المعتمّمين، ويوجد معتمّمون صالحون كثيرون،

ولكن بعض المعمّمين غير الصّالحين يؤثّرون سلبيًا على الأكثرية في نظر النّاس الّذين لا يميّزون بين الصّالح والفساد، والقضيّة ليست قضيّة كثرة المعلومات في ذهن الشّخص، لذلك حتّى لا تحصل عند الإنسان حالة الكبر عليه أن يرى أنّ من يكون أدنى منه قد يكون أفضل منه عند الله تعالى، وحالة الكبر من الأمراض القلبيّة عند الإنسان، والإنسان المؤمن الصّالح لا يمكن أن يكون من المتكبرين .

الحاج عادل الحدّاد :

في بعثة النّبّي صلّى الله عليه وآله أقيم الإسلام بسيف عليّ ومال خديجة عليهما السّلام، وتأتي إشكاليّة الدّولة الدّينيّة في استعمال القوّة، ويوجد طلب بأسلمة القوانين، وتوجد انحرافات أخلاقيّة ومظاهر فساد في المجتمع، وتوجد مبرّرات للطلب بقانون الحشمة مثلاً، فهل هذه المطالب ليس لها مصداقيّة في الواقع أو يوجد خطأ في التّطبيق ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

نعم المطلوب أسلمة القوانين، ولكن حينما يُطلَبُ بتطبيق الإسلام يأتي السّؤال : أيّ إسلام يُطبّق ؟

والأحكام الشرعيّة من أين نأخذها ؟

وعلى أيّ دين وأيّ مذهب وأيّ مدرسة من مذاهب ومدارس

المسلمين ؟

هل يمكن إنشاء مجلس علمائيّ يضمّ جميع مدارس المسلمين بحيث

تكون القوانين تحت إشراف هذا المجلس وحينما يخرج قانون يكون متناسبًا مع جميع مدارس المسلمين ؟

ولا يوجد فرض الرأى الواحد على أفراد المجتمع، ويرى العلماء في المجلس القوانين ويختارون أفضل قانون يتناسب مع زماننا الحالى، وتوجد بعض الأمور البديهية، ولكن بعض القوانين حينما تُطبَّق قد تشوّه صورة الإسلام .

والإمام المهديّ عليه السّلام حينما يظهر يقاتل؛ لأنّ الطّرف الآخر يريد قتل الإمام عليه السّلام، والأصل في الدّين هو أصل الرّحمة والسّلام، والتّبيّ صلى الله عليه وآله كان يطبّق هذا الأصل، فالسّلام أصل، والقتال استثناء، والطّرف المقابل هو الذي يبدأ بالقتال، ولم يبدأ التّبيّ صلى الله عليه وآله بأيّ غزوة، والتّبيّ صلى الله عليه وآله كان يدافع ويرفع الموانع عن النّاس؛ لأجل وصول الحقّ إليهم، وهؤلاء الأعداء كانوا يشكّلون موانع أمام نشر الحقّ، والمعصوم عليه السّلام عنده القدرة على تشخيص الحقّ والباطل .

وإذا أراد أيّ إنسان غير معصوم أن يطبّق الأحكام فأيّ الأحكام يطبّقها ؟

هل يأخذ الأحكام من مذهب واحد ويهمل المذاهب الأخرى ؟
هل يمكن إنشاء مجلس علمائيّ يضمّ علماء المسلمين من المذاهب والمدارس المختلفة ويضمّ أيضًا علماء الأديان الأخرى من اليهود غير الصّهاينة والمسيحيّين غير المعادين للإسلام إذا كانوا من أبناء نفس

البلد ؟

وداخل المجلس العلمائي يناقشون مختلف القضايا ثم يصدرون قانوناً يقبله الجميع عن طريق التفاهم بين العلماء، نعم كل دين ومذهب يقول إنّ الحقّ معي والباطل مع غيري، ولكن ضمن مدارس المسلمين الأحكام والقوانين يناقشها العلماء بالأدلة، فيأتون إلى الدليل، وعلى أساس الدليل يصلون إلى الحكم، والحكم لا يُبنى على استحسانات، وإتّما يبنى على الدليل، وداخل المجلس العلمائي يمكن مناقشة جميع المسائل بما فيها المسائل العقائديّة، ولا يتمّ تكفير أتباع مدارس المسلمين من المدارس الأخرى، وتكفير المسلمين غير موجود عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، والقاعدة هي أنّه من تشهد الشّهادتين فهو مسلم، حتّى لو لم يصلّ ولم يصم، مع أنّ الصّلاة عمود الدّين، ولكن إذا ترك الصّلاة فلا نقول عنه إنّّه كافر، فهو مسلم عاصٍ .

نعم المطلوب هو أسلمة القوانين، وبعض القوانين متّفق عليها بين مدارس المسلمين، ويمكنهم تطبيقها، وبعض الأمور المختلف عليها بين مدارس المسلمين لا بدّ من وجود مجلس علمائي يناقش الأمور المختلف عليها، ويكون الأساس هو الدليل، ومع الدليل يمكنهم الاتّفاق على الحكم، ولا يتمّ فرض الرّأي الواحد، ولا يوجد تصويت وأغليبيّة، وإتّما التّقاش العلميّ عن طريق الأدلّة، ويمكن أن يخرج المسلمون بصورة مشرقة أمام العالم .

وأما إذا تمت أسلمة القوانين وأخذنا قطع الأيدي فقط فإن صورة الإسلام تتشوّه؛ وقطع الأيدي مرتبط بشروط، من الشروط نشر العدل في المجتمع بحيث لا يوجد فقير واحد في بلدان المسلمين، لذلك فالواجب الشرعيّ على الحاكم أن يعيل المعوزين، فيكون الحاكم معيل المحتاجين، وتكليف الحاكم أن ينشر العدل وأن لا يوجد فقير واحد في البلد الذي يكون تحت حكمه، وإذا انتشر العدل وتمّ قضاء حاجات الفقراء ففي هذه الحالة إذا سرق شخص تطبّق عليه الحدود إذا توقّرت الشروط، والآن حينما يقال تطبيق القوانين الإسلامية فأوّل ما يُطالَبُ به هو تطبيق الحدود، وهذا خطأ، فأوّل قانون لا بدّ من أن يُطالَبَ به هو نشر العدل بين أفراد المجتمع، وذلك بأن يكون الحاكم عادلاً أوّلاً .

وإذا تمت المطالبة بقطع الأيدي فعلى أيّ مذهب ؟
هل قطع اليد يكون من الكتف أو المرفق أو الزّند أو من أصول الأصابع ويترك له الكفّ لكي يمكنه الإتيان بالصّلاة ؟
وأهون شيء هو قطع الأصابع فقط بشروط معيّنة، والحدود تُدرأُ بالسّبّهات، ومع وجود السّبّهة لا يطبّق الحدّ، ومع وجود اليقين فقط يقام الحدّ، فمع وجود أيّ شك لا يقام الحدّ على السّارق، والقاضي يعطي فرصةً للجاني في القضايا التي يكفي فيها التّوبة؛ لكي يدرأ عنه الحدّ، وسيأتي بحث مستقبليّ عن "الحدود في الإسلام" .
هل الحدود توقيفيّة أو لا ؟ وهل الزّمان له دخالة في الحكم أو لا ؟

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال : إيّ زنيّة فطهرني .
قال : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ ، فقرأ . فقال عليه السّلام : ممّن أنت ؟
قال : أنا رجل من مزينة أو جهينة . قال عليه السّلام : اذهب حتّى
نسأل عنك . فسأل عنه ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، هو رجل مسلم
صحيح العقل . ثمّ رجع إليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إيّ زنيّة
فطهرني . فقال : ويحك ، ألك زوجة ؟ قال : نعم . قال : أكنت
حاضرها ؟ قال : نعم . قال : اذهب حتّى ننظر في أمرك . فجاء
الثالثة ، فأعاد عليه أمير المؤمنين عليه السّلام الكلام الأوّل ، وقال :
اذهب حتّى ننظر في أمرك . فجاء في الرابعة ، فقال : إيّ زنيّة
فطهرني . فأمر أمير المؤمنين عليه السّلام قنبراً فحبسه . ثمّ نادى أمير
المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ، هذا رجل نحتاج أن نقيم عليه حدّ
الله ، فاخرجوا ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام : أيّها النّاس ،
من أتى هذه القاذورة فليتب إلى الله بينه وبينه ، فوالله لتوبة إلى الله في
السّرّ أفضل من أن يفضح نفسه ويهتك ستره ^(١) .

طلب عليه السّلام منه أن يذهب ، وكأنّه يريد منه أن لا يعترف ،
فإذا زنى الشّخص فهو يطلب التّوبة من الله تعالى ، ولا يعلن ذلك بين
النّاس ؛ حتّى لا يفضح نفسه ، والرّجل أقرّ على نفسه عدّة مرّات ،
فأقام عليه السّلام الحدّ عليه .

(١) عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السّلام للسّيّد محسن الأمين

إنّ الحدود تُدْرَأُ بالشبهات، والمطلوب نشر العدل في المجتمع بحيث لا يوجد فيه فقير واحد، وبعد ذلك يقال بتطبيق قوانين الجزاء على الناس، وفي المحاكم إذا لم يكن القاضي عادلاً في حكمه وكان يتمّ تطبيق الحدود فقط بصورة الإسلام سيصيبها التشويه أمام العالم، وطبعاً العالم ليس هو المقياس، ولكننا نريد أن ننشر الإسلام بين الناس، وإذا تشوّهت صورة الإسلام فلن يدخلوا الإسلام، والأصل في نشر الدّين هو الرّحمة والسّلام لا القسوة والقوّة والسّيف، والسّيف والقتال أمر استثنائيّ في الإسلام .

والإمام المهديّ عليه السّلام يضطرّ إلى رفع السّيف والقتال لا رغبةً في القتال، وإمّا لأنّ الطرف المقابل هو الذي يبدأ بالقتال، وبمجرّد ما يظهر الإمام عليه السّلام فإنّ جميع قوى الشرّ في العالم من الكافرين والمشرّكين والمنافقين يبدؤون بشنّ حرب على الإمام عليه السّلام لأجل قتله، والإمام عليه السّلام يدافع عن نفسه، وينشر الحقّ والعدل في العالم، والإمام عليه السّلام سيهدّدهم بأنّ لديه الأسلحة، والبعض يستسلم والبعض يحارب، والإمام عليه السّلام يحارب الذين يحاربونه فقط، وحينما يستسلمون يبدأ الإمام عليه السّلام بنشر العدل في العالم .

وفي الوضع الاعتياديّ الإمام عليه السّلام لا يرفع السّيف، وأمير المؤمنين عليه السّلام بالنّسبة للتّاكثين والقاسطين والمارقين لم يبدأ الحرب، والسّلام هو أصل الدّين، والإسلام هو دين السّلام، والإسلام

مشتقّ من السّلام، والإسلام هو الاسم المختصّ بديننا؛ لأجل أن
نبيّن أنّ الأصل هو السّلام، والسّيف هو الاستثناء .

والمطلوب هو تطبيق القوانين الإسلاميّة، ولكن بشروط، ويتمّ
الاتّفاق بين علماء المجلس العلميّ؛ لكي يبدأ بعد ذلك تطبيق
أحكام الدّين، ولكنّ السّؤال : من الذي يطبّق أحكام الدّين ؟

إنّ المطبّق لا بدّ من أن يكون عادلاً، وإذا كان ظالماً فلا يُقبَلُ منه
تطبيق الأحكام، لذلك تشترط العدالة في الحاكم والقاضي، فيكون
عادلاً، ويكون قادراً على تطبيق العدالة في المجتمع، وبهذه الشّروط
يمكن تطبيق القوانين الإسلاميّة، وبدون توفر الشّروط فالقوانين
الإسلاميّة سيصيبها التّشويه أمام العالم، ونريد من الشّرق والغرب أن
يقتنعوا بأنّ الإسلام أفضل دين، وإذا حصل تشويه للإسلام فلا يمكن
إيصال هذه الرّسالة العالميّة إلى العالم .

والحمد لله ربّ العالمين وسلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

الجزء الأوّل

محتويات الكتاب

- (١) من مات ولم يعرف إمام زمانه ٥
- (٢) التّخطيط الإلهيّ لليوم الموعود ٢٣
- (٣) المهديّ عليه السّلام إمام مفترض الطّاعة ٣٩
- (٤) المهديّ عليه السّلام وسلسلة الأنبياء والأوصياء ٥٣
- (٥) انتظار الفرج ٧٠
- (٦) التّقبّل النّفسيّ والالتزام العمليّ بالإسلام ٨٦
- (٧) النّجاح في التّمحيص الإلهيّ ١٠٢
- (٨) البلاءات والتّمحيص الإلهيّ ١١٢
- (٩) الهدف من التّمحيص الإلهيّ ١٣٠
- (١٠) التّرابط بين الأجيال ١٤٦
- (١١) الالتزام بتطبيق الإسلام - الانتظار والتّكاسل ١٥٦
- (١٢) التّقية ١٧٣
- (١٣) أخذ أحكام الدّين من الفقهاء ١٨٧
- (١٤) الالتزام بخطّ الإمامة ٢٠٦
- (١٥) الإخلاص والشّعور بالمسؤوليّة ٢٢٢

- (١٦) أهميّة العمل الاجتماعيّ ٢٣٢
- (١٧) علامات الإخلاص والشّعور بالمسؤوليّة ٢٤٠
- (١٨) المؤمن عامل فعّال ٢٥٨
- (١٩) الجوانب النظريّة والعمليّة للأُنصار ٢٧٢
- (٢٠) كيف يصل المؤمن إلى مرتبة الأُنصار ؟ ٢٨٦
- (٢١) محوريّة قضية المهديّ عليه السّلام ٣٠٧
- (٢٢) عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام ٣٣٤
- (٢٣) تابع عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام ٣٥٨
- (٢٤) تابع عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام ٣٨١
- (٢٥) تابع عوامل تأخّر ظهور الإمام عليه السّلام ٤١٥